السلطان محمود الغزنوي

سياسته ودوره في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية

388 - 421هـ / 998 - 1030م

المؤلـــف

علي محمد فريد علي

المدرس بقسم التاريخ جامعة عدن

دار جامعة عدن للطباعة والنشر
2006

الإهـــــداء

إلى روح من تمنيت أن يشهدا إنجاز هذه الرسالة, والـدي ووالـدتي تغمـدهما الله بواسـع رحمتـه واسكنهما فسيح جناتـه, إكراما لهما وعرفاناً بجميلهما.

إلى إخواني الأعزاء الذين حرصوا على تشجيعي مادياً ومعنوياً في سبيل إكمال هذه الرسالة.

إلى رفيقة دربي في الحياة التي كانت خير معين لي أثناء إعداد هذه الرسالة, فقد سهرت إلى جانبي وهيئت لي أجواء طيبة مكنتي من إنجازها في هذه الصورة، عرفاناً مني ووفاءاً... إليهم جميعاً اهدي هذه الدراسة.

علي فريد

أعدت هذه الدراسة لنيل **درجة** الماجستير من قسم التاريخ والحضارة (كلية الآداب- جامعة عدن). وقد نوقشت علناً في صباح يوم الخميس 2003/7/1م, وكانت لجنة التحكيم والمناقشة مكونة من:

- أ.د./ عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع رئيساً
- أ.د./ رعد زهراد مطنتر عضواً
- أ.د./ محمد كريم إبراهيم المشرف العلمي عضواً

ومنح الباحث: علي محمد فريد درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي وحضارته (بتقدير ممتاز).

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الدكتور / عبد الكريم يحيى راصع المحترم
رئيس جامعة عدن

بعد التحية ،،،

الموضوع / طباعة أطروحة ماجستير تاريخية

إشـــارةً إلـــى تَكَــرُّم سيادتكم بالأمر لي بالإطلاع على فَحَاوَى الرسالة الجامعية في موضـــوع انتشـــار الإســـلام فـــي الهـــند ممـــثلاً بشخصـــية الـــبطل الإســـلامي العظيم "" السـلطان محمـــود الغزنوى "" وابداء الرأي في موضوعها ، فإنني قد عكفت على قراءتها بـــتُؤُدَةٍ وتمعُّـــن شديدين ووجدت فيها ما يستحق كل تقدير ، بحسب ما بدا فيها من إشباع موضـــوعها حقَّـــه من غزارة مادّة ، وسلامة لغة ، وإتقان إعداد ، إضافة إلى رصانة تناول لـــيس فيه مما يُعدّ تفاخراً أو تَزَيُّداً أو إجحافاً في حق الغير ممن نُشِر الإسلام بينهم ، وذلك مصـــداق لمـــا رَازَهُ أعضاء لجنة امتحان صاحب الرسالة وإبداء آرائهم الصائبة الموفقة في حَقِّـــه ، حســـب الوثـــائق المعروضـــة طَيّاً برسالة الطلب التي قدمها واضع الكتاب ، إطراءً لجهـــوده وتقديـــراً لما أبداه من تَميُّز متمكن عند دفاعه عن آرائه فيما أبداه من توفيق عند مناقشتها من إلمام بمادتها وفِقْهٍ بروح عصرها .

العمـــل الـــذي تجشّمه صاحب الرسالة فيه جِدّة وإبداع وتجرد مخلص يُجيز له على جامعـــة عدن حقّ اعتزازها به وبعمله الرائد الممتاز لِتزُفّه للنشر المحتفِى بإذاعته ضمن ما تُشـــجعونه وتَـــودون من عمل مبرور، أثابكم الله على التوفيق في إبدائه وإشاعته بين الناس وعمـــوم مجـــتمع المثقفيـــن من شعبنا الطُّلَعة المتعطش للعلم والمعرفة والتقدم المستديم ، ودمتم.

عبدالله فاضل فارع

مستشار رئيس الجامعة

الرموز والمختصرات

أ: اللوحة الأولى من ورقة المخطوط مثلاً (و 20أ)

ب: اللوحة الثانية من ورقة المخطوط مثلاً (و.20ب)

ت: توفي

ن.د: توفي بعد

تح: تحقيق

ج: جزء

ط: طبعة

ق: ورقة

م: ميلادية

مج: مجلد

لا.ت لا تاريخ

هـ: هجرية

و: ورقة

شكـــر وتقـديــــر

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله,وبعد:

فإنه يطيب لي بعد إكمال هذه الرسالة أن أسـجل كـل آيـات الشـكر والعرفان لكل الذين كان لي شرف الاستعانة بهم في سبيل إنجاز هذا الجهـد العلمي المتواضع, وأخص بالشكر أستاذي القدير المشرف العلمـي الأسـتاذ الدكتور محمد كريم إبراهيم الشمّري,الذي تفضل بقبول الإشراف العلمي على هذه الرسالة, مضحياً بالكثير من وقته الثمـين لتقـديم توجيهاتـه السـديدة, ونصائحه القيمة وتشجيعه العلمي والمعنوي ومتابعته الدقيقة والمستمرة دون كلل أو ملل, فكان لتوجيهاته وسداد رأيه وعمق بصيرته اعمق الأثـر فـي إثراء هذه الرسالة, فله مني جزيل الشكر والتقدير والعرفان, وجزاه الله عني خير الجزاء.

كما إنني مدين بالشكر والتقدير لمن تتلمذت على أيديهم, وتلقيـت مـن مخزونهم العلمي المعارف النظرية التاريخية خلال فترة دراسـتي الجامعيـة الأولى وفي السنة التمهيدية, من أعضاء الهيئة التدريسية بقسم التاريخ الـذين كان لهم دور بارز في إعدادي لخوض غمار تجربة البحث العلمي.

كما أنني مدين بالشكر والتقدير للأستاذ الكبير الدكتور حسـين أمـين, أمين عام اتحاد المؤرخين العرب (سابقاً) أطال الله في عمره, على ما قدمـه من نصح وإرشاد, فضلا عن تشجيعه ومباركته لاختيار موضوع الرسالة.

وفي هذا المقام أيضا انتهز الفرصة لأسجل كلمة شكر وتقدير لـرئيس جامعة عدن ونيابة الدراسات العليا والبحث العلمي بالجامعة, وعمادة كليتـي الآداب، والتربية شبوة, على تذليلهم لكثير من الصعوبات والمشقات, فضـلاً عن دعمهم المادي والمعنوي في سبيل إنجاز هذه الرسالة.

وأسجل شكري وعظيم امتناني إلى العاملين في قسم الدراسات الشرقية التابع لجامعة القاهرة, والمكتبة المركزية التابعة لها, على ما بذلوه من جهود, وما قدموه من مساعدة كريمة, في سبيل حصولي على الكثير من المصـادر العربية الأولية المهمة فضلاً عن المصادر الفارسية والأجنبية, كمـا أتقـدم بالشكر الجزيل لمدير وموظفي مكتبة مركز البحوث والدراسات اليمنية التابع لجامعة عدن والى موظفي مكتبة جامع أبي ذر الغفاري, والى فضيلة الشـيخ علي بن محمد بارويس على ما أسداه لي من نصائح وما قدمّه من إيضاحات خاصة فيما يتعلق بالجوانب الفقهية والاختلاف بين المذاهب الدينية, وكـذلك

أتقدم بالشكر والعرفان إلى كل من اخذ بيدي وساعدني في ترجمة العديد من النصوص المتعلقة بدراستي من المصـــادر الفارســية والمراجــع الأجنبيــة الحديثة, والى الزملاء الأعزاء الذين بذلوا جهداً في تقويم الرســالة لغويــاً، وختاماً أتوجه بخالص التحية والتقدير إلى كل من كان له فضل علــي فــي إنجاز هذه الرسالة ولم يسعني المقام الإشارة إلى ذكره... إليهم جميعاً خالص الشكر والتقدير وجزى الله الجميع عني خير الجزاء.

فهرس المحتويات

الفصل الثاني:

تقديم

أ.د. عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع
أستاذ التاريخ والحضارة – قسم التاريخ
كلية الآداب – جامعة صنعاء

طلب مني أن أكتب تقديماً لهذه الدراسة التاريخية القديمة, وقد ترددت كثيراً ولكني حزمت أمري, وعزمت على أن أوقع لافتات وأضع عليها تأشيرات سريعة إلى المقصود دون تطويل أو توسيع.

-1-

تاريخ الأمة الإسلامية, تاريخ يتميز بأنه متنوع: زماناً.. ومكاناً.. وبشراً. ويتميز بأنه (انشطاري- تضاعفي)- إن صح هذا التعبير- .. كلما اختفى دوره القيادي في زمان ومكان إذا به يظهر في مكان آخر وزمان آخر.. بغض النظر عن الشريحة البشرية التي تتولى القيادة.. جنسها,ولونها, ومكانها, ولغتها. ولكن الآخية التي تتمسك بها في مختلف العصور, والأطوار هي آخية الإسلام. رغم ما بذل من جهد: مؤسسات, ومناهج, ودراسات في العصر الحديث لإلصاق مصطلحات ومسميات على التاريخ الإسلامي من مثل: (تاريخ الدولة العربية) و(الدولة العربية الإسلامية) و(الحضارة العربية) و(الفتوحات العربية) و(الدولة المستقلة) .. وغيرها من المصطلحات والمسميات التي ما وضعت إلا لتحد من قيمة الإسلام ولكنها ما لبثت أن تساقطت كما تتساقط أوراق الشجر على قارعة الطريق.

وإن كان قد علق بعض هذه الملصقات في جوانب من عقول الجيل الحاضر إلا أن الرياح ما زالت تعصف بهذه الأوراق والملصقات المتعلقة بأهداب واهية هي أوهى من خيط العنكبوت.. وكما يقال(لا يصح إلا الصحيح).

-2-

وهذه الدراسة التي بين يدي القارئ تؤكد على هذا المعنى العميق فهي تجول بنا في قلب قارة آسيا من بحر قزوين شمالاً وحتى منتصف شبه القارة الهندية جنوباً. وتسير بنا مع قيادة جديدة فتية لا تمت إلى العرب بصلة, ولا تعرف جزيرة العرب, وإنما تعرف الإسلام, وتنتسب للإسلام..

فهي تنطلق من مكان بعيد عن جزيرة العرب, وتنتقل بين مدن مثل(غزنة) و(كابل) و(أصفهان) و(بخارى) و(قندهار) و(دلهي) و(لاهور) و(كشمير).

وتتحرك في زمن كان تاريخ الأمة الإسلامية قد بدأ في دار الخلافة والمناطق الغربية منها ينزوي لأسباب عدة – ليس هذا مجال طرحها-.. وذلك في نهاية القرن الثالث ومطلع القرن الخامس الهجري. حيث كان البويهيون في المشرق الإسلامي, والعبيديون (الفاطميون) في المغرب الإسلامي. وفجأة ظهرت الدولة الغزنوية لتكون حلقة من الحلقات القوية التس شدت من أزر الخلافة الإسلامية.

أقول: إن هذه الدراسة التي بين أيدينا والتي خملت عنواناً مرتبطاً بأقوى سلاطين الدولة الغزنوية(السلطان محمود الغزنوي, سياسته ودوره في نشر الإسلام في شبة القارة الهندية) تؤكد على أن تاريخ الأمة الإسلامية لا يتوقف وإنما هو يكمن يظهر من جديد .. ويتشرنق ليظهر بعد زمن بصورة جديدة وتحت قيادة جديدة ويتوقع المراقبون أنه غاب أو أوشك على الغياب, ولكن فجأة نراه قد ظهر في مكان آخر وعلى أيدٍ لم يكن المراقبون يتوقعونها. ولهذا شبهناه بما يقوله علماء الحياة وعلماء الفيزياء بأنه (انشطاري) و(وتضاعفي).

-3-

والراصد لحركة تاريخ الأمة الإسلامية أن مركز قيادته يتنقل من مكان إلى آخر, ومن قيادة إلى أخرى, ولكل من المكان والقيادة مميزاتها.

فمن المدينة إلى الكوفة وإلى دمشق وإلى بغداد وإلى غزنة وإلى الموصل وإلى حلب وإلى دمشق مرة أخرى وإلى القاهرة وإلى الأندلس .. وإلى المغرب والأناضول .. وهكذا.

وتارة قيادة أموية, وتارة قيادة عباسية, وتارة تركية, وتارة فارسية, وتارة كردية, وتارة بربرية, وتارة تركية .. فلا يوجد توقف واختفاء. والفروق الزمنية في عمر الزمن لا تحسب بالسنين, أو بالعقود بل بالقرون.

ونظرة واحدة لبعض تاريخ الأمم مثل(دول الإسلام للذهبي) أو لبعض معاجم الأسر الحاكمة مثل (معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي لزامباور) تجد الصورة الانشطارية المتضاعفة جلية للعيان.. والمركز الذي يشد هذه الدول هو الإسلام وده فلم تظهر الدولة الغزنوية لتقوم عن نفسها أنها دولة هندية أو أفغانية قوسية, وإنما هي جزء من تاريخ الأمة الإسلامية, وعاملة على خدمة الإسلام.

ولهذا لا نيتغرب أن نجد السلطان محمود الغزنوي يطلق على نفسه (العبد) وهو يخاطب الآخرين في رسائله وبالذات الخليفة في بغداد في أكثر من موقف, ولا يتحرج من ذلك. وهذا نموذج على بقية أغلب القيادات التي ظهرت ناصرة للإسلام كما هو حال السلاجقة, وآل زنكي, وآل أيوب, والمماليك, وآب عثمان...

-4-

أما الزمن الذي ظهرت فيه الدولة الغزنوية واستمرت حوالي مائتين سنة فإنه زمن تصارعت فيه الأفكار, وكادت أن تتغلب على دار الإسلام الرؤية

الشيعية الإمامية: اثناء عشرية أو إسماعيلية .. فقد حكم العبيديون (الفاطميون) من 297 إلأى 567هـ(910- 1171م) في بلاد المغرب والشام والحجاز. وعاصرهم في بغداد وجنوب إيران البويهيون الذين حكموا وتحكموا بالخلافة العباسية من سنة 320 إلى 447هـ(932-1055م).

وصارت الخلافة الإسلامية بين المطرقة والسندان.. فقد ظهرت لأول مرة الحروب الصريحة بين الشيعة والسنة في ظل هاتين الدولتين الشيعيتين.

وحينما ظهرت الدولة الغزنوية في الشرق (351- 582هـ/ 962- 1186) وعاصرتها الدولة السلجوقية بدءاً من 432هـ 1040م حتى نهاية القرن السادس الهجري الثامن عشر الميلادي.

صار لهاتين الدولتين دور في تراجع الرؤية الشيعية عن الهيمنة والتصدر.

-5-

ويعد السلطان محمود الغزنوي (ت 421هـ/1030م) المؤسس الفعلي للدولة الغزنوية. ويتميز بشخصية قيادية آسرة تمكنت من إقامة دولة في ظل أوضاع مضطربة. وتمكنت من ضبط سلطانه على مساحة واسعة. وتوسع على حساب البلاد غير المفتوحة في الشرق والجنوب (أنظر الخرائط المرفقة في ملاحق هذه الدراسة).

وكما أنه كان قائداً عسكرياً كان أيضاً إدارياً محنكاً.. وداعية إسلامية موفقاً.

وكان هدفه المرسوم في كل تحركاته هو بذل الجهد في الجهاد لفتح البلاد التي لم يدخلها الإسلام, ويعمل على دعوة الناس إلى الإسلام مهتدياً بسير الفاتحين الأولين أمثال أبي العلاء الحضرمي وأبي موسى الأشعري وسعد ين أبي وقاص ومحمد بن مسلمة.. ومسلم بن قتيبة.. إلخ.

فقد فتح إقليم البنجاب داعياً إلى الإسلام, وجاب أقاليم هندية كثيرة, ولم تكن الدنيا تجذبه لجمع الأموال, بل كان بفضل أن يقال عنه (محطم الأصنام لا بائع الأصنام).

وهذا ما يميز السلطان محمود الغزنوي في حركته الجهادية التي لم تأل جهداً في دعوة الناس إلى الإسلام, دون إكراه أو قهر أو اضطهاد."لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" (البقرة. آية 256).

-6-

والرسالة التي يتصدرها هذا التقديم من الرسائل المتطابقة بين عنوانها ومحتواها فقد جعلت في أربعة فصول متناسقة متناغمة كل يكمل الآخر.

فالفصل الأول جعل للدولة الغزنوية قبل تولي السلطان محمود العرش من حيث النشأة وأحوالها السياسية من سنة 351هـ/962م بعد أن خلفت الدولة السامانية التي كانت في بخارى متخذاً(غزنة) مركزاً لهذه الدولة الجديدة, منسوبة إليها أيضاً.

والفصل الثاني أفرد للسياسة الداخلية للسلطان محمود الغزنوي حيث شملت توسيع رقعة الدولة على حساب الدولة السامانية والإمارات المجاورة, وبناء الجيش الغزنوي, والبناء الإداري, والجهود المبذولة لنشر المذهب السني.

والفصل الثالث تابع السياسة الخارجية للسلطان محمود الغزنوي مع القوى المجاورة كالبويهيين والسلاجقة وبالذات مع دار الخلافة العباسية.

أما الفصل الرابع والأخير فقد جعل لدور السلطان محمود الغزنوي في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية محدداً الدوافع التي تكمن وراء خطة السلطان محمود والحملات التي قام بها, والآثار الحضارية الإسلامية في شبه القارة الهندية.

وأرفقت الرسالة بملاحق مفيدة, واعتمدت الرسالة على مصادر أصلية متنوعة كثيرة وهي ميزة أخرى تميزت به هذه الرسالة.

-7-

والباحث/ علي محمد فريد علي الذي خاض عمار هذا البحث, وجدته باحثاً واعداً, يطل على الدراسات التاريخية بمنهج علمي دقيق.. وأسلوب لغوي رشيق, وتحليل تاريخي عميق.

فالباحث يسبح في بحار التاريخ محدداً هدفه بشكل جيد, لأنه حينما يقرأ التاريخ لا يقرأه لمجرد العرض التاريخي, وجمع المعلومات التاريخية, واستعراض العضلات الفكرية في التحليل فقط.. بل يرى التاريخ شمعة ينبغي إشعالها لتضيء الطريق للأجيال القادمة في التخطيط لحاضرهم ومستقبلهم.

-8-

لقد أشرنا على مجموعة من اللافتات, ومن حق جامعة عدن علينا أن نفرد لها لافتة خاصة.. فيوم أن صدر قرار لجنة المناقشة والحكم بأن الرسالة حصلت على درجة ممتاز وأوصت اللجنة بطباعتها على حساب الجامعة لم يكن في حسبان اللجنة يومئذ أن الجامعة ستقوم بهذا العمل فعلاً بل كان القرار لإعطاء الرسالة مكانة اعتبارية فقط.

ولقد فوجئت بخطوات الطباعة تجري على قدم وساق. فصار ديناً علينا أن نقدم الشكر لجامعة عدن ممثلة بقيادتها الإدارية والأكاديمية على تنفيذ توصية لجنة المناقشة والحكم, فهذا توجه علمي جاد يستحق الثناء والشكر والتقدير..

متمنياً على بقية الجامعات اليمنية الإحتذاء حذوها فهي خطوة علمية موفقة. وتعد في الرصيد الأكاديمي لجامعة عدن.

والله ولي التوفيق,,,

المقدمة

أ- مضامين الرسالـــة
ب- تحليل المصادر والمراجع

أ- مضامين الرسالة:

الحمد لله الذي حث على طلب العلم, ورفع اجر العلماء, قائلاً في محكم التنزيل:

بسم الله الرحمن الرحيم

((يَرْفَعُ اللهُ الَّذينَ آمَنَوا مِنكُمْ, والَّذِينَ أوتُوا الْعِلْم دَرَجَاتٍ))[1] والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء وخير المرسلين. وبعد.

وجه الباحثون والمؤرخون المعاصرون اهتماماتهم في الآونة الأخيرة إلى الدخول في مجال تاريخ المشرق الإسلامي, سواء كان ذلك على مستوى التاريخ السياسي أو الحضاري, فأثمرت هذه الجهود دراسات علمية جادة, تناولت تاريخ الدول الإسلامية التي قامت في إقليم المشرق الإسلامي.

وكثيراً ما شدّني التراث الإسلامي بكل جوانبه المضيئة, وخاصة تراث المشرق الإسلامي, لدراسة بعض جوانبه, ومن يطّلع على تاريخ المشرق الإسلامي يلاحظ بزوغ نجم الدولة الغزنوية, ويتجلى ذلك في دورها السياسي والحضاري, فضلاً عن جهودها في نشر الإسلام في البلاد الوثنية, والدفاع عن مكتسبات الخلافة الإسلامية من جهة المشرق.

والجدير بالذكر أن الدولة الغزنوية ظهرت في المشرق الإسلامي ظهوراً قوياً واضحاً في عهد السلطان محمود الغزنوي الذي استطاع أن يعتلي العرش سنة 388هـ / 998م, وبذل جهوداً كبيرة في سبيل ترسيخ نفوذ دولته, وتوسيع رقعتها من خلال انتهاجه سياسة التوسع على حساب الكيانات السياسية المجاورة لحدودها, لكن ما امتاز به عهده وذاع به صيته هو: (الجهاد الإسلامي) الذي رفع راياته في شبه القارة الهندية, وبلغ في فتوحاته إلى حدود هضبة الدكن ؛ فاعترفت به الخلافة العباسية سلطاناً مستقلاً, ومنحه الخليفة العباسي القادر بالله (381-422هـ/991-1030م), العديد من الألقاب الفخرية ذات الدلالات الدينية, كان أهمها لقب:((يمين الدولة وأمين الملة)) الذي اشتهر به؛اعترافاً من دار الخلافة بفضله في رعاية الركن الأيمن من المشرق الإسلامي.

ومن المعروف أن السلطان محمود الغزنوي كان مسلماً قوي العقيدة تواقاً إلى نشر الإسلام, بلغت فتوحاته في بلاد الهند حدّاً لم تبلغه رايات الإسلام من قبل, ودخلت في دين الله أفواجا عديدة من أهل الهند.

ويجب أن ندرك أن دراسة سياسة هذه الشخصيات ودورها في نشر الإسلام, والدفاع عنه, يُعد موضوع بحثٍ حيويٍ يشجعه العلم, ويثني عليه جمهرة العلماء, لا تخليداً لذكرى أولئك فحسب، بل طمعاً في الاستفادة من تحليل تلك الأعمال, وسبر أغوارها للاستفادة منها في تخطيط سياسة الأمم والدول, للحاضر والمستقبل.

---

[1] المجادلة, آية 11.

وانطلاقاً من ذلك فان موضوع هذه الدراسة:((السلطان محمود الغزنوي, سياسته, ودوره في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية, 388-421هـ/998-1030م), كان ذا أهمية متميزة, جعلتني اتجه إلى اختياره عنواناً لرسالتي هذه, فضلاً عن أسباب أخرى, أستطيع إيجازها في الآتي:

- رغبة في البحث والاستقصاء عن تاريخ الدولة الغزنوية خاصة, والمشرق الإسلامي بصورة عامة.
- إبراز سياسة السلطان محمود الداخلية والخارجية وأثرها في ترسيخ دعائم الدولة الغزنوية وتوسيع رقعتها.
- اعتزازاً وإجلالا لدوره العظيم في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية.

عدم توفر – بحسب علمي – أي دراسة علمية أكاديمية متكاملة ومستقلة تعطي هذه الشخصية الإسلامية حقها خصوصاً في بلاد اليمن لذا رأيت من الواجب أن أسهم بجهدي المتواضع هذا من خلال هذه الدراسة في إبراز مكانة السلطان محمود ودوره في نشر الإسلام والدفاع عن الخلافة الإسلامية من جهة المشرق.

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

دراسة السياسة الداخلية للسلطان محمود الغزنوي منذ توليه العرش سنة 388هـ/998م وحتى وفاته سنة 421هـ/1030م – دراسة علمية أكاديمية قائمة على التحليل والاستنتاج – وكشف مضامينها وأهدافها وانعكاساتها على الدولة الغزنوية خاصة والمشرق الإسلامي بصورة عامة.

دراسة العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية – خلال عهد السلطان محمود – مع الدول والكيانات السياسية المجاورة لها, وتتبع مراحلها, وتوضيح مظاهرها وطبيعتها, فضلاً عن تأثيراتها على أوضاع الدولة الغزنوية سلباً وإيجابا.

إبراز دور السلطان محمود الغزنوي في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية, من خلال دراسة فتوحاته المتتابعة, المخططة والمنظمة والهادفة, وإبراز آثارها السياسية والحضارية على بلاد الهند.

وقد اتبع الباحث المنهج التاريخي, الذي يعرض الأمور بتسلسلها الزمني, ويتتبع الظاهرة من مراحلها الأولى حتى مراحل نضجها, لذلك تعالج الدراسة فترة محدودة من تاريخ المشرق الإسلامي تبدأ منذ تولي السلطان محمود العرش سنة 388هـ/998م وحتى وفاته سنة 421هـ/1030م, والتزاماً بالمنهج التاريخي فقد كان على الباحث أن يعرض المقدمات السياسية التي مهدّت لهذا العصر, وإيضاح الظروف التي ساعدت السلطان في الوصول إلى السلطة, ومن ثم الدخول في صلب الموضوع, وهو دراسة: السياستين الداخلية والخارجية للسلطان محمود وتتبع جهوده في نشر الإسلام في بلاد الهند وما ترتب على ذلك من آثار.

حرص الباحث على ضبط أسماء الأعلام والمدن سواءً الفارسية منها أو التركية من خلال الرجوع إلى المصادر والمراجع الموثوقة, على الرغم من الصعوبة الشديدة في ذلك, جرّاء تناقض المصادر فيما بينها واختلافها عند رسمها أو التعريف بها أو كتابتها بالعربية.

كما اتبع الباحث طريقة كتابة التاريخ الهجري وما يقابله من التاريخ الميلادي, باليوم والشهر والسنة, محاولاً ضبط ذلك قدر الإمكان, مستعيناً ببعض الكتب التي عُنيت بذلك مثل: كتاب ويستنفلند الموسوم: ((جدول السنن الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها)).

أما الصعوبات التي واجهتنا أثناء إعداد هذه الرسالة فهي كثيرة ومتنوعة, تأتي في مقدمتها قلة بل ندرة المصادر الأصلية ذات الصلة الوثيقة بدراستنا ؛ بسبب أن أغلب هذه المصادر خارج اليمن مما يتوجّب السفر إلى الخارج للوقوف عليها والإفادة منها, حيث قمنا بزيارة بحثية إلى جمهورية مصر العربية استغرقت شهراً كاملاً, ولا بد لنا هنا من الإشادة بالفضل الكبير والمساعدة الكريمة من قبل جامعة عدن التي كان لها الدور المميز والتشجيع المادي لنجاح هذه الزيارة, وخلال زيارتنا للقاهرة استطعنا الوقوف على عدد مهم من المصادر الأصلية العربية منها والفارسية المتعلقة بموضوع دراستنا, إذ كان لقسم الدراسات الشرقية التابع لجامعة القاهرة ومكتبتها المركزية الفضل الكبير في حصولنا على عدد كبير من المصادر, فضلاً عمّا أفدنا منه مما احتوته دار الكتب المصرية ومكتبة كلية دار العلوم والمكتبة المركزية التابعة لجامعة عين شمس.

وبسبب ندرة المصادر والمراجع في اليمن أيضا, قمنا بمراسلة بعض الجامعات والمراكز العلمية في البلدان العربية والأجنبية, منها: الجامعة الإسلامية بجمهورية الهند, ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات العربية والإسلامية بالرياض, والمجمع الثقافي في أبو ظبي وغيرها.

ومن الصعوبات التي واجهتني أيضا, ترجمة نصوص تتعلق بدراستنا في المصادر والمراجع الفارسية ذات العلاقة؛ بسبب عدم إجادتي للغة الفارسية, وهذا ما دفعني إلى الاستعانة ببعض الزملاء المصريين العاملين بمركز الدراسات الشرقية ممن يجيدون اللغة الفارسية لترجمة ما يفيدنا من هذه المصادر والمراجع, فلهم مني جزيل الشكر والتقدير, كما واجهتنا أيضا مشكلة ترجمة المراجع الأجنبية الحديثة المتعلقة بموضوع الرسالة ؛ بسبب حرصنا على الاستفادة منها في إثرائها ؛ لذلك عمدنا إلى ترجمة بعض الأجزاء المهمة ذات العلاقة المباشرة واحمد الله تعالى الذي أعاننا على تخطّي هذه الصعاب والمشقات, ونحسب أننا قد وفقنا في تلافي النقص وسد الثغرات بخصوص المصادر الفارسية والمراجع الأجنبية الحديثة ذات الصلة قدر المستطاع.

ضمّت هذه الرسالة مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وتوصيات, وفيما يلي موجز لأهم ما تضمنته هذه الفصول:

أما الفصل الأول جاء بعنوان: الدولة الغزنوية, نشأتها, وأحوالها السياسية حتى تولي السلطان محمود العرش, تناولنا فيه نشوء الدولة الغزنوية وتطورها, موضحين الظروف والأسباب التي أدت إلى قيامها, ومستعرضين جهود المملوك البتكين في تأسيسها, ودور ابنه أبي إسحاق إبراهيم ومماليكه بلكاتكين وبيري في الحفاظ على هذه الدولة الناشئة. ثم تناولنا بالدراسة بروز شخصية سبكتكين وظروف توليه الحكم, مبرزين دوره في ترسيخ دعائم الدولة وتوسيع رقعتها, وجهوده في نشر الإسلام في بلاد الهند, مبيّنين طبيعة علاقته بالدولة السامانية, ثم درسنا وفاته وتوليه ابنه

إسماعيل العرش, مستثنياً ابنه الأكبر محمود, مناقشين الأسباب التي دفعت سبكتكين إلى ذلك, واختتمنا الفصل بدراسة شخصية السلطان محمود بصورة موجزة, وظروف توليه العرش الغزنوي.

وخصصنا الفصل الثاني لدراسة (السياسة الداخلية للسلطان محمود الغزنوي, منذ توليه العرش وحتى وفاته), وتم تقسيمه إلى خمسة أقسام, تحدثنا في القسم الأول عن سيطرة السلطان محمود على إقليم خراسان وانهيار الدولة السامانية, أما القسم الثاني استعرضنا فيه جهود أبي إبراهيم إسماعيل بن نوح الساماني الملقب بـــ: (المنتصر) في إحياء الدولة السامانية, وموقف السلطان محمود من ذلك وتناول القسم الثالث استراتيجية السلطان في توسيع حدود دولته على حساب الإمارات المحلية المجاورة, وتوضيح سياسته تجاهها موضحين الطرق والوسائل التي اتبعها في سبيل ضم هذه الإمارات إلى ممتلكاته, فكان من بين إمارات المشرق المحلية التي انضوت تحت سيادته: إمارة سجستان, وإمارة غرجستان, وإمارة بلاد الغور, وإمارة خوارزم, وإمارة جرجان وطبرستان وإمارة الجوزجان, وخصص القسم الرابع لدراسة الجيش الغزنوي, واستعرضنا فيه جهود السلطان في بناء الجيش وإعداده وتحدثت بشيء من التفصيل عن عناصر الجيش وأقسامه وأسلحته وإدارته ونفقاته, وعالج القسم الخامس جهود السلطان محمود في نشر المذهب السُنّي في إقليم المشرق, مركزين فيه أولاً على المذهب الفقهي للسلطان محمود, مناقشين ما أوردته المصادر التاريخية بشأن مذهبه, ثم أوضحنا جهود السلطان في نشر المذهب السُنّي في إقليم المشرق والدفاع عنه ضد الفرق والطوائف المناوئة له, مبرزين انعكاسات تلك السياسة الدينية على الدولة الغزنوية وعلاقتها بدار الخلافة العباسية السُنّيّة.

وتناول الفصل الثالث من هذه الرسالة(السياسة الخارجية للسلطان محمود الغزنوي) درسنا فيه علاقته مع الدول والكيانات السياسية المجاورة لحدود دولته, حيث تناولنا في القسم الأول علاقته بالدولة القراخانية في ما وراء النهر وأبرز مظاهر تلك العلاقة ومراحل تطورها سلماً وحرباً, وانعكاساتها على الدولتين الغزنوية والقراخانية, مقدمين لذلك بنبذة موجزة ومركّزة عن القراخانيين أصلهم, نشأتهم وقيام دولتهم.

أما القسم الثاني من هذا الفصل فدرسنا فيه علاقة السلطان محمود بالبويهيين, بدأته بالتعريف بهم, ثم تتبعنا مراحل تلك العلاقة منذ نشأتها في عهد الأمير سبكتين (والد السلطان محمود) حتى سقوط مدينة الري وهمذان وإقليم الجبال في يد السلطان محمود وانضواء ممتلكات الفرع البويهي – في هذه المناطق – تحت سيادة الدولة الغزنوية. أما القسم الثالث فكان عن علاقة السلطان محمود بالسلاجقة, الذين برزوا مؤخرا على مسرح الأحداث قادمين من أقاصي تركستان, موضحين بداية احتكاك السلطان محمود بهم وكيف استطاعوا إقناعه بالسماح لهم بعبور نهر جيحون لسيتقروا بخراسان, مبينين مدى خطورة هذا الإجراء على الدولة الغزنوية, ومستعرضين الجهود التي بذلها السلطان وقادته العسكريين للحد من نفوذهم وكسر شوكتهم. وأفردنا القسم الأخير لدراسة علاقة السلطان محمود مع دار الخلافة العباسية, موضحين طبيعتها, وأبرز مظاهرها ومراحل تطورها, وانعكاساتها على الجانبين.

خصص الفصل الرابع لدراسة (دور السلطان محمود الغزنوي في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية) تناولنا في القسم الأول منه: الإسلام في الهند قبل الفتح الغزنوي ؛ لبيان بداية دخول الإسلام إلى الهند, وجهود الخلفاء الراشدين في ذلك, ثم استعرضنا جهود الخلفاء الأمويين وعاملهم الحجاج بن يوسف الثقفي في فتح إقليم السند, وأخيراً درسنا أوضاع السند في العهد العباسي وظهور الدويلات الإسلامية في ذلك الإقليم. وركّز القسم الثاني على دراسة أوضاع بلاد الهند قبيل فتوح السلطان محمود الغزنوي, واثر ذلك على نجاح الفتح الغزنوي, وفي القسم الثالث كان الاهتمام منصبّاً على مناقشة الأسباب أو البواعث التي دفعت السلطان محمود للقيام بهذا الفتح العظيم, وكان القسم الرابع – هو محور الفصل الرابع وعموده – مخصصاً لدراسة فتوح السلطان محمود وحملاته في شمال شبه القارة الهندية, ابتداءً من الحملة الأولى سنة 390هـ/999م وحتى حملته الأخيرة سنة 417هـ/1026م, وأفردنا القسم الأخير من هذا الفصل لبيان الآثار الحضارية لفتوح السلطان محمود وحملاته في بلاد الهند, درسنا الآثار الدينية والاجتماعية أولاً ثم الآثار الثقافية والعلمية ثانياً؛ لأجل توضيح أن الفتح الغزنوي لشمال شبه القارة الهندية لم يكن فتحاً عسكرياً فحسب, بل أنه كان إلى جانب ذلك فتحاً حضارياً.

أما خاتمة هذه الرسالة ففيها توضيح لأهم النتائج والاستخلاصات التي تم التوصل إليها. وأخيراً تم تسجيل بعض التوصيات ؛ بغية النهوض بواقع الدراسات العليا في مجال التاريخ الإسلامي, خصوصاً تاريخ المشرق الإسلامي.

ب- تحليل المصادر والمراجع:

أولا : المصادر العربية والفارسية :

تتميز المصادر التي اعتمدت عليها هذه الرسالة بأن عدداً من مؤلفيها عاصروا تلك الفترة، وكانوا على صلة وثيقة بكبار رجال الحكم، أي كانوا شهود عيان معاصرين لكثير من الأحداث، وهنا تكمن أهمية هذه المصادر وقيمتها في البحث العلمي التاريخي الموضوعي، كما سنوضح:

يعد (تاريخ اليميني)،لأبي نصر محمد بن عبد الجبار العتبي المتوفى سنة(428هـ/1036م) من أهم المصادر الأساسية في رسالتنا؛ لأن مؤلفه كان مؤرخ البلاط الغزنوي، وقد سمى كتابه بـــ: (اليميني) نسبة إلى لقب السلطان محمود (يمين الدولة)، وترجع أهمية هذا الكتاب أيضا إلى أن مؤلفه شغل وظيفة كاتب السلطان محمود وسفيره، وأنه عاصر كلاً من الأمير سبكتكين المؤسس الحقيقي للدولة وابنه محمود، وترجم في هذا الكتاب لسبكتكين وأوضح دوره في ترسيخ دعائم الدولة الغزنوية وتوسيع رقعتها، ثم عرض بتفصيل وأمانة علمية لتاريخ السلطان محمود، فسجّل الجوانب الإيجابية والسلبية، وتحدث عن سياسته الداخلية والخارجية، فضلا عن تدوينه لحملاته وفتوحاته في شبه القارة الهندية حتى سنة 409هـ/1018م، ولا نعلم لماذا توقف العتبي عند هذا التاريخ، مع أنه توفي سنة 431هـ/1039م، والجدير بالذكر

أن العتبي ألّف كتابه باللغة العربية وصاغه بأسلوب أدبي مسجوع على نحو ما فعله معاصروه أمثال أبي منصور الثعالبي.

اكتسب هذا الكتاب شهرة واسعة في شتى الأمصار والأعصار، واهتم به الكتّاب حتى ذيّل عليه ابن فندق بكتاب (مشارب التجارب وغوارب الغرائب) في أربعة مجلدات، وقام آخرون بشرح كتاب العتبي لعل أبرزهم الشيخ أحمد بن علي المنيني المتوفى سنة 568هـ/1172م، وسماه: (الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي)، وعلمنا مؤخراً أن هذا الكتاب قد حقق من قبل الأستاذ الدكتور إحسان ذنون الثامري (وطبع طبعة حديثة في دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت في مجلدٍ واحد محتوياً على 538 صفحة، نُشر في تاريخ 2004/3/1م)، لم نوفق في الوقوف على هذه الطبعة ونحن نتابع تصحيح الرسالة بعد طباعتها، وفي كل الأحوال يمكن القول أن العتبي قدّم في كتابه هذا مادة تاريخية شديدة الأهمية، تعد مادة أولية لكثير من المؤرخين في حديثهم عن الدولة الغزنوية بشكل عام والسلطان محمود بشكل خاص.

ومن المصادر الأساسية المهمة في رسالتنا كتاب: (زين الأخبار) لأبي سعيد عبد الحي بن الضحّاك بن محمود الكرديزي، المتوفى سنة 442هـ/1050م، وترجع أهمية هذا الكتاب؛ إلى معاصرة مؤلفه لأحداث عصر السلطان محمود، يتضح ذلك من قول الكرديزي[1] عند مطلع حديثه عن عهد السلطان محمود: ((... فالحوادث التاريخية الأخرى سمعناها وقرأناها من الكتب، ومن الجائز أن يكون المصنفون والرواه أضافوا إلى هذه الحوادث قليلا أو كثيرا أو ذكروها للتعجب والعظمة والعبرة لعظيم كتبهم وإجلالها، ولكن هذه الأخبار عن يمين الدولة [محمود] رأيت أكثرها رأي العين، ماذا فعل الأمير محمود رحمه الله في الهندوستان ؟ ماذا فعل في النمروز [سجستان] وخراسان وخوارزم ؟ وكيف فتح القلاع في العراق [العجمي]، وبأي طريق قطع الصحاري وعبر الفيافي وصعد الجبال وطوى الطرق الوعرة المخيفة ؟ وكيف حارب ؟ وكيف قهر عظماء الهنود؟)).

دوّن هذا المصنف القيم تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى عصر السلطان مودود بن مسعود الغزنوي (432 – 440هـ/1040 – 1048م)، وهو متنوع الجوانب متعدد الاتجاهات، ففيه التاريخ والآثار والأعياد والعادات والتقاليد والأنساب والمعارف، والجدير بالذكر أن الكرديزي عاش في غزنة وكتب مصنفه بها، سماه: زين الأخبار؛ تيمناً بالسلطان الغزنوي عبد الرشيد الملقب بـ: (زين الملة)[2] ، واعتمد في تأليفه هذا السفر – إلى جانب مشاهداته الشخصية – على مصنفات بعض المؤرخين المشهود لهم بالثقة والنزاهة، فقد حفظ لنا أحياناً كثيرة بعضاً مما ضاع من آثارهم، فنحن نقرأ أحياناً معلومات من كتاب مهم مفقود هو: (أخبار ولاة خراسان) لأبي علي السلامي المتوفى

---

[1] زين الأخبار، ص : 279 – 280.

[2] عفاف زيدان، مقدمة زين الأخبار للكرديزي، ص : 3،5.

سنة300هـ/912م, كما نجده قد اعتمد أيضا على كتاب تاريخ الهند والآثار الباقية للبيروني، ونجد عنده أجزاء من كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه[1].

أما عن تنظيم مادة الكتاب التاريخية، فإن الكرديزي نظّمها على الأساس الزمني والإقليمي والعالمي، وتوسع بصورة خاصة في تاريخ خراسان (من الفتح العربي لها حتى عصر السلطـــان الغزنوي مودود بن مسعود)[2] ، وقد أفادنا هذا المصدر أيّما فائدة في جميع مراحل هذه الرسالة، علماً أن الكرديزي قد انفرد – عن غيره من مصادر البحث المعاصرة لحوادث الرسالة – بتقديم تفاصيل واسعة عن اللقاء التاريخي الذي عقد بين الملك قدر خان ملك الترك والسلطان محمود على ضفاف نهر جيحون، مقدماً وصفاً دقيقاً لمراسيم ذلك اللقاء، فضلاً عن تفاصيل أحداث تلك الحملة. هذا وقد قامت الدكتورة عفاف السيد زيدان بترجمة هذا المصنف عن الفارسية وظهرت الطبعة الأولى منه سنة 1402هـ/1982م.

ويُعد البيروني الذي نشأ في خوارزم من الذين عاشوا في بلاط السلطان محمود وخلفائه، وقام برحلات علمية عديدة إلى بلاد الهند مرافقاً لجيوش السلطان محمود أثناء فتوحاته لتلك البلاد، وصنف العديد من الكتب في التاريخ والفلك والرياضيات والطب وغيره[3]، ومن أبرز مصنفاته القيمة التي أسهمت في إنجاز هذه الرسالة كتاب: (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) المعروف بـــ: (تاريخ الهند)، الذي قارن فيه بين رياضة الهند وفلسفة اليونان، مستقياً معلوماته من المصادر السنسكريتية الهندية مباشرة، حيث زودنا هذا المصنف بمعلومات مهمة تتعلق بأحوال بلاد الهند السياسية والدينية والاجتماعية قبيل فتوح السلطان محمود لها، فضلاً عن الإفادة من معلوماته المتعلقة بالآثار الحضارية لفتوح السلطان، إذ كان البيروني نفسه ومصنفاته القيمة من الآثار الحضارية الثقافية والعلمية لذلك الفتح.

ومن بين المصادر الأساسية المعاصرة التي اعتمدت عليها هذه الرسالة كتاب (تاريخ البيهقي)، لأبي الفضل محمد بن حسين البيهقي المتوفى سنة (440هـ/1077م)، وتاريخ البيهقي سفر كبير في أكثر من سبعمائة صفحة، سجّل فيه تاريخ عصره، وقدم صورة وافية عن الحياة الاجتماعية خلاله، وجاء مدعماً بالوثائق التي كانت في متناول البيهقي، بحكم منصبه، إذ كان يشغل منصب نائب رئيس ديوان الرسائل خلال عهد السلطان محمود الغزنوي وابنه مسعود، ثم تولى رئاسة الديوان في عهد السلطان عبد الرشيد بن محمود[4] وقد أثرى هذا الكتاب الرسالة بمعلومات دقيقة وشاملة عن العلاقات السياسية بين الدولتين الغزنوية والقراخانية، وانفرد بذكر تفاصيل مهمة عن إمارة خوارزم، وأسرة آل مأمون، وسياسة السلطان محمود تجاهها، وكيف

---

[1] عفاف زيدان، نفسه، ص : 10 – 11.

[2] أسامة محمد فهمي، مناهج الكتابة التاريخية الفارسية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي،مجلة كلية الآداب،جامعة أسيوط العدد(6)،ديسمبر2000م،ص: 10.

[3] انظر: علي صفا، مقدمة كتاب تحقيق ما للهند، للبيروني، ص: 9–11.

[4] انظر: يحيى الخشاب، مقدمة تاريخ البيهقي، ص: 5 – 6.

استطاع السيطرة عليها وضمها إلى أملاك دولته. وبناءً على ذلك يمكن وصف ما جاء في كتاب البيهقي بأنه حديث رجل سياسي عن حياة السلطان الذي عمل معه، وعما يجري في الشؤون الداخلية والخارجية للدولة، هذا وقد أقدم الدكتور يحيى خشاب والأستاذ صادق نشأت على ترجمة هذا المصنف الشهير عن الفارسية، وقدماه على طبق من ذهب للقرّاء والباحثين المهتمين بتاريخ الغزنويين.

ومن المصادر المهمة التي أفادت الرسالة، كتاب (سياست نامه) أو (سير الملوك) للوزير نظام المُلك أبي علي حسن بن علي الطوسي، الذي مات قتيلاً سنة (485هـ/1092م)، ألف نظام الملك كتابه خلال وزارته الطويلة للسلطان ملكشاه السلجوقي باللغة الفارسية وجعله تسعة وثلاثين فصلاً[1]، نثر فيها آراءه في إقامة الدول وتنظيمها مع الشواهد التاريخية، وترجع أهمية هذا الكتاب؛ لاحتوائه على ثروة من المعلومات عن نظم الحكم والإدارة في العهدين الغزنوي والسلجوقي، فضلاً عن أنه أمّدنا بمعلومات ذات قيمة كبيرة عن نشأة الدولة الغزنوية وجهود المملوك البتكيــن في ذلــك، وأورد معلومات تتعلق بالجيش الغزنوي وترتيب وظائف العبيد والخدم منذ بداية التحاقهم في سلك الخدمة ببلاط الأمراء، ومراحل تدرجهم في الوظائف حتى تقلدهم قيادة الجيوش أو الحجابة، كما أنه أورد بعض الإشارات المهمة عن علاقة السلطان محمود مع دار الخلافة العباسية، وعلى الرغم من أهمية هذا المصدر، إلا أن أبرز ما يؤخذ على مؤلفه: الوقوع في كثير من الأخطاء التاريخية فضلاً عن تصحيف الكثير من أسماء الأعلام والمدن الواردة فيه. هذا وقد ترجم الدكتور يوسف حسين بكّار هذا الكتاب إلى العربية وعلّق عليه، فضلاً عن حرصه على تصحيح معظم الأخطاء التاريخية التي وقع فيها المؤلف.

ويُعد كتاب (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي المتوفى سنة (597هـ/1201م) أحد المصادر العربية المهمة التي أفدنا منها أثناء إعداد هذه الرسالة، صحيح إن هذا الكتاب لم يدّون تاريخ الغزنويين كاملاً، إلا أنه احتوى تفصيلات مهمة لم ترد في المصادر الأخرى، كان أهمها: تدوين نصوص العديد من الكتب والمراسلات[2] التي دارت بين السلطان محمود ودار الخلافة العباسية فكان لهذه المراسلات الأثر الكبير في فهم وتحليل العديد من الأحداث التاريخية وتحديد تواريخها الدقيقة، فضلاً عمّا سلطه من ضوء على علاقة الود والاحترام التي ربطت السلطان محمود بالخلافة العباسية.

وهناك بعض المصادر الخاصة بتاريخ السلاجقة، أفادت هذه الرسالة فيما يتعلق بعلاقة السلطان محمود بالسلاجقة، ناهيك عما أوردته هذه المصادر عن أصل السلاجقة ومناطق استقرارهم ودورهم السياسي في ما وراء النهر قبل نزوحهم إلى خراسان واحتكاكهم بدولة السلطان محمود، ومن هذه المصادر: (أخبار الدولة السلجوقية) لناصر

---

[1] غلام حسين يوسفي، مقدمة كتاب سياست نامه، ص: 23–24.
[2] انظر: نماذج من تلك المراسلات, ضمن ملاحق الرسالة.

بن علي الحسيني، المتـــوفى سنـــة 575هـــ/1180م، وكتاب: (راحة الصدور وآية السرور) لمحمد بن علي سليمان الراوندي، المتوفى سنة 599هـــ/1212م.

أما كتاب: (الكامل في التاريخ) لمؤلفه عز الدين علي محمد بن عبد الكريم المعروف بـــ: (ابن الأثير) المتوفى سنة (630هـــ/1228م)، فإنه لا غنى لأي باحث عنه، إذ أنه من المصادر المهمة في هذه الرسالة، وعلى الرغم من أن (الكامل) يعد من المصادر العربية في التاريخ العام، إلاّ أن أهميته أيضاً شملت الدراسات التفصيلية لمختلف العصور، فقد كان خير مُعين أمد الرسالة بمعلومات وافيـــة عن فتوح السلطان محمود في شبه القارة الهندية ودّون معلومات مهمة عن علاقة السلطان بالسلاجقة، فضلاً عمّا سجّله من معلومات عن علاقة السلطان محمود بالقوى السياسية الأخرى في بلاد المشرق. ومع أن هذا الكتاب، قد استمد معظم معلوماته عن الدولة الغزنوية من تاريخ اليميني للعتبي، فإن هذا لا يمنع مؤلفه من الإنفراد ببعض الأخبار المهمة عن تاريخ السلطان محمود.

وتتجلى أبرز خصائص هذا الكتاب في محاولة مؤلفه عرض حقائق التاريخ عرضاً مبسطاً ومترابطاً، وذلك بانتهاجه منهج الموضوع الواحد في إطار حولي، وقد عُرف ابن الأثير بدقة معلوماته وشمولها، ولكن مما يؤخذ عليه أنه –أحياناً– يسوق أحداث عدة سنوات بصورة مجتمعة مع بعضها البعض ضمن حوادث السنة الواحدة التي هو بصدد الحديث عن حوادثها، وتبدو كأنها حادثة واحدة وقعت جميعها في تلك السنة.

ومن المصادر التي اعتمدت عليها كتاب: (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لأبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر المعروف بـــ: (ابن خلكان) المتوفى سنة (681هـــ/1281م)، وهو كتاب ضم بين دفتيه تراجم العديد من الشخصيات الإسلامية التي لعبت دوراً بارزاً في تاريخنا الإسلامي، وقد كان لهذا المصدر أهمية كبيرة بما سجله من معلومات قيّمة عن حياة السلطان محمود، ومذهبه الديني، وانفراده بتدوين نص رواية إمام الحرمين عبد الملك الجويني المتعلقة بمذهب السلطان محمود الفقهي، ولم يكتف فقط بالإشارة إليها كما فعل الذهبي وابن كثير، واستفدنا أيضاً من هذه المصدر عند ترجمتنا لبعض الأعلام والشخصيات الإسلامية التي ورد ذكرها في هذه الرسالة.

ومن المصادر التي رجعت إليها كتاب: (تاريخ كزيدة) لمؤلفه حمد الله مستوفي القزويني المتوفى سنة (730هـــ/1329م) الذي ألفه بالفارسية، حيث أفادني هذا المصدر بمعلومات وافية عن الاضطرابات السياسية التي عصفت بالدولة السامانية، وظروف نشأة الدولة الغزنوية وجهود سبكتكين وابنه محمود في الدفاع عن السامانيين ضد حركات التمرد والعصيان، فضلاً عن دفاعهما ضد أطماع القراخانيين في ملك بني سامان، قبل انفصال الدولة الغزنوية عنها، وقد قمنا بترجمة بعض الأجزاء ذات العلاقة المباشرة بموضوع الرسالة في قسم الدراسات الشرقية التابع لجامعة القاهرة، كما أننا وجدنا ترجمة دقيقة للفصل الثامن من الباب الرابع ملحقاً بتاريخ بخارى للنرشخي، استفدنا منه عند دراسة نشأة الدولة الغزنوية ومراحل تطورها.

وهناك مصادر تاريخية أخرى كتبت باللغة الفارسية منها كتاب: (طبقات ناصري) لمنهاج الدين الجوزجاني وكتاب: (روضة الصفا) لميراخواند محمد بن سيد برهان،

وترجع أهمية هذين المصدرين إلى انهما سجّلا تاريخ الغزنويين بشكل عام وتناولا بالتفصيل الجانب السياسي والعسكري لفتوح السلطان محمود في بلاد الهند، كما أنهما أوردا معلومات ذات قيمة كبيرة تتعلق بسياسة السلطان محمود الداخلية والخارجية.

وكان لكتب البلدان أهميتها في إغناء الرسالة؛ لتسجيلها حياة الشعوب وأنشطتها المتنوعة التي يهتم مؤلفوها بها عند رحلاتهم وتنقلاتهم عبر المدن والأقاليم والبلدان، منها على سبيل المثال: (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لمؤلفه أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي المتوفى سنة(346هـ/957م)، وكتاب: (المسالك والممالك) لمؤلفه أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الأصطخري، المتوفى (في النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)، وكتاب (صورة الأرض) لمؤلفه أبي القاسم محمد بن علي النصيبيني المعروف بـ: (ابن حوقل) المتوفى سنة (367هـ/977م)، وكتاب: (احسن التقاسيم) لمؤلفه شمس الدين أبو عبد الله المقدسي، المتوفى سنة (380هـ/990م) وكتاب: (معجم البلدان) لياقوت بن عبد الله الحموي المتوفى سنة (626هـ/1229م)، وكتاب: (آثار البلاد وأخبار العباد)لزكريا بن محمد بن محمود القزويني المتوفى سنة (682هـ/1283م).

ولكن يعاب على بعض هذا النوع من المصادر أن مؤلفيها اعتمدوا على السماع في كتاباتهم، فجاءت بعيدة عن الواقع، وهذا ما جعلها – أحياناً – تختلف وتتناقض عند الحديث عن بعض المدن والأقاليم أو ضبط أسمائها، والحق أن بعضها قدم معلومات دقيقة وصحيحة اعتمدوا في تدوينها على المشاهدة بأنفسهم أو باستقصاء الحقائق فيما وصل إليهم ومع كل هذا، فان هذه المصادر لها أهميتها في إغناء الرسالة بمعلومات ممتازة عند التعريف بالمدن والأقاليم التي ورد ذكرها في هذه الرسالة، فضلاً عن أن بعضها قد سجّل بعض الحقائق التاريخية المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها.

ثانيا: المراجع العربية والفارسية الحديثة:

اعتمدنا على الكثير من المراجع العربية والفارسية الحديثة في إنجاز هذه الرسالة، سنكتفي بالإشارة إلى المهم منها، التي أسهمت في إضافة الكثير من الأفكار المهمة، أغنتنا ببعض المعلومات ذات العلاقة المباشرة بهذه الرسالة، وسنورد نماذج منها، كالآتي:

(تاريخ الإسلام في الهند) للدكتور عبد المنعم النمر، وكتاب: (تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم) لمؤلفه الأستاذ الدكتور أحمد محمود الساداتي، وكتابي: (بلاد الهند في العصر الإسلامي)، و (تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي) وهما للأستاذ الدكتور عصام الدين الفقي، وكتاب: (الإسلام والحضارة العربية في آسيا) للدكتور حسن أحمد محمود، وكتاب: (انتشار الإسلام في آسيا) لمؤلفه الدكتور محمد نصر مهنا، وكتاب: (خراسان في العصر الغزنوي) للدكتور محمد حسن العمادي، وكتاب: (ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين) لمؤلفه أبي الحسن علي بن الحسين الندوي.

كان لهذه المراجع القيّمة وغيرها أعظم الأثر في إثراء هذه الرسالة، بجملة من الأفكار والاستنتاجات والنتائج المهمة، فضلاً عن الفائدة الكبيرة من طريقة كتابتها،

ومعالجتها الموضوعية للدراسات التي تصدت لها، خاصة ما يتعلق بتاريخ الغزنويين وحضارتهم في خراسان والهند، وبلدان الخلافة الشرقية.

ومن المراجع الفارسية الحديثة التي رفدت هذه الرسالة بالعديد من الأفكار والنتائج والإستنتاجات المهمة كتاب: (سلطنة غزنويان) للأستاذ خليل الله خليلي، فقد تميز بمعلوماته المهمة عن نشأة الدولة الغزنوية، ومراحل تطورها، فضلاً عن المعلومات المتعلقة بسياسة السلطان محمود الداخلية والخارجية وجهوده في نشر الإسلام وحضارته في شبه القارة الهندية.

وعلى الرغم من أن مؤلفه قد اعتمد على مصادر فارسية وعربية إسلامية رجعنا إليها، واستقينا منها الكثير من أفكار هذه الرسالة، إلاَّ إننا نميل إلى أن ذلك لا يقلل من أهمية هذا الكتاب، والجدير بالذكر إننا قمنا بترجمة الجزء المتعلق بموضوع رسالتنا بالاستعانة ببعض الزملاء العاملين في قسم الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، أثناء زيارتنا البحثية لها.

ومن المراجع الفارسية التي عدنا إليها ووقفنا على بعض أفكارها كتاب: (تاريخ إيران بعد الإسلام منذ بداية الدولة الطاهرية وحتى نهاية الدولة القاجارية) للمؤرخ الفارسي عباس إقبال، حيث أفذنا من بعض أفكار هذا الكتاب ومعلوماته المتعلقة بالسلطان محمود الغزنوي وسياسته الداخلية والخارجية، وإن كان مؤلفه – مع الأسف – قد تحامل على السلطان، وقلّل من جهوده في نشر الإسلام، والدفاع عنه، بل وكال إليه العديد من الإتهامات التي لا تليق بشخصية إسلامية على مستوى السلطان محمود، وعلى كل حال فإن ما استعرضناه من أسماء المراجع العربية والفارسية ما هي إلا نماذج للعديد من المراجع اعتمدنا عليها في رسالتنا، لا يسعنا المقام الحديث عنها، سيجدها القارئ ضمن قائمة المراجع المرفقة في نهاية الرسالة.

ثالثا: المراجع الأجنبية الحديثة:

أفادت الرسالة العديد من المراجع الأجنبية الحديثة بما احتوته من أفكار ومعلومات ذات قيمة كبيرة، أسهمت في إضافة الكثير من المعلومات والوضوح لها، ولعل أبرز هذه المراجع:

مؤلفات المستشرق الروسي الكبير بارتولد: (تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي)، وكتاب: (تاريخ الترك في آسيا الوسطى) إذ احتوى السفر الأول على معلومات مهمة جداً عن نشأة الدولة الغزنوية، ومراحل تطورها، وظروف تولي السلطان محمود العرش، فضلاً عن بعض المعلومات الخاصة بعلاقة السلطان محمود بالدولة القراخانية ودار الخلافة العباسية، أما كتابه الآخر فكان ذا قيمة كبيرة عند التعريف بالقراخانيين، أصلهم، ونشأتهم، وموطنهم الأصلي وديانتهم وما إلى ذلك.

ومن المراجع الأجنبية التي رفدت هذه الرسالة بجملة من المعلومات والأفكار القيّمة، كتاب: (حضارات الهند) للمستشرق غوستاف لوبون، خصوصاً عند دراسة أوضاع الهند الدينية والإجتماعية وأثر ذلك على نجاح فتوح السلطان محمود فيها.

وكان لكتاب توماس أرنولد الشهير الموسوم بـــ: (الدعوة إلى الإسلام) دور مهم في إثراء هذه الرسالة، خصوصاً عند دراسة الآثار الدينية لحملات السلطان وفتوحاته

في بلاد الهند، إذ أورد هذا الكتاب معلومات ذات قيمة كبيرة عن الوسائل والطرق التي انتشر بفضلها الإسلام، مؤكداً أن الفاتحين المسلمين كانوا يدعون الهنود إلى الإسلام سلمياً قبل الدخول معهم في معارك حربية، بمعنى أن هذا الكتاب نفى ما أوردته بعض كتب المستشرقين من أن الإسلام انتشر في الهند بالقوة وحد السيف ودون دعوة أهل البلاد المفتوحة للدخول في الإسلام بالطرق السلمية.

ومن المراجع الأجنبية الحديثة التي أغنت هذه الرسالة في مختلف فصولها وملاحقها، مؤلفات المستشرق الكبير " **Lane – Pool** " والتي كان أبرزها: كتاب: (طبقات سلاطين الإسلام) وكتاب:(الدول الإسلامية) وكتاب:

.(Medieval India under mahumedan)

ومن المؤلفات المفيدة في رسالتنا، كتاب:

:Bosworith , (C. E.)

الموسوم بـــ:(**The Ghaznavids their empire afghanistnard eastern Iran**)

وعن أوضاع بلاد الهند قبيل فتوح السلطان محمود الغزنوي، افدنا من كتاب المؤرخ الهندي:

" **M).PANIKKAR, (K** "

الموسوم بـــ: (**Asurvey of indan History**)

إذ كشف هذا المؤرخ أوضاع الهند السياسية المضطربة قبيل قيام السلطان محمود بحملاته المتتابعة على بلاد الهند، فضلاً عن عزلتها وأنطوائها على نفسها، دون مراقبة ما يحدث على الحدود. هذا وهناك العديد من المراجع الأجنبية الحديثة التي كان لها دور مهم في إخراج هذه الرسالة وإثراء أفكارها وموضوعاتها، لا يسعنا المقام لذكرها، سيجدها القارئ ضمن المصادر والمراجع المذيلة بأخر الرسالة.

رابعا: المعاجم والدوريات والرسائل العلمية:

أسهمت العديد من المراجع الحديثة المتخصصة في رفد الرسالة بمعلومات مهمة، تكمل ما غمض ولم توضحه المصادر الأولية، وفي مقدمة هذه المراجع كتب المعاجم والمصطلحات الحديثة التي أوضحت الكثير من المفردات والمصطلحات التي تطلب شرحها والوقوف عليها، وتبيان معانيها، ومن بين كتب المصطلحات والألقاب التاريخية التي اعتمدنا عليها لتحقيق ذلك، كتاب: (الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار) لمؤلفه الدكتور حسن الباشا، وكتاب: (معجم المصطلحات والألقاب التاريخية)، لمؤلفه الدكتور مصطفى عبد الكريم الخطيب، فقد كشفت هذه الكتب عن معاني دلائل بعض الألقاب والرتب، وبعض أنواع الأسلحة والملابس والأطعمة والكلمات والمصطلحات التي كانت مستخدمة في الحياة السياسة أو العامة خلال ذلك العصر.

ومن الدراسات الحديثة التي أغنت الرسالة بمعلوماتها دراسة الأستاذ أدهام فاضل خطاب بعنوان: (علاقات الدولة الغزنوية بالبويهيين والخلافة العباسية) وهي رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت إلى كلية الآداب جامعة الموصل سنة **1984**م، وقد افدنا من بعض معلوماتها عن علاقة السلطان محمود مع البويهيين والخلافة العباسية، وان كانت مقتضبة وغير مفصلة.

كما أن هذه الرسالة قد استفادت من البحوث المنشورة في بعض الدوريات العلمية نذكر منها على سبيل المثال:

بحث الدكتور أحمد الجوارنة: (التنظيم الإداري لديوان العرض (الجند) في عهد الدولة الغزنوية) المنشور في مجلة دراسات تاريخية، الصادرة عن لجنة كتابة تاريخ العرب، بجامعة دمشق، العددان (5–6) سنة 1996م، فكان لهذا البحث أهمية كبيرة عند دراسة الجيش الغزنوي وإعداده خلال عهد السلطان محمود، خصوصاً ما يتعلق بإدارة الجيش ونفقاته.

بحث الدكتور علي بن صالح المحيمد:(العلاقات السياسية بين الدولة القراخانية والدولتين الغزنوية والسلجوقية) المنشور في مجلة الإمام محمد سعود الإسلامية، العدد (20) سنة 1418هـ، إذ كان لهذا البحث أهمية كبيرة عند دراسة علاقة السلطان محمود مع الدولة القراخانية.

وأخيرا كان لدائرة المعارف الإسلامية، وموجزها دور مهم في تزويدنا ببعض المعلومات القيمة والمتنوعة في جميع فصول الرسالة، فضلاً عن تسهيلها لمهمة البحث عن المصادر والمراجع التي تتعلق بموضوع رسالتنا.

وأختتم مقدمتي هذه بقول للقاضي الفاضل:

((أني رأيتُ أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلاّ قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر)).

الفصل الأول

الدولة الغزنوية

نشأتها, وأحوالها السياسية حتى تولي السلطان محمود العرش:

1- ظروف نشأتها.
2- آل البتكين ودورهم في نشأتها.
3- سبكتكين المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية.
4- محمود الغزنوي وظروف تولية العرش.

1- ظروف نشأتها:

تعرضت الخلافة الإسلامية، منذ أن استأثر الأتراك فيها بزمام الأموردون الخلفاء – في مستهل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) – إلى كثير من الاضطرابات السياسية[1]، حتى كأنه عقد انفرط أو صخرة تفتت[2]، ولعل اصدق وصفٍ لتلك الحالة التعيسة التي مرّ بها الخلفاء العباسيون في تلك المرحلة السالفة، هو قول الشاعر دعبل الخزاعي (المتوفى سنة 246هـ / 860م)[3].

خليفة مات لم يحزن له أحـــدٌ وآخر قام، لم يفرح به أحـــــد
فمرّ ذاك، ومرّ الشؤم يتبعـــه وقام هذا، فقام النحس والنكـــد

أخذت العديد من العناصر التي غُلبت على أمرها،كالعرب، والفرس؛ تعمل على استرداد نفوذها، واستقطاع أجزاء كبيرة من الخلافة الإسلامية، وإعلان انفصالها عنها، وإذا ما تركنا دويلات الخلافة الإسلامية في المغرب، واتجهنا بحديثنا إلى دويلات الخلافة في المشرق، نجد أن الدولة الطاهرية (205 – 259هـ/820 – 872م)[4] ، كانت أول حركة انفصالية ، قامت في المشرق، واتخذت من نيسابور[5] عاصمة لها، وسيطـرت علـى خراســان[6] وعـــدد من المــدن الواقعــة إلى الشــرق من

[1] ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، تح: عبد الســلام تــدمري،(دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م) 452/6، ابن طباطبا، محمد بن علي؛ المعروف بـــ (ابن الطقطقا):الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية،(دارصــادر، بيــروت،(لا.ت))، ص: 131،. سرور، محمد جمال الدين، تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق (ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1387هـ/1967م) ص: 69.

[2] أحمد أمين: ظهر الإسلام، (ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، (لا.ت)) 1/1.

[3] العبادي،احمد مختار:في التاريخ العباسي والفاطمي(مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،(لا.ت)) ص:125.

[4] مؤسس هذه الإمارة؛ طاهر بن الحسين، أحد أبرز قادة جيش الخليفة العباسي المأمون، وموضع ثقته، وقد منحه الخليفة حكم البلاد الواقعة إلى الشرق من بغداد؛ مكافأة له على جهوده ومعاونته الحربية التي بذلها في سبيل نصرة المأمون على أخيه الأمين أثناء الحرب التـي دارت بينهمـا (195–198هـ)، راجع الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، منشـورات محمـد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م 252/5–253، ابن الأثير، الكامـل، 360/6- 361، سرور، تاريخ الحضارة، ص:79، العبادي، في التاريخ، ص: 149.

[5] مدينة عظيمة، من مدن خراسان، ذات فضائل حسنة وعمارة،كثيرة الخيرات كانت مجمع العلماء ومعدن الفضلاء. راجع:القزويني، زكريا بن محمد محمود،آثــار الــبلاد وأخبــار العبــاد، دار بيروت،بيروت 1404هـ/1984م، ص: 473.

[6] بلاد واسعة يحدّها من الشرق سجستان وبلاد الهند، ومن الغرب بلاد الغُز ونــواحي جرجــان، ومن الشمال إقليم ما وراء النهر، ومن الجنوب مفازة فارس وقومس، تشتمل على أمهــات مــن المدن منها: نيسابور وهراة ومرو وبلخ وغيرها. وكلمة (خراسان) بالفارسية مركبة من (خور) وتعني شمس و (اسان) وتعني شروق أي شروق الشمس. راجع: الاصــطخري، أبــو إســحاق إبراهيم بن محمد الفارسي: المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال الحســيني، مراجعــة: محمد شفيق غربال.(وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1318هـ/1961م)، ص:145،=

بغــداد[1] ،ثم تلتها الدولة الصفارية في سجستان[2] (254 – 290هــ/868-902)[3] ، وسيطرت على وادي كابل[4] والسند[5]، ومكران[6]،ثم دخلت كرمان[7] وفارس[8] تحت سيطرتها[9].

وما أن حلّ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)؛ حتى ساد الانقسام كل المنطقة، إذ سيطر البويهيون[10] على فارس والري[11] وأصبهان[12] وبلاد الجبل[13]،ثم دخلت بغــداد تحت سيطرتهم سنة 334هــ/945م، وبسطت الدولة السامانية (261-389هــ/874-999م) سيطرتها علــى بــلاد بلاد ما وراء النهر[14] وخراسان وإقليم فارس إلى كرمان[15].

=الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي: معجــم البلــدان. (دار بيروت، لبنان، 1408هــ/1988م)، 2/350-354.

[1] ابن الأثير، الكامل ، 7/13.

[2] ناحية كبيرة، وولاية واسعة، جنوبي هراة، عاصمتها (زرنج). راجع: الحموي، البلدان، 3/190.

[3] مؤسس هذه الدولة هو يعقوب بن الليث الصفار، أحد زعماء المتطوعة منــذ 237هـــــ/851م لحرب الخوارج بسجستان، وقد لُقب بالصقار لأنه بدأ حياته صانعاً للصفر (النحاس) ولم يلبــث يعقوب بكفاءته وقوة شخصيته أن صار زعيماً لفرقة المتطوعة، ووالياً على سجستان والمناطق المجاورة، فقوي نفوذه وأعلن قيام دولته. (الطبري، تاريخ، 5/428، 429، 495، 499، 500، 502، 504، 505، 510).

[4] اسم يشمل الناحية، ومدينتها العظمى (اوهند) وهي ولاية ذات مروج كبيرة، تقــع بــين الهنــد وغزنة، وقد نسبها الحموي إلى الهند. انظر: البلدان: 4/426- 427.وهي اليوم عاصمة افغانستان.

[5] بلاد تقع بين الهند وكرمان وسجستان ومعظمهم يجعل مكران منها.الحموي: البلدان، 3/267.

[6] ناحية واسعة وعريضة، هي الحد الشرقي لبلاد كرمان. الاصطخري،المسالك، ص: 105،97.

[7] ولاية مشهورة، واسعة، بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. الحموي، البلدان، 4/454- 456.

[8] ولاية واسعة، وإقليم فسيح يحدها من جهة العراق أرجان، ومن جهة كرمان الســيرجان، ومــن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران. الحموي، البلدان، 4/226.

[9] ابن الأثير، الكامل، 7/184، 185، 191، 92، 247، سرور، تاريخ الحضارة، ص: 79.

[10] سنتحدث عنهم بشيء من التفصيل في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

[11] مدينة مشهورة، من أمهات البلاد وإعلام المدن، عاصمة إقليم الجبال تبعد عن نيسابور بحوالي مائة وستّون فرسخاً. الحموي، البلدان، 3/116.

[12] إحدى نواحي بلاد الجبل. الحموي، البلدان، 1/206.

[13] إقليم واسع يحده من الشرق خراسان وفارس وأصبهان، ومن الغرب أذربيجان ومن الشــمال الديلم وقزوين والري. الاصطخري، المسالك، ص: 115.

[14] يراد به ما وراء نهر جيحون، وكانت تسمى بلاد الهياطلة، وبعد ظهور الإسلام سمّوها ببلاد ما وراء النهر، وهو إقليم من أخصب أقاليم الأرض وأكثرها خيراً. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي: صورة الأرض دار الكتاب الإسلامي،القاهرة،لا.ت، ص:384.الحموي،البلدان،5/45.

[15] النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر: تاريخ بخارى، نقله عن الفارسية وقدم له وحققــه وعلــق عليه: د . أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، (ط3، دار المعــارف، القــاهرة،

والى جانب هاتين الدولتين الكبيرتين كانت هناك بعض الإمارات الصغيرة، التي تتمتع ما يشبه الاستقلال الذاتي مثل: إمارة سجستان، وكان يحكمها بقايا من بني الصفار، وإمارة طبرستان[1]وكان يحكمها بقايا الأسرة الزيارية[2]وإمارة خوارزم[3]وتحكمها أسرة آل مأمون[4].

وبما أن الدولة الغزنوية وليدة الدولة السامانية، وناشئة عنها، فلابد أن نستعرض بشكل موجز أحوال الدولة السامانية السياسية، مركزين على الثورات والاضطرابات التي رافقتها منذ نشأتها وحتى قيام الدولة الغزنوية وانفصالها عنها.

ينسب السامانيون إلى أسرة فارسية عريقة النسب، انحدرت من صلب رجل يدعــى سامـــان خداه[5]، الذي يتصل نسبه ببهرام جوبي[6] القائد العسكري المشهور[7].

1385هــ/1965م) ص: 129، الخولي، محمد مرسي: أبو الفتح البستي، حياته وشـــعره، دار الأندلس، بيروت، 1980م، ص: 10-11.

[1] بلدة واسعة، تغلب عليها الطبيعة الجبلية، تقع بين الرّي وقومس والبحر وبلاد الـــديلم والجبـــل. الحموي، البلدان، 13/4.

[2] مؤسس هذه الإمارة هو مرداويج بن زيار الديلمي، الذي قوي أمره وعظمت جيوشه، واســـتولى على بلاد الجبل والرّي، ودانت له الديلم وأتوه طـــائعين، ثـــم اســـتولى علـــى جرجـــان ســـنة 315هـــ/946م واتخذها دار ملكه، للمزيد عن أخباره راجع: القرماني، أحمد بن يوسف: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، تم: أحمد حطيط و فهمـــي ســـعد، عـــالم الكتـــب، بيـــروت، 1412هــ/1992م، 443/2 – 444.

[3] اسم لناحية كبيرة،عاصمتها الجرجانية،وأهلها يسمونها كركانج وتقع على نهر جيحون. الحموي، البلدان، 395/2.

[4] حكمت هذه الأسرة بلاد خوارزم؛لذلك يُسمون أحيانا بالخوارزمشاهيين،وقد بـــدأوا حيـــاتهم ولاة تابعين للسامانيين،وفي الفترة ما بين سقوط الدولة السامانية وقيام الدولة الغزنويـــة كـــانوا شـــبه مستقلين،ثم عادوا حكاماً تحت حماية الغزنويين.ولا يعرف مؤسس هذه الأسرة على وجه التدقيق ولكن اسمهم يرد في التاريخ منذ سنة 380هــ/990م.

القزويني، العلامة محمد بن عبد الوهاب، حواشي كتاب: جهار مقالة، للسمرقندي، أحمد بن عمـــر بن علي المعروف بـــ: (النظامي العروضي): ترجمة عن الفارسية: عبد الوهاب عزام ويحيـــى الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1368هــ/1949م، ص168. الخولي، أبـــو الفتح، ص: 11-12، خطاب، أدهام فاضل، علاقات الدولـــة الغزنويـــة بـــالبويهيين والخلافـــة العباسية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1984م، ص: 18.

[5] سامان قرية من قرى بلخ، وسامان خداه معناه: المالك سامان لان (خداه) بالفارسية تعني الملك، فيكون أرادوا ذلك، ثم غلب عليهم هذا الاسم. وذلك كقولهم: شاه أرمن، وخوارزم شاه لصاحب خوارزم. الحموي، البلدان، 172/3-173.

[6] أحد ابرز القادة العسكريين الساسانيين، ينتمي إلى أسرة الملـــك الساســـاني أفريـــدون. أنظـــر: الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك ابن محمود. زين الأخبار، نقله إلـــى العربيـــة: د . عفاف السيد زيدان، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1402هــ/1982م، ص: 232.

[7] الكرديزي،المصدر نفسه والصفحة،بوخنر،(مادة السامانية)، دائرة المعارف الإسلامية،تر: أحمد الشنتاوي وآخرون، (القاهرة، 1933م) 76/11، ص: 232.،بارتولد: فاسيلي فلاديميروتشـــي:

كان أول اتصال للسامانيين بالخلافة الإسلامية، قد تم عن طريق جدّهم سامان؛ حيث وفد إلى أسد بن عبد الله القسري[1]،والي خراسان في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك[2]، فأكرمه أسد، وقهر أعداءه، فاعتنق الإسلام على يديه، وسمّى ابنه أسدا، تعبيراً عن مدى عُمق العلاقة وصدق المحبة بينهما[3].

ليس لدينا معلومات واضحة عن حياة أسد هذا، لكن أبناءه – وهم: نوح وأحمد ويحيى وإلياس – دخلوا في خدمة الخليفة العباسي المأمون[4]، واستطاعوا – بفضل حنكتهم وحسن بلاءهم في الحرب – أن يكسبوا عطفه وينالوا رضاه، وتنفيذاً لرغبة الخليفة، عيّن والي خراسان غسان بن عباد[5](204-206هـ/ 819-821م) نوحاً حاكماً على سمرقند[6]، وأحمد علي فرغانة[7]، في حين عيّن يحيى علي الشاش[8]، وإلياس على هراة[9]، وتم ذلك في سنة 202هـ/817م[10].

اصبح السامانيون في بلاد ما وراء النهر حكاما بالوراثة، واستطاع أحمد بن أسد – الذي امتدت حياته إلى ما بعد وفاة أخوته أجمعين – أن يرثهم في حكم مدن إقليم ما

تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله إلى العربية: صلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت،1401هـ/1981، ص:332.

[1] ولد ونشأ بدمشق، ولاه أخوه (خالد بن عبد الله) خراسان سنة 106هـ/724م، فأقام بها زمنا، وجدد بناء بلخ، وأنزل بها جيشه، ثم اختارها مقرا لإقامته، كان محبوبا بين المسلمين فضلا عن دهاقنة الفرس، توفي ببلخ سنة 120هـ/837م، الطبري، تاريخ 20/4.

[2] ولد عام 70هـ/689م، وولي الخلافة الأموية في شعبان 105هـ/يناير 724م واستمر في الحكم حتى وفاته سنة 125هـ/743م. (الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد ين عثمان، سير أعلام النبلاء، تح: محيي الدين أبي سعيد عمر بن غرامة، (دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1417هـ/1997م) 153/6-155.

[3] النرشخي، تاريخ بخارى، ص: 11، العمادي، محمد بن حسن، خراسان في العصر الغزنوي، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ودار الكندي للنشر، اربد (الأردن)، 1997م، ص: 14-15.

[4] عبد الله بن هارون الرشيد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور، ولد سنة 170هـ/786م، وتولى الخلافة العباسية سنة 198هـ/831م بعد حروب طاحنة مع أخيه الأمين، واستمر خليفة حتى وفاته سنة 218هـ/833م. الذهبي، السير، 44/9-54.

[5] يُكنّى (أبو الفرج)، وهو ابن عم الفضل بن سهل، والي خراسان من قبل الحسن بن سهل، ثم ولاة المأمون السند سنة 213هـ/828م، وتوفي سنة 216هـ/831م. الطبري، تاريخ، 153/5، الزركلي، خير الدين: الأعلام (قاموس تراجم) ،ط14، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م 119/5.

[6] بلد مشهور، بماء وراء النهر، وهو عاصمة لإقليم الصغد، يقع جنوبي وادي الصغد، تحديداً خلف نهر جيحون. القزويني، آثار، ص: 535.

[7] مدينة وكورة عظيمة وواسعة ببلاد ما وراء النهر على حدود شركس. الحموي، البلدان، 253/4.

[8] ناحية بما وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك. القزويني، آثار، ص: 538.

[9] مدينة عظمى من مدن خراسان. الحموي، البلدان، 396/5.

[10] النرشخي، تاريخ بخارى، ص: 112، بارتولد، تركستان، ص: 332.

وراء النهر، وأن يورث السلطة لأبنائه من بعده، فكان من أبرزهم إسماعيل بن أحمد الذي أخذ على عاتقه بناء الدولة السامانية وترسيخ نفوذها في بلاد المشرق[1].

كان أمر المشرق الإسلامي عند بروز السامانيين على المسرح السياسي، تتجاذبه عدد من القوى السياسية، على رأسهم الصفاريون والزياريون في طبرستان، لكن العظمة كانت للصفاريين أمراء خراسان وسجستان، الذين طلبوا من الخليفة العباسي المعتضد بالله[2] منشورا بتوليتهم أمر المشرق،فأرسل إلى عمرو بن الليث الصفار[3] الخلع واللواء الخاص بأمر المشرق؛ فلما اتسع ملكه، وزاد نفوذه، أرسل إلى الخليفة مرة أخرى يطلب منه منشورا آخر، بولاية بلاد ما وراء النهر، وعزل إسماعيل بن أحمد عنها. وأمام قوة الصفاريين، وضعف الخلافة العباسية آنذاك لم يجد الخليفة بُدا من إجابته وتنفيذ طلبه، فأرل إليه منشورا يقلده بلاد ما وراء النهر، فكانت هذه الولاية بيأ في هـــلاك عمرو بن الليث وذهاب مُلكه[4].

خرج عمرو بن الليث ليستولي على ولاية بلاد ما وراء النهر، ويقصي إسماعيل بن احمد الساماني عنها، لكن لم يكن الأخير بالذي يسلمها إليه، إذ كتب إليه يقول: ((انك قد وُليت دنيا عريضة، وإنما أنا في يدي ما وراء النهر، وأنا في ثغر، فاقنع بما في يديك، واتركني مقيما بهذا الثغر))[5] فأبى إجابته وقرر ضم بلاد ما وراء النهر بالقوة العسكرية، فدارت بين الطرفين معركة حاسمة سنة 287هـ/900م ونجح الأمير الساماني في هزيمة عمرو بن الليث وأسره، ثم أرسله إلى دار الخلافة ببغداد[6]. وبذلك تخلص الأمير إسماعيل من أشد وأقوى خصومه في بلاد المشرق الإسلامي.

لما وصل الخبر إلى الخليفة المعتضد، سر سرورا بالغا، وأرسل رسوله إلى خراسان ومعه عهد خراسان والتاج والخلع الكثيرة إلى إسماعيل بن أحمد في سمرقند سنة 288هـ/900م، فصارت ولاية خراسان وما وراء النهر وتركستان[7]والسند

---

[1] بارتولد، تركستان، ص: 233.

[2] أبو العباس أحمد بن الموفق بالله بن طلحة بن المتوكل، ولد سنة 242هـ/856م، وتولى الخلافة بعد عمه المعتمد في رجب 249هـ/أغسطس 863م، واستمر خليفة حتى وفاته سنة 283هـ/900م. الذهبي، السير، 11/29-37.

[3] تولى حكم الإمارة الصفارية بعد وفاة أخيه يعقوب سنة 265هـ/878م وكان خيرا من أخيه في التدبير وأحكام السياسة، ولم يزل في حروب ووقائع لا قيمة لها، حتى تعرض للهزيمة والأسر من قبل إسماعيل بن أحمد الساماني سنة 287هـ/900م. انظر: الكرديزي، زين الأخبار، ص: 226-231، الحضري، الشيخ محمد، تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، ط3،دار المعرفة، بيروت، 1418هـ/1997م، ص: 265-266.

[4] الكرديزي، زين الأخبار، ص:229،228،226، ابن طباطبا،الفخري، ص:256، الخضري، محاضرات، ص: 275.

[5] الطبري، تاريخ، 632/5.

[6] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 230-231، الخضري، محاضرات، ص: 75.

[7] اسم جامع لجميع بلاد الترك. الحموي، البلدان، 23/2.

والهند[1] وجرجان تابعة لــه، فأضحت الدولة السامانية مترامية الأطراف، مهابة الجانب، خصوصا في عهد الأمير إسماعيل، الذي تميز بحسن السياسة والدهاء في معالجة الأمور، وصارت بخارى[2] في أيامه دار المُلك، واتخذها كل الأمراء السامانيين من بعده[3] وانتظمت بلاد خراسان وما وراء النهر لإسماعيل بن أحمد، ولم يزل على ما هو عليه والخلافة العباسية راضية عنه حتى وفاته في شعبان 290هـ/نوفمبر 902م[4].

تولى مقاليد الحكم في الدولة السامانية أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني فأصبح قائدا لدولة ذات سطوة كبيرة في بلاد المشرق، وعلى علاقة وثيقة بدار الخلافة العباسية، إلى حد أنها كانت تستعين بها في قمع بعض التمردات[5].

شاءت الأقدار الإلهية، إن هذه الدولة (خلال عهد الأمير أحمد) قد أحدقت بها الأخطار من جميع الأطراف، فمن الداخل انقسم البيت الساماني على نفسه؛ طمعا في الملك والسيادة، وقد تجلى ذلك، عندما حاول إسحاق بن أحمد (عم الأمير) ووالي سمرقند الخروج عليه، واستقطاع جزء من دولته لكنه استطاع أن يتفادى هذه الفتنة، ويقضي على محاولة عمه إسحاق، ويعيد الهدوء والأمن إلى مدينة سمرقند، وفي عهده أيضا، ازداد نفوذ الأتراك في العاصمة بخارى والأقاليم الأخرى، نظرا لاستخدامهم بكثرة في البلاط الساماني وفي صفوف الجيش منذ عهد الأمير إسماعيل، أسوة بالخلفاء العباسيين، على الرغم من أن هؤلاء لم يبلغوا في ذلك العهد، ما بلغوه في العهود التي تلت، من نفوذ وسيطرة[6].

شغف الأمير أحمد بالصيد على شواطئ نهر جيحون سنة 301هــ/913م، وبينما كان مشغولا بذلك، جاءته رسالة والية على طبرستان يخبره؛ بخروج الحسن بن علي الملقب بــ (الأطروش)[7] واستيلائه على طبرستان وفي الليلة نفسها التي وصل فيها خبر خروج الأطروش، دخل عليه جماعة من غلمانه، وقطعوا رأسه ليلة الخميس 11 جمادى الآخرة سنة 301هــ/ 13 يناير 914م، ولُقب بــ: (الأمير الشهيد)[8].

---

[1] بلاد واسعة، كثيرة العجائب، تقع إلى الشمال من السند. راجع القزويني، آثار، ص: 127.

[2] من أعظم مدن ما وراء النهر، وأجلها، كانت عاصمة الدولة السامانية، تبعد عن جيحون بيومين. الحموي، البلدان، 353/1-356.

[3] النرشخي، تاريخ بخارى، ص: 129، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 231.

[4] الكرديزي، نفسه، ص: 235.

[5] النرشخي، تاريخ بخارى، ص: 131، العمادي، خراسان، ص: 23.

[6] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 336، بارتولد، تركستان، ص: 354.

[7] يرتفع نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، دخل مع والي الدولة السامانية أبو العباس الصعلوك في معركة حاسمة للسيطرة على طبرستان وفعلا تــم لـــه ذلـــك وظلـــت طبرستان تحت سيطرته حتى وفاته. الكرديزي، زين الأخبار، ص: 130-131.

[8] النرشخي، تاريخ بخارى، ص: 131-132. على أن الكرديزي ذكر أن الأمير الشهيد اغتيل يوم الخميس 21 جمادى الآخرة سنة 301هــ، ولعل رواية النرشخي أدق؛ بسبب قرب المؤرخ مـــن الأحداث.

بعد اغتيال الأمير الشهيد أحمد بن إسماعيل؛ قام الأمراء وقادة الجيش والوجهاء والأشراف بتنصيب ابنه (نصر) أميرا للدولة السامانية (301–331هـ/914–943م) وكان عمره وقتذاك ثمان سنوات، ويذكر أنه عندما أخرج من جناح الحريم ليرفعوه على العرش كان قد سيطر عليه الخوف والرهبة؛ لصغر سِنّه، فاخذ يبكي ويقول: ((إلى أين تحملوني ؟! هل تريدون قتلي مثلما قتلتم أبي!! دَعوني!))[1]. ثم أسندت مقاليد الأمور بالاتفاق مع ممثلي البلاط إلى الوزير أبي عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني، وكان رجلا عاقلا، صائب الرأي، حسن السياسة[2].

لم يكن الأمير نصر خاليا من المواهب، كما صادفه توفيق ملحوظ في بعض أعماله، لكــن تألق عهده كان في الواقع، كالناظر إلى السراب في الصحراء، إذ لم يبلغ بحكمه الطويل إلى تقوية الدولة السامانية واستقرارها[3] ؛ بسبب ظهور الفتن في كل مكان، منذ الأيام الأولى لعهده؛ فكان عم والده إسحاق بن أحمد، أول من شق عصا الطاعة في سمرقند، وطلب البيعة لنفسه فبايعه أهلها، ونصّب ابنه الياس على شؤون الجيش، وجهّز جيشاً لمحاربة الأمير الشرعي والاستيلاء على بخارى، فأرسل الأمير نصر قائده حمويه بن علي، لصدّه والقضاء على حركته، فالتقى الجمعان في خرتنك[4] في رمضان 301هـ/ أبريل 914م وهُزم إسحاق بن أحمد وتقهقر إلى سمرقند، وتابعه حمويه، وضيّــق عليه الخناق حتى أجبره على طلب الأمان، فأمّنوه، وقدم إلى بخارى وأحسنوا إليه هناك حتى مات[5].

وفي عهده أيضا أعلن ابن عم والده (منصور بن إسحاق) العصيان 302هـ/914م، في خراسان ونيسابور، وانضم إليه حسين بن علي والي هراة، فتجمع جيش الأمير نصر وتوجه من بخارى لمحاربتهم، لكن قبل وصوله إليهم توفى منصور بن إسحاق في نيسابور، أما حسين بن علي فقد عاد إلى هراة وظل بها على عصيانه حتى وقع في الأسر في آخر الأمر، إلا أن الأمير نصر عفا عنه بشفاعة وزيره الجيهاني[6]، وخرج عن طاعته أيضا أحمد بن سهل أحد قادته العسكريين ووالي نيسابور، وأسقط اسم الأمير من الخطبة، لكنه هُزم، وتم القضاء على حركته، على الرغم من أن هذه الحركة أنهكت حكومة بخارى وكلفتها الكثير[7]، وبذلك صفت خراسان

---

1 الجوزجاني، أبو عمرو منهاج الدين عثمان بن سراج، طبقات ناصري، وبه تصــحيح ومقابلــة وتحشية وتعليق عبد الحي حبيبي قندهاري.، كابل، 1342ش/1993م، ص: 207–208.

2 المصدر نفسه، ص: 208. راجع أيضا: بارتولد: تركستان، ص371.

3 فامبري،أرمنيوس،تاريخ بخارى،ترجمة: أحمد محمود الساداتي، مراجعة وتقديم: يحيى الخشاب، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، (لا.ت))، ص: 113.

4 قرية صغيرة، بينها وبين سمرقند ثلاثة فراسخ (12 كم). الحموي، البلدان، 356/2.

5 النرشخي، تاريخ بخارى، ص: 133، الكرديزي، زيــن الأخبــار، ص: 240. الجوزجــاني، طبقات، ص: 208. فامبري، تاريخ بخارى، ص: 114.

6 الكرديزي، زين الأخبار، ص: 242–241.

7 المصدر نفسه، ص: 143.

وبلاد ما وراء النهر من المتمردين، لكن الأمير ما لبث أن توفي سنة 331هـ/943م، فاستقل كل أمير بما تحت يده من الأقاليم[1].

تولى العرش الساماني الأمير نوح بن نصر، ولُقب بـ: (الأمير الحميد) (331-343هـ /943-954م)، وتسلم العهد واللواء من الخليفة العباسي المتقي[2]، ووزر له الإمام شمس الأئمـة أبو الفضل محمد بن الحكم السرخسي[3]، حيث بدا هذا الإمام بتدبير شؤون البلاد على أساس العقل والعلم والإنصاف، إلا أن عهد الأمير نوح لم نجد من التمردات والاضطرابات من قبل بعض الأمراء وقادة الجيش[4].

كان أول عمل قام به الأمير نوح ضد الخارجين؛ محاربة أمير خراسان أبو علـي الأصفهاني[5]، واستطاع أن يقضي على حركته ويقصيه عن منصبه، ويولي إبراهيم بن سيمجور[6] مكانه. وفي سنة 435هـ/947م تحرك للقضاء على حركة تمرد أخرى قادها عمه أبو إسحاق، بدعم من أمير خراسان السابق، حيث أن عمه أبا إسحاق هرب إلى بغداد وأخذ العهد واللواء من الخليفة المستكفي[7] بحكم خراسان، فاشتبك الطرفان في معركة، انجلت عن هزيمة الأمير نوح وتقهقره إلى بخارى، بسبب خيانة بعض قادة

---

[1] النرشخي، تاريخ بخارى، ص: 133، 137.

[2] أبو إسحاق إبراهيم بن المعتضد العباسي، بُويع بالخلافة في 20 ربيع أول 329هـ/ 24 ديسمبر 940م واستمر خليفة إلى أن خلعه توزون وسمل عينيه سنة 333هـ/944م، راجع أخباره عند: ابن الأثير، الكامل، 7/91-135، الذهبي، السير، 11/551.

[3] تولى الوزارة سنة 331هـ/943م، وكان رجلا فقهيا، دينا، يحب التأليف ومشغولا به، شـديد المحاسبة، ضيّق على العابثين، فاتهموه بالتعاون مع أبي علي المنشق، وطالبوا بتسليمه، وقتلـوه في جمادى الأولى سمة 335هـ/946م. راجع: ابن الأثيـر، الكامـل: 7/120، 121، 165، بارتولد، تركستان، ص: 378، 379.

[4] ابن العبري، غريغوريوس، أبو الفرج ابن اهرون، تاريخ مختصر الدول، وقف على تصـحيحه وفهرسته: الأب انطوان اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت، 1403هـ/1983م، ص: 287، الجوزجاني، طبقات،ص: 209.

[5] أحمد بن أبي بكر بن المظفر بن محتاج، تولى خراسان في عهد الأمير السعيد نصر بن أحمـد سنة 327هـ/938م بعد عزل والده بسبب مرضه، واستمر والياً على خراسان إلـى أن عزلـه الأمير نوح بن نصر سنة 333هـ/944م وولي مكان إبراهيم بن سيمجور. للمزيد عن أخبـار راجع: ابن الأثير، الكامل، 7/80، 152، 153، 165.

[6] يُعد زعيم الحزب التركي في البلاط الساماني، تولى خراسان في 335هـ/945م، إلا انه أساء للجند في معاملاتهم وحوائجهم وأرزاقهم، فازدادوا نفوراً، فدفعهم ذلك، إلى مكاتبة إبراهيم بـن احمد (عم الأمير نوح) واستقدامه إليهم ومبايعته وتمليكه البلاد، توفي سنة 337هـ/948م،ابـن الأثير، الكامل، 7/165، بارتولد: تركستان، ص: 378-380.

7 أبو القاسم عبدالله بن المستكفي علي بن المعتضد العباسي, بويع بالخلافة بعد خلع الخليفة المتقي سنة 333هـ/ 944م, وقد لاقى نفس المصير, وشرب من نفس الكأس, فقد خلعه معز الدولة بن بويه وسمل عينيه سنة 334هـ/ 945م. الذهبي, السير, 11/555.

جيشه ورجال بلاطه الذين ضاقوا ذرعاً من الوزير شمس الأئمة، وملّوا من وزارته؛ لأنه قيّد أيدي الظلمة، وأغلق الباب أمام العابثين، ولم يسمح لهم بتحقيق أغراضهم، لذا أعرضوا عن الأمير، مهددين بالانضمام إلى عمه، ما لم يسلّم الوزير لهم، فاضطر الأمير – الذي كان بين مطرقة رجال بلاطه وقادة جيشه، وسندان عمه أبي إسحاق – إلـــى تسليم الوزير إلى هؤلاء فقتلوه سنة 335هـ / 946م[1].

تتبّع أبو إسحاق ابن أخيه الأمير نوح بن نصر، بعد الهزيمة الأولى حتى بخارى وفي جمادى الآخرة سنة 335هـ/946م، بايعه أهل بخارى، وقُرئت الخطبة باسمه على جميع منابر بخارى، فكاد الأمير نوح بن نصر على وشك أن يفقد عرشه، لولا أن دبّ بين خصميه الخلاف، الذي نتج عنه عودة الوئام بين الأمير نوح وعمه أبي إسحاق من جديد، ليعود نوح إلى عرشه في بخارى في شوال 336هـ/أبريل 947م[2].

كان الأمير نوح قد تصالح مع أبي علي الأصفهاني، وأعاد له ولاية خراسان من جديد وقلده قيادة جيوشها، وقدم إليها سنة 340هـ/95م، ونظّم شؤونها، وفي سنة 342هـ/953م ذهب أبو علي إلى الريّ، وحاصر المدينة وبها الحسن بن بويه[3]، وتوسط الناس بينهما، واصطلحا علـــى أن يعطـــي الحسن بن بويه مائتي ألف دينار كل عام، ولما رجع أبو علي إلى نيسابور دبّ الشك في نفس الأمير؛ خوفا من أن يكون أبو علي قد تواطأ مع الحسن بن بويه، فأرسل أبو علي رسلا، شارحا موقفه وموضحا ملابسات الأمر، فلم يمحُ هذا، الغضب من قلب الأمير؛ لذا عزله، وعيّن مكانه أبا سعيد بكر بن مالك[4]، لكن قبل أن يسافر الأخير إلى مقر عمله، توفي الأمير نوح بن نصر في شهر ربيع الآخر سنة 343هـ/ أغسطس 945م[5].

عندما ألتحق الأمير الحميد نوح بن نصر بالرفيق الأعلى، اتفق جميع الأمراء وقادة الجيش على مبايعة ابنه أبي الفوارس عبد الملك، وأجلسوه على العرش، فنصّب

---

[1] النرشخي، تاريخ بخارى، ص: 137، الجوزجاني، طبقات، ص: 209–210، فامبري، تـــاريخ بخارى، ص: 115. على أن الكرديزي ذكر أنهم قتلوه بأمر الأمير الحميد نوح بن نصر واصفا ذلك بقوله: ((... فأمر الأمير الحميد أن يجروا الحكام على وجهه من مكانه، وأن يسحبوه حتى باب القصر، وهناك أمر بان يقتلوه ...))، زين الأخبار، ص: 248.

[2] النرشخي، تاريخ بخارى، ص ك 137، بارتولد، تركستان، 378، فامبري، تاريخ بخارى، ص: 115.

[3] أبو علي الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي، الملقب بـــ: (ركن الدولة)، كان صاحب أصبهان والري وهمذان وجميع عراق العجم، ولد 284هـ/897م، وتوفي بالري سنة 366هـــ/977م، وولي بعده ابنه (مؤيد الدولة). ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكـــر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (لا.ت) 2/118- 119.

[4] سيأتي الحديث عن أعماله في سياق البحث.

[5] النرشخي، تاريخ بخارى، ص: 137، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 254، بارتولد، تركستان، ص: 281، فامبري، تاريخ بخارى، ص: 115.

أبا منصور محمد بن عزير[1] وزيرا لـــه، وأوفد أبا سعيد بكر بن مالك إلى نيسابور قائدا لجيوش خراسان[2].

حاول الأمير عبد الملك إزالة الاضطرابات السياسية في دولته، وعمل جاهدا على أن يحتفظ بنفوذ السامانيين على المناطق الغربية من الدولة، فلم ينجح إلا في مصالحة الديلم؛ على شروط معقولة، دون استطاعته حملهم على الولاء للدولة السامانية. كما تجددت الاضطرابات في ولاية خراسان؛ بسبب سلوك واليها بكر بن مالك الذي عامل الحرس باحتقار، وقصّر في تلبية حاجاتهم، فحقدوا عليه، ثم قدموا إلى بخارى وشكوه إلى الأمير عبد الملك، فاستدعاه، سنة 345هـ/965م، فلما وصل إلى بخارى وأدى رسم الخدمة بالقصر، وأراد أن يرجع إلى مقر إقامته، طرحه البتكيين[3] أرضا وقتله على باب السلطان؛ في شهر رمضان 345هـ/ ديسمبر 956م[4] وسنوضح دور البتكين هذا في نشأة الدولة الغزنوية.

2- آل البتكين ودورهم في نشأتها :

أ- البتكين:

البتكين هو مؤسس الدولة الغزنوية، ولد في حدود سنة 267هـ/88م، وبعد وصوله سن الرشد، دخل في زمرة غلمان أحمد بن إسماعيل الساماني، وصار في ذيل قائمة الحرس الملكي، ثم أعتقه الأمير نصر بن أحمد، فاصبح حراً، وأخذ يتدرج في المناصب القيادية، حيث فوّض لـــه الأمير نوح بن نصر قيادة عدد من أفواجه، ثم علا شأنه تدريجيا بفضل كفاءته وذكائه إلى أن ترقى إلى منصب حاجب الحجاب، وبعد وفاة الأمير نوح بن نصر؛ تبوّأ البتكين مكانة ومنزلة كبيرة في بلاط الأمير أبي الفوارس عبد الملك بن نوح[5].

ونظرا لازدياد نفوذ البتكين؛ داخل البلاط الساماني، قرر الأمير عبد الملك إبعاده إلى مدينة بلخ، بهدف التخلص من هيمنته والتقليل من نفوذه إلا أنه رفض هذا المنصب معبراً عن ذلك بقوله:((لن أكون عاملاً، بأي حال بعد أن كنت حاجب الحجاب))،

---

[1] تولى الوزارة في مطلع عهد الأمير أبي الفوارس عبد الملك بن نوح، لكنه لم يستمر طويلا؛ لأن حكومته انهارت حينما أقدم الأمير بضغط من كبير الحجاب، على عزله، وتعيين أبـــي جعفـــر العتبي مكانه.انظر:الكرديزي، زين الأخبار، ص: 255، 257، بارتولد، تركستان، ص: 382.

[2] الجوزجاني، طبقات، ص: 210.

3 كلمة مركبة من (ألب) بمعنى البطل، و (تكين) بمعنى المُسمى، والكلمـــة الأخيـــرة وصـــحتها: (تكن، أو: تكين، أو: تين) ما تزال تروّج كاسم علم بين التركمان، فنجد كلمة (تكين) تلحق بكثير من الأسماء التركية مثل:قرة تكين،اينالكتين،سبكتكين.راجع:فامبري، تاريخ بخارى، ص:117.

[4] الكرديزي،زين الأخبار، ص: 256-257، فامبري،تـــاريخ بخـــارى، ص: 117، العمـــادي، خراسان، ص: 25.

[5] الطوسي، نظام الملك، سياست نامه أو: سير الملوك، ترجمة يوسف حســـين بكـــار، (ط2، دار الثقافة، الدوحة، 1407هـ/1987م) ص: 148، خليلي، خليل الله، سلطنة غيزنويان، (مطبعـــة عمومي كابل، 1333 هش) ص:1، العمادي، خراسان، ص: 26.

فأخطر الأمير عبد الملك أن يسند إليه ولاية خراسان، وصرف أبا منصور□ عنها، وذهب إلى طوس□،وقدم البتكين إلى نياسبور في 20 ذي الحجة 349هـ/12 فبراير 961م□.

وصفوة القول أن البتكين لعب دوراً مهماً في اتخاذ ووضع القرارات السياسية، داخل البلاط الساماني، إلى درجة أنه أقنع الأمير عبد الملك؛ بخلع وزيره، وتعيين أبو علي البعلمي، الذي لم يرث مقدرة أبيه، فكان آلة في يد قائد الجيش القوي، بدليل أنه لم يفعل أي شيء دون علم أو مشورة البتكين□، وبذلك اصبح البتكين الرجل الأول داخل البلاط الساماني في بخارى، وصاب الكلمة العليا، بعد الأمير عبد الملك، على الرغم من أبعاده إلى خراسان.

لم يهنأ البتكين بهذا المنصب، لأن وفاة الأمير أبي الفوارس عبد الملك؛ كانت في شوال 350هـ/نوفمبر 961م، مما أدى إلى دخول الدولة السامانية في منعطف سياسي خطير، فقد أحدث موت الأمير عبد الملك فراغاً سياسياً كبيراً، داخل البلاط الساماني؛فهاجت لذلك الفتن، وتجددت الاضطرابات، حتى أن الثوّار انتهبوا وأحرقوا دار الإمارة نفسها□.

ونتيجة لتلك الأحداث؛ كتب أبو علي البعلمي وزير الأمير الراحل أبي الفوارس – بعد أن تشاور مع الأمراء ورجال البلاط – إلى صديقه وحليفه البتكين، وهو بنيسابور؛يخبره بذلك، ويطلب منه المشورة فيمن يستحق أن يخلف الأمير عبد الملك على عرش بخارى□, ولما كان الأمير الراحل قد أوصى البتكين بأن يتولى الحكم من بعده أحد أبنائه□، فقد كتب بأن الذي يستحق ذلك هو ابن الأمير عبد الملك، المسمى نصر□.

أتفق قادة الجيش والأمراء ورجال البلاط، على تولي منصور بن نوح أخو الأمير عبد الملك، العرش الساماني، فلما وصل الخبر إلى مسامع البتكين، غضب غضباً شديداً،وقرر تنفيذ رأيه بالقوة وحد السيف، فطلب المساعدة في هذا الأمر، من صديقه

---

[1] محمد عبد الرزاق، تولى قيادة الجيوش بخراسان سنة 349هـ/960م، فأحكم أمور ولاية خراسان أحكاما جيداً، وكان حاكماً عادلاً، أخلص للسامانيين، حتى تم عزله وتوليته مدينة طوس.

[2] مدينة تابعة لخراسان، تبعد عن نيسابور بنحو عشرة فراسخ. الحموي، البلدان،49/4.

[6] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 257، 258، خليلي، سلطنة، ص: 1، بارتولد، تركستان، ص:383.

[4] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 258، بارتولد، تركستان، ص: 383.

[5] النرشخي، تاريخ بخارى، ص: 139، بارتولد، تركستان، ص: 383.

[6] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 258–259، الطوسي، سياست نامه، ص: 147، الجوزجاني، طبقات، ص: 211، خليلي، سلطنة، ص: 2.

[7] سجّل الطوسي في كتابه سياست نامه، ص: 147–148، رواية مفادها أنه كان يميل إلى أن يتولى عرش بخارى أخو الأمير عبد الملك، وليس ابنه، وهذا يتناقض مع ما ذكرته المصادر المعاصرة لهذه الأحداث أو القريبة منها.

[8] لا يرد اسمه سوى لدى المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله بن محمد، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. دار صادر، بيروت (لا.ت) ص: 338، وبارتولد، تركستان، ص: 383.

أبي منصور حاكم طوس، وقائد جيوش خراسان (سابقاً)، وتعاهد معه قائلاً لـــه:((احكم أحوال خراسان،وضع حق الصحبة التي كلانا في مكانها،كما هو اعتقادي فيك))،وفوّض إليه أمر خراسان، وسلك هو الطريق إلى بخارى[1] في ذي القعدة 350هـ/ ديسمبر 961م[2].

انتبه الأمير منصور بن نوح؛ إلى خطورة الموقف، وقرر استمالة أبي منصور، وجعله يعرض عن التحالف مع البتكين؛ بشتى الطرق، فكتب إليه قائلاً: (لا تدع البتكين يعبر النهر، حاربه، ولك قيادة جيوش نيسابور، وأمله آمال أخرى...)، فاستطاع استمالته إلى جانبه، فلما وصل البتكين إلى ساحل جيحون وجد أن الخطر محيطا به من الجانبين، مما زاد الأمر سوءاً، إن رسائل بلاط بخارى قد وصلت إلى قادة جيش البتكين، فامتنعوا [3]عن الاتفاق معه على مهاجمة بخارى، فشكّ البتكين من وجود مؤامرة، ونتيجة لذلك يئس البتكين من الهجوم على بخارى، وتنفيذ أهدافه، فأشعل النار في معسكره، وعاد إلى بلخ[4].

أرسل الأمير منصور جيشاً قوامه (12 ألف) فارس لمطاردة البتكين ومحاولة إخضاعه، فلما علم البتكين بذلك، استدرج الجيش الساماني إلى مضيق وادي خُلم[5]، ومع أن الجيش الساماني يفوق عدد جيش البتكين بكثير، إلا أن النصر قد حالفه في المعركة الشرسة التي دارت بين الطرفين في ذلك المضيق؛ في منتصف ربيع الأول 351هـ/24 أبريل 962م، وربما يعود ذلك النصر الكبير إلى الخطة العسكرية المحكمة التي اتبعها البتكين وجنوده والتي اقتضت تقسيم الجيش إلى عدد من الكمائن على يسار ذلك المضيق ويمينه لإيهام الجيش الساماني ومحاولة استدراجه، فلما دخل الجيش

---

[1] ذكر بعض المؤرخين، إن البتكين حاول استرجاع الكتاب الذي أرسـله، والمتضـمن مشـورته (رأيه) فيمن يستحق عرش بخارى، لكن دون جدوى. وأفادوا أيضا أنه حاول اسـتمالة الأميـر منصور، مقدما اعتذاره، وشارحا موقفه، وأرسل إليه ببعض الهدايا والتحف، فلم يسـتطع نيـل رضاه أو تخفيف غضبه. (انظر: الطوسي، سياست نامه، ص: 148، الجوزجـاني، طبقـات، ص: 211، مستوفي، حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر، تاريخ كَزيـدة، الفصـل الثـاني المذيل بتاريخ بخارى،ص:151.أضف إلى ذلك أن هؤلاء قد وقعوا في لبس إذ خلطوا ما بـين= =ابن الأمير عبد الملك وعمه منصور وعدّوا البتكين من أنصار منصور بن نوح أخـو الأميـر الراحل وما أثبتناه أعلاه هو القول الراجح.

[2] النرشخي، تاريخ بخارى، ص: 140، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 258، خليلـي، سـلطنة، ص: 2.

[3] انفرد الطوسي، برواية ملخصها؛ أن البتكين خطب فـي عسـكره شـارحاً خطـورة الموقـف وضرورة مهاجمة بخارى، فردوا عليه أنهم رهن إشارته ومستعدين لحمايته من أعدائه، وخلـع أمير بخارى، فسُر البتكين من ذلك. سياست نامه، ص: 149-150، وهذا ما لـم تشـر إليـه المصادر المعاصرة.

[4] النرشخي، تاريخ بخارى، ص: 140، الكرديزي، زيـن الأخبـار، ص: 158-159، خليلـي، سلطنة، ص:2.

[5] مدينة تقع إلى الشرق من بلخ، تبعد عنها بنحو يومين، فيها قبائل عريقة من الأزد. لسترنج، كي: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، (لا.ت) ، ص: 469.

الساماني المضيق أطبقت عليه الكمائن فجأة، واستطاع جيش البتكين أن يخرج من هذه المعركة الحاسمة منتصراً. ومنذ ذلك النصر؛ قرر البتكين الرحيل إلى غزنة[1] وإقامة حكومة مستقلة فيها[2].

وبعد معركة وادي خُلم الحاسمة، اتجه البتكين إلى باميان[3]، فتصدى لـــه أميرها (باريك) محاولا دفعه، لكنه هُزم وتم أسره، ثم عفا عنه البتكين وخلع عليه، ومن هناك توجه إلى كابل وهزم أميرهـــا وأســـر ابنه لكنه أرجعه إلى أبيه وأحسن معاملته، ثم مضى إلى غزنة، فاشتبك مع حاكمها القوي – الذي يُدعى (أبو بكر لويك) وهو من الأمراء المحليين – على مشارف المدينة في معركة شديدة أسفرت عن هزيمة حاكم غزنة واستسلامه سنة 351هــ/962م، وأحسن البتكين معاملته وقرر له راتباً وأملاكاً يعيش منها، فأصبحت غزنة موطناً له، وعاصمة لإمارته الجديدة[4].

أحدثت ثورة البتكين آثارا سيئة على قوة الدولة السامانية وهيبتها، فآخذت منذ ذلك الوقت تسير في طريق الإنهيار بسرعة هائلة، حتى أن أحد المؤرخين المحدثين[5] حمّل البتكين مسئولية إنهيار الدولة السامانية حيث قال: ((وما دفع الدولة إلى طريق التدهور، بعد ما ذاع صيتها، إنما هو في الواقع بسبب سلوك البتكين ...)).

علم الأمير منصور بن نوح، بنبأ انتصار البتكين على حاكم غزنة؛ فغضب لذلك، وجهّز حملة عسكرية مؤلفة من (عشرين ألف) مقاتل؛ بغية إخضاع البتكين، غير أن هذا الجيش تعرض لهزيمة منكرة، من قبل البتكين وجيوشه الأقوياء؛ عندها قرر الأمير منصور أن يتصالح مع البتكين وسلّم له حكومة منطقة نفوذه المفتوحة، حتى يحافظ على شؤون دولته، ويتفرغ لمواجهة الأتراك القراخانيين الذين أخذوا يغيرون على بعض مدن إقليم ما وراء النهر، وأضحوا يشكلون خطراً مباشراً على سلامة الدولة السامانية[6].

مما سبق نستنتج أن المملوك البتكين قائد جيوش خراسان، وكبير حجاب البلاط الساماني (سابقاً) استطاع إعلان انفصاله عن الدولة السامانية، مستقطعاً بعض أجزاءها، ومؤسسا بذلك دويلة جديدة، قُدّر لها أن تصبح من أعظم دويلات المشرق الإسلامي، أخذت على عاتقها نشر الإسلام في شبه القارة الهندية، والدفاع عن الدولة الإسلامية من جهة الشرق، وعلى هذا الأساس استحق البتكين أن يكون المؤسس الأول للدولة الغزنوية التي استمرت أكثر من مائتي سنة.

---

[1] بفتح أوله، وسكون ثانيه؛ هكذا يتلفظ بها العامة، والصحيح عند العلماء (غـــزنيين) ويعربونهـــا فيقولون (جزنة)، ويقال لمجموع بلادها (زابلستان) وغزنة عاصمتها. وهـــي ولايـــة واســـعة، ومدينة عظيمة، صارت عاصمة للدولة الغزنوية. الحموي، البلدان،201/4.

[2] النرشخي،تاريخ بخارى، ص: 140، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 259، الطوسي، سياســـت نامه، ص: 152–153، خليلي، سلطنة، ص:3.

[3] ناحية بين خراسان وارض الغور. القزويني، آثار، ص: 154.

4 الطوسي: سياست نامه،ص:154–155، خليلي، سلطنة، ص:3،بارتولد، تركستان، ص: 384.

5 فامبري، تاريخ بخارى، ص: 117.

6 الطوسي، سياست نامه، ص:155–156، خليلي،سلطنة،ص: 3، العمادي، خراسان، ص: 31.

بعد أن وطّد البتكين نفوذه في مدينة غزنة الاستراتيجية والمدن المجاورة لها، أخذ ينظم شؤونها، وينشر العدل بين أهلها، الذين التفوا لمؤازرته، وقدّموا له فروض الطاعة، فتطلع بعد ذلك لمد نفوذه إلى بلاد الهند المجاورة؛ بهدف توسيع رقعة إمارته، ونشر الإسلام بين الهنود الكفار، فضلا عن الحصول على المزيد من الأموال اللازمة[1].

على أن الذي يبدو في الأعم الأرجح – أن البتكين لم يوّفق في ضم أراض جديدة؛ إلى رقعة إمارته، على الرغم من قيامه ببعض الغارات العسكرية الخاطفة على بلاد الهند المجاورة؛ لأن الأجل لم يمهله طويلاً فقد انتقل إلى جوار ربه في 20 شعبان 352هـ/14 سبتمبر 963م[2].

ب- أبو إسحاق إبراهيم بن البتكين:

تولى أبو إسحاق إبراهيم الحكم في غزنة خلفا لوالده، لكنه لم يرث مقدرة والده السياسية والعسكرية، إذ كان رجلاً ضعيفاً عاجزاً كثير اللهو، وبما أنه لم يكن أهلا للحكم؛ تمرد عليه جنده، وأعلنوا عصيانهم، فانتهز الفرصة أبو علي بن أبي بكر لويك (الحاكم السابق لغزنة) وقاد حملة عسكرية؛ بهدف استعادة مُلك أبيه، فلم يقدر إبراهيم على المقاومة، وهُزم وفر هاربا إلى بخارى، طالباً المساعدة، فأمده الأمير منصور بجيش استطاع بفضله استعادة الحكم في غزنة[3].

يبدو أن الأمير الساماني قد اشترط على أبي إسحاق، أن يعلن ولاءه وطاعته للدولة السامانية، مقابل المساعدة العسكرية التي حصل عليها لاستعادة عرشه، وبذلك استعاد السامانيون سيادتهم – ولو اسمياً على أقل تقدير – على إمارة غزنة؛ بدليل ظهور أسماء الأمراء السامانيين إلى جانب أسماء الحكام المحليين على السكة المضروبة في غزنة، كما أشار إلى ذلك بارتولد[4].

توفي الأمير أبو إسحاق إبراهيم فجأة بعد فترة قصيرة من استعادة مُلكه، وذلك في حدود 25 ذي الحجة 355هـ/ 16 نوفمبر 965م، وبموته المفاجئ، انقطعت سلسلة الأمراء من أسرة البتكين؛ لأنه لم يترك وريثاً يرفعه الغزنويين على العرش[5].

جـ- بلكاتكين (غلام البتكين):

بعد وفاة أبي إسحاق إبراهيم بن البتكين، قام أشراف الدولة ورجال البلاط بمبايعة بلكاتكين ملكاً عليهم. وبلكاتكين: غلام وقائد حرس البتكين، كان رجلاً محارباً وشجاعاً أصبح مشهوراً بين صفوف الجنود، محبوباً بين الرعية، أخذ يتدرج في المناصب داخل البلاط الغزنوي، حتى ارتقى قيادة الحرس الخاص بمولاه البتكين، وربما أصبح له من

---

1 الطوسي، سياست نامه، ص: 155، خطاب، علاقات، ص: 24-25.

2 الطوسي، سياست نامه، ص: 156، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965م) 84/3.

3 خليلي، سلطنه،ص: 3- 4، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، 85/3.

4 تركستان، 284.

5 خليلي، سلطنه، ص:4.

النفوذ والمكانة داخل البلاط، ما دفع أهالي غزنـــة إلـــى اختياره أميرا عليهم، خصوصا أن شخصية الأمير إبراهيم اتسمت بالضعف واللامبالاة بأمور الرعية كما أشرنا إلى ذلك سابقاً[1].

عاش أهالي غزنة مطمئنين ونعموا بالراحة في عهده الذي استمر قرابة عشر سنوات (355-364هـ/965-975م)، وكان أول عمل قام به؛ أن بعث برسالة إلى بلاط بخارى ليقدم ولاءه وطاعته للسامانيين[2]. وذكر العمادي[3]أن فائقاً كان أميراً ونائباً عن نوح بن منصور، عندما وصلت رسالة بلكاتكين إلى بلاط بخارى، وكان يحقد عليهم ويضمر لهم العداوة؛ لكونهم يتمتعون بنوع من الاستقلال في غزنة، وعندما استشاره الأمير الساماني منصور بن نوح فيما حدث بغزنة بعد وفاة أبي إسحاق، أشار إليه بأن يرسل جيشاً للقضاء على بلكاتكين، وإعادة السيادة الكاملة على غزنة وفعلاً أرسل الأمير منصور جيشاً لهذا الهدف، واشتبك أهالي غزنة بقيادة بلكاتكين معه في معركة شرسة وقوية، كانت نتيجتها هزيمة الجيش الساماني، ومن بعدها لم تُرسل جيوش مرة أخرى من بخارى إلى هذه الأجزاء من ممتلكات الغزنويين.

د- بيري (غلام البتكين):

توفي بلكاتكين في سنة 364هـ/975م، فقرر أهالي غزنة؛ أن يتولى الحكم غلام آخر من غلمان مؤسس الدولة البتكين يدعى(بيري)،لكنه كان رجلاً ظالماً وقاسياً، فخاصمه الأهالي وضاقوا به ذرعاً،فدعوا أبا علي بن أبي بكر لويك ليتولى شؤون الحكم في غزنة، فزحف بجيشه نحوها، يساعده ابن ملك كابل (الذي لم تذكر المصادر اسمه) لكن سبكتكين قطع الطريق عليهما،ومعه خمسمائة من غلمانه واشتبك معهما في معركة على مشارف المدينة، خرج منها سبكتكين منتصراً بعد أن قتل وأسر الكثير منهم[4]، وربما يعود السبب في ذلك النصر إلى أسلوب المباغتة الذي اتبعه سبكتكين حينما قطع الطريق عليهم، وأجبرهم على الدخول في المعركة قبل أن يأخذوا استعداداتهم اللازمة؛ وأمام هذا النصر العظيم لسبكتكين، وسخطهم الشديد على (بيري)؛ قام أهالي غزنة بخلعه، وتنصيب سبكتكين على عرش غزنة في 27 شعبان 366هـ/22 أبريل 976م، وبهذا الحدث انتهى حكم آل البتكين ومواليهم وبدأ عهد جديد؛ هو عهد الأسرة السبكتكينية[5].

---

[1] المرجع نفسه والصفحة.

[2] خليلي، سلطنة، ص: 4.

[3] خراسان، ص: 29. نقلاً عن: الشبانكاره، محمد بن علي: مجمع الأنساب، به تصحيح ميرهاشم تهران، 1363هـ.ش، ص: 312.

[4] الجوزجاني، طبقات، ص: 227-228، خليلي، سلطنة، ص: 4-5.

[5] الجوزجاني، نفسه، ص: 227. خليلي، نفسه، ص: 5-6.

- سبكتكين المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية:

وسبكتكين من مواليد سنة 331هـ/943م، وكان والده (جوق) المعروف بـ: (قرابجكم) أحد أشراف تركستان، ورئيساً لإحدى قراها، وحدث أن هجمت إحدى القبائل المجاورة على القرية التي كان يعيش فيها، وهو ما يزال في الثانية عشرة من عمره، وأسروه، ثم باعوه لتاجر يدعى نصر حاجي، وليس معلوماً ما هو الدين الذي كانت تدين به أسرته؟، إلا أنه أسلم وهو ما يزال مع نصر حاجي، وقد جلبه مع عدد من العبيد الأتراك إلى نيسابور، وبما أن علامات الكياسة والشدة كانت تبدو على وجهه، فقد اشتراه البتكين[1] والي خراسان وقائد جيوشها للأمير الساماني عبد الملك بن نوح (343-350هـ/961م) سنة 349هـ/961م[2].

ونظرا لكفاءته وقوته الجسمانية، ومهاراته في الفنون العسكرية؛ فقد كان البتكين ميّالاً له؛ مما جعله يرقيه بسرعة دون أن يجتاز التدرج المعتاد في خدمة العبيد[3]، وقد كان البتكين مغرماً بفضله ونباهته فزوجه من ابنته، وبناء على ذلك أصبح سبكتكين بفضل البتكين شخصية سياسية وعسكرية ذات شان كبير، وعندما قرر البتكين الرحيل إلى غزنة رافقه إليها وأصبح هناك من كبار رجال بلاط غزنة[4].

وهكذا، وبموجب اتفاق رؤساء الجند ورجال البلاط وعامة الناس وخاصتهم، رُفع سبكتكين على عرش الإمارة – كما أسلفنا – نظرا لما عرفوه من عقله ودينه ومرؤته فوليهم وأحسن السيرة فيهم، وساس أمورهم سياسة حسنة[5]، وصفه الجوزجاني[6]بقوله:((وكان الأمير سبكتكين رجلاً عاقلاً عادلاً، وشجاعاً ومتديناً، وصادق

---

[1] ذكر بعض المؤرخين خطأً،أن البتكين أبٌ لسبكتكين،وهو في الحقيقة لم يكن سوى أحد مماليكه. انظر مثلاً:لوثروب،شودارد،حاضر العالم الإسلامي،نقله إلى العربية:عجاج نويهض،دار الفكر، بيروت، (لا.ت)، 387/3.

[2] البيهقي،أبو الفضل محمد بن حسين:تاريخ البيهقي، ترجمة عن الفارسية، يحيى الخشاب وصادق نشأت،دار النهضة العربية،بيروت،1982م،ص:217-218،الجوزجاني،طبقات،ص: 225-226، السبكي،تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي،طبقات الشافعية الكبرى، تح:عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحي،دار هجر، بيروت،1413هـ/1988م،175/5،الذهبي،السير، 312/13.

[3] اتبعت الدولة السامانية نظاماً إدارياً دقيقاً وصارماً في تربية العبيد، منذ اليوم الأول لشرائهم، إذ كان الغلام يتدرج وفقا لخدماته، وكفايته، ولياقته، من مرتبة إلى أخرى، ففي السنة الأولى؛ كان المملوك يخدم في سلك المشاة راجلاً بقباء وحذاء، ولا يسمح له فيها بركوب الخيل، وفي السنة الثانية يعطيه القائد جواداً وسوطاً فقط، وفي السنة الثالثة ينال نطاقاً خاصاً يشده على وسطه، وفي السنة الرابعة يحصل على جعبة سهام وأسلحة متنوعة، يحملها عندما يمتطي الجواد، أما في السنة الخامسة فيعُطى سراجاً أحسن ولجاماً ودبوساً، وفي السنة السادسة يُولى السقاية ويوُكّل بالماء، وفي السنة السابعة يوكّل باللباس، وهكذا يظل يزداد في البسته وآلاته، وعدد الأفراد المسئول عليهم، حتى يصبح قائد فوج ويستمر في التدرج حتى يصير حاجباً أو قائداً للجيش. راجع الطوسي، سياست نامه، ص: 144-145.

[4] الطوسي، نفسه، ص: 145-146، خليلي، سلطنة، ص: 7، العبادي: في التاريخ، ص: 33.

5 ابن الأثير، الكامل، 353/7، الحضري، محاضرات، ص: 345.

[6] طبقات، 228/1.

الوعد والقول... وكل الصفات الحميدة التي يجب أن تكون في الأمراء والملوك كان الله تعالى قد أكرمه بها ...))، وأصبح ملكاً قوياً في إقليم زابلستان[1] كلها وبلاد الدوار[2] والغور[3] وضرب السكة في قلعة فروان الجبلية شمالي كابل، واعترف بسيادة السامانيين اعترافاً اسمياً، فلما تمكن واستحكم، شرع في الغزو والإغارة على أطراف الهند، وأفتتح قلاعاً وحصوناً كثيرة منها، فاتسعت رقعة إمارته، وذاع صيته في أنحاء المشرق الإسلامي، وصف ذلك العتبي[4] بقوله: ((ولم يلبث أن أتسعت رقعته، وعُظم دهم جريدته، وعمرت أرض خزانته، وأشفقت النفوس من هيبته وتعلقت الأطماع بمعونته)).

أ- جهوده في توسيع رقعة الدولة:

لم يكن سبكتكين بالذي يقنع بمنطقة غزنة الوعرة الفقيرة، لهذا بدا يوطد نفوذه، ويمد سيادته على المناطق المجاورة لها، فاستولى على منطقة الدّوار، وفتح كابل، التي هي مفتاح معابر جبال الهند كوش[5]، وأتم فتح البلاد الأفغانية، واستظهر بهؤلاء، مما ساعد على اتحاد الأتراك والأفغان كون الفريقين على عقيدة السنة والجماعة[6].

- فتح مدينتي بُست[7] وقصدار[8]

استمر سبكتكين في سياسته التوسعية، عاقداً العزم على ضم كل المناطق المجاورة لإقليم زابلستان ففي السنة الأولى لتوليته الحكم ضم مدينة بُست، وفوّض الحكم فيها لشخص يدعى (طغان)، فثار عليه (بايتوز) وهو من أهالي بُست؛ واستولى على إمارته، فلجأ (طغان) إلى الأمير سبكتكين مستظهراً به، طالباً يد العون، فاشترط عليه الأمير سبكتكين – لقاء مساعدته – أن يدفع مبلغاً من المال، ويرهن عنده أحد أبنائه، وإعلانه الطاعة والولاء للأمير سبكتكين والتعاون معه عند الحاجة إليه، فوافق طغان على هذه الشروط؛ لذلك جرّد سبكتكين حملة عسكرية ضخمة، ودارت معركة شرسة على أبواب

---

[1] كان البلدانيون العرب، يسمون الإقليم الجبلي الواقع في أعالي نهر هيلمند ونهر قندهار؛ بهذا الاسم، وهو اسم مبهم، لكنه في الغالب يعني الأراضي الواقعة غرب غزنة. راجع: لسترنج: بلدان، ص: 388.

[2] تسمى بالفارسية (زمين داور) ويقابلها بالعربية (أرض الدوار) أو (بلاد الدوار) ومعنى هاتين التسميتين واحد، وهي أرض الأبواب أي دروب الجبال، وتقع على حدود جبال الغور. المرجع نفسه، ص: 384.

[3] ولاية بين هراة وغزنة، وهي بلاد جبلية منيعة، لسانهم غير لسان خراسان، يحيط بها من كل جانب دار الإسلام. الأصطخري: المسالك، ص: 257، والقزويني، آثار، ص: 429.

[4] أبو نصر محمد بن عبد الجبار: تاريخ اليميني، وبه شرح الشيخ أحمد بن علي المنيني الذي اسماه: الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي، (القاهرة، 1286هـ/1869م)، 63/1.

[5] معنى هند كوش بالفارسية: (الجبل) ويطلق هذا الاسم على الجبال التي تقع شمال كابل. لسترنج: بلدان، ص: 389.

[6] لوثروب، حاضر، 287/3، حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار الفكر، القاهرة، 1998م، ص: 190.

7 تقع على نهر هيلمند،عند ملتقى النهر الآتي من ناحية قندهار.راجع:لسترنج:بلدان، ص: 383.

8 عاصمة طوران، وهي مدينة لها رستاق ومدن. انظر: الأصطخري: المسالك، ص: 105.

مدينة بُست مع بايتوز، هزم الأخير فيها ولاذ بالفرار، ودخل طغان مدينته شاكراً لسبكتكين تعاونه وإحسانه[1].

وعندما حان موعد دفع المال المقرر – بموجب الصلح المبرم بينهما – أخذ طغان يماطل بين وعد وإخلاف، وما زال الأمير سبكتكين يلح عليه بالطلب، ولكن لم ير تجاوباً يذكر، لذا قرر تأديبه، وضم بُست مركزياً إلى دار الإمارة في غزنة، فخرج إليه في جيش كثيف، وحاصر المدينة، وتُبودلت المراسلات بين الطرفين؛ لاحتواء الموقف، إلا أن الوضع تأزم، واضطر الطرفان للدخول في معركة حاسمة، انتصر فيها الأمير سبكتكين، ودخلت بذلك بُست ضمن منطقة نفوذه منذ ذلك التاريخ ولاحقا[2].

كان من أهم نتائج فتح بُست؛ اتساع رقعة إمارة غزنة، وذيوع صيت الأمير سبكتكين في المنطقة، وارتفاع شأنه، لكن تظل أهم الفوائد التي جناها سبكتكين من هذا الفتح هو التعرف على أبي الفتح البستي؛ الشاعر والكاتب المشهور المعروف بـ: (ذو اللسانين)، واستحضاره إلى بلاط غزنة، إذ كان محتاجاً إلى مثله في آلته وكتابته ومعرفته وهدايته، فنال عنده مكانة كبيرة، وصار كاتباً لديوان رسائل الدولة الغزنوية[3].

بعد فتح بُست، قرر الأمير سبكتكين أن يفتح ولاية قصدار المجاورة لمملكته والتي تبعد عن بُست بحوالي (35 كم) بعد أن أعلن حاكمها – الذي لم يذكر المؤرخون أسمه – تمرده وشق عصا الطاعة، وإعلان العصيان، معتمدا في ذلك على حصانة مدينته،وصعوبة مسالكها، وظن أن ذلك سيمنعه؛ وسار إليه، ودخل مدينته، وقد تحصن حاكم قصدار في إحدى القلاع، فضرب عليه الحصار، وفي أثناء الليل شن سبكتكين غارة مباغتة، كانت نتيجتها فتح المدينة، وأسر حاكمها إلا أن حاكم قصدار قدم الأعذار وأعلن طاعته وولائه للأمير سبكتكين، ملتمساً عفوه، فقبل سبكتكين عذره، وعفا عنه وقرر له حكم تلك الولاية على أن يذكر اسمه في الخطبة، ويسك على العملة، ويدفع مبلغ من المال لخزانة غزنة، وانتهى على هذا النحو فتح بًست وقصدار[4]، وقد وصف المؤرخ العتبي[5]هذا النصر، بقوله: ((فعمرت باسمه تلك المنابر، واشترك في العلم بحالة الصادر والوارد))، وبذلك عظم أمره، وارتفع شأنه، وقرر توسيع نطاق

---

[1] لمزيد من التفاصيل انظر: العتبي، تاريخ، 64/1–65، ابن الأثير، الكامل، 354/7، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الإرب في فنون الأدب، تح: محمد فوزي، مراجعة: محمد طه الحاجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1405هـ/1985م، 30/26–31. خليلي، سلطنة، ص: 8.

2 العتبي، تاريخ، 66/1–67، ابن الأثير، الكامل، 354/7، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، المسمى: العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م، 433/4.

3 العتبي، تاريخ 67/1–68، خليلي، سلطنة، ص: 8–9.

4 راجع التفاصيل عند: العتبي، نفسه، 72/1–73، ابن الأثير، الكامل، 355/7، والنويري، نهاية الإرب، 26/ 30–31، خليلي، سلطنة، ص: 9–10.

5 تاريخ، 73/1.

حكمه ليشمل بعض الأقاليم الهندية المجاورة لمملكته، وقد وصف البيروني[1] كفاءة سبكتكين وشجاعته في هذا الجانب بقوله: ((فآثر الغزو، وتلقب به، وطرق لمن بعده في توهين جانب الهند، طرقاً سلكها يمين الدولة محمود...)).

ب- فتوحاته في شبه القارة الهندية:

لما فرغ الأمير سبكتكين من أمر بُست وقصدار، توجه شطر الأقاليم الهندية بدءاً بالمواقع الواقعة في بلاد الأفغان (الآن)، فافتتح قلاعاً حصينة على شواهق الجبال، وعندما رأى (جيبال) ملك الهند – وهو من سلالة ملوك كابل، الذي كان يسيطر على إقليم قندهار[2] – ما دهاه، وأن بلاده تُقطّع من أطرافها، انزعج لذلك، وضاقت به الأرض، وثار بنفسه وعشيرته وأعيان بلاطه، وجهّز الجيوش واستكثر من الفيلة، وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين؛ قاصداً الانتقام، وإيقاف انتشار الإسلام، ودرء خطر الأمير سبكتكين الطموح، فلما علم الأخير بذلك، عزم على الخروج من ولايته قاصداً نقل المعركة خارج حدود مملكته، فحشد الجيوش النظامية وعدداً كثيراً من المتطوعة، ومعه ابنه الأكبر الأمير محمود، ونشبت الحرب بين الطرفين في حدود سنة 376هـ/986م في موضع يعرف بـ: (عقبة غورك أو غوزك)، وأمام بسالة الجيوش الغزنوية وشدة بأسها، اضطر جيبال إلى طلب الصلح[3]، إلا أن الأمير محموداً الذي أبدى في هذه الحرب شجاعة ورجولة نادرة، لم يرض بالصلح وأبى إنهاء هذه الحرب إلا بالنصر العسكري، غير إنَّ المشاورات استؤنفت بين الطرفين المتحاربين للتوصل إلى الصلح؛ وأخيرا أدرك سبكتكين أن المصلحة هي في الصلح، فوافق على إبرامه وفقا للشروط التالية[4]:

أن يتعهد جيبال بدفع مبلغ من المال قدره (مليون) درهم شاهي[5]، وخمسين فيلاً بمثابة جزية.

ترك عدّة مدن وقلاع من مملكته للأمير سبكتكين، وتسليم عدد من أقربائه وقادة جيشه كرهينة، حتى يتم تنفيذ بنود الصلح.

---

1 أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة أو (تاريخ الهند)، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ/1983م، ص: 19.

2 من بلاد السند أو الهند المشهورة في الفتوح الإسلامية الأولى.الحموي، البلدان، 4/402-403.

3 لم نشأ أن نستعرض الرواية التي أوردها (العتبي في تاريخه، 1/77-79) والتي تقول بوجود عين ظاهرة عند العتبة، إذا ألقيت فيها نجاسة اكفهّرت السماء وأمطرت، وزمجرت الرعود، وعصفت الرياح، كانت السبب في هزيمة جيبال وجنوحه إلى الصلح، حينما ألقى فيها سبكتكين ضرباً من النجاسة، فهذه خرافة آمن الناس بها وبغيرها في القرون الوسطى.عن نقد هذه الرواية راجع:الشابي،علي: الأدب الفارسي في العصر الغزنوي،دار النشر، تونس، 1965م، ص: 27.

4 راجع العتبي، تاريخ، 1/74-79، ابن الأثير، الكامل، 7/355، الهروي، نظام الدين احمد بخشي، طبقات أكبري، ترجمة: أحمد عبد القادر الشاذلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995م، 1/24، وخليلي، سلطنة،ص: 10-11.

5 شاهي أو شاهية: نقد نحاسي إيراني يشبه البارة التركية أو الفلس العراقي، والكلمة منسوبة إلى الشاه أي الملك بالفارسية، فيكون معناه: القطعة الملكية أو النقد الملكي. أنظر: الشرباصي، أحمد، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، 1401هـ/1981م، ص: 247.

أرسل سبكتكين عدداً من ثقاته؛ لاستلام المدن والقلاع المحددة بموجب بنود الصلح، وحين أوغل بهم جيبال في بلاده، نقض الصلح، واعتقل أصحاب سبكتكين، وعندما وصل نبأ ذلك إلى مسامع الأخير تحرك بنفسه على الفور على رأس حملة عسكرية إلى منطقة نفوذ جيبال، مقتحماً ديار الهند ملحقا الهزيمة بكل من اعترضه، حتى وصل إلى لمغان[1]، فافتتحها عنوة، وهدم بيوت الأصنام، وأقام بها شعائر الإسلام، وفتح العديد من البلاد المجاورة لها، ونشر الإسلام في ربوعها، ثم غادرها نحو غزنة ظافراً منصوراً[2].

بعد ما عرف الملك جيبال ما فعله الأمير سبكتكين، سُقِط في يده، وكتب رسائل الاستغاثة إلى الأطراف طالباً من الراجات[3](الحكام الشماليين) المساعدة والوقوف إلى جانبه، والعمل على تشكيل حلف عسكري ضد المسلمين، فاستجاب هؤلاء لاستغاثته وجهزوا جيشا ضخما يتألف من مائة ألف فارس، وتحرك بهذه الجيوش قاصدا غزنة. فعلم سبكتكين بذلك، وطفق يجمع الجيوش، ويحرض المسلمين على القتال، ثم خرج لملاقاة العدو خارج العاصمة غزنة، وفعلا اشتبك الفريقان في معركة طاحنة طبّق فيها الأمير سبكتكين خطة عسكرية محكمة كانت أحد أسباب هزيمة الملك جيبال وحلفائه، قضت بأن يتناوب أفراد الجيش الغزنوي القتال، حتى إذا ما تفرق جيش العدو؛ هبّوا جميعا دفعة واحدة، للانقضاض عليه، وإلحاق الهزيمة به، كما أن إيمان سبكتكين بالرسالة التي يحارب من أجلها، وصلابة جيشه المسلم لعبا دوراً بارزاً في هزيمة هذه الجيوش الضخمة، وفتح سبكتكين عُقيب هذا النصر الملحقات بين لمغان وبشاور[4]، وأضيفت إلى منطقة نفوذه، وقد ذُكرت ألقاب الأمير سبكتكين الملكية في خطبة وعملة تلك النواحي إلى جانب ذلك قام سبكتكين بضم العديد من أبطال هذه المناطق إلى جيشه النظامي، وبذلك النصر دانت له العناصر أفغانية[5] والخلجية[6]، وقدموا فروض الطاعة، وذلَّ الهنود بعد هذه الواقعة[7].

---

[1] أو (لامغان)، إحدى قرى غزنة، وقيل كورة تشتمل على عدة قرى في جبال غزنة. راجع: الحموي، البلدان، 8/5.

[2] العتبي، تاريخ، 1/82-84، ابن الأثير، الكامل، 7/355-356، الهروي، طبقات، 25/1، خليلي، سلطنة، ص: 11.

[3] مشتق من لفظ: (راج) وهو باللغة السنسكريتية بمعنى: (حكم) وراجا أو راجاه يعني: ملك أو أمير أو زعيم، ثم جرى مجرى اللقب الذي عُرف به زعماء الدويلات الهندية. راجع: الخطيب، مصطفى عبد الكرمي، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ/1996م، ص: 201.

[4] ناحية في الحدود الشمالية الغربية في الهند. انظر: ديفز (مادة: بشاور)، دائرة المعارف الإسلامية، 652/3.

[5] هم قوم بلادهم جبلية قريبة من بلاد الترك، وجبالهم قريبة من باميان، ولم يدينوا لأمير قبله؛ لحصانة جبالهم ومناعة قلاعهم. راجع العتبي – المنيني – تاريخ، 88/1.

[6] بفتح الخا المعجمة واللام، وهم صنف من الأتراك. نفس المصدر، 88/1.

[7] انظر: العتبي، المصدر نفسه، 1/85-88، ابن الأثير، الكامل، 7/355-356، النويري، نهاية الأرب، 26/ 31-32، خليلي، سلطنة، ص: 11، لوثروب: حاضر ، 287/3.

خلاصة الأمر استطاع الأمير سبكتكين من خلال فتوحاته في بلاد الهند إجبار جيبال علــى التخلي عن إقليم كابل المهم[1]؛ الواقع على الحدود والمسيطر على المسالك المؤدية إلى السهل الهندي الخصيب، كما أن هذا الفتح قد أكسب سبكتكين نصرا سياسيا على مستوى بلاد المشرق الإسلامي، وتكريما لهذه الجهود فقد اعترف الخليفة العباسي الطائع لله (363-381هـ/974-991م)؛ بإمارته على غزنة، فاصطبغ حكمه بهذا الاعتراف؛ بالصبغة الشرعية، ونـــال لقــب: ناصــر الديــن، وبعــث إليـــــه الخليفة العباسي بالعقد والخلع التقليدية[2].

---

[1] تُعد بلاد الأفغان مركز دائرة آسيا، فهي بمثابة المعبر لجميع الأقوام التي عبرت من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، والعكس، ولعبت دورا عظيما؛ كهمزة وصل بين الحضارات الإسلامية والشرق الأقصى. للمزيد راجع: المصري: جميل عبد الله محمــد، حاضــر العــالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ط3، مكتبة العبيكان، الرياض، 1417هـ/1996م، ص: 431.

[2] الطوسي، سياست نامه، ص: 157، بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيــه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط11، دار العلم للملايــين، بيــروت، 1988م، ص: 287، رزق، سمير عبد الفتاح، الدولة الغزنوية في جنوب غرب آسيا، قيامهــا وسياســتها الداخليــة واهــم مظاهرها الحضارية، القاهرة، 1423هـ/2002م، ص: 7.

جـ- علاقة سبكتكين بالدولة السامانية:

1- طبيعة العلاقة:

كان سبكتكين من الناحية العملية مستقلا عن السامانيين، الذي كان مولاه البتكين حاجبا لهم، ومع أن نفوذه كان يطغى على نفوذ هؤلاء السامانيين، فإنه لم يتنكر لهم، بل اعترف لهم بالسلطان، كما تشير إلى ذلك العملات العائدة لتلك الفترة، بل وناصرهم ووقف إلى جانبهم في صراعهم مع أعدائهم[1].

استخدم سبكتكين لتحسين تلك العلاقة؛ كل الطرق والوسائل الممكنة، فرأى في كاتبه أبي الفتح البستي، الشخص المناسب، الذي يستطيع أن يؤدي دورا إيجابيا في توطيد العلاقة مع عرش بخارى وتطويرها، فهو بحكم منصبه في ديوان الرسائل بالبلاط الغزنوي؛ كان على اتصال دائم برجال البلاط الساماني؛ من خلال مكاتباته الرسمية، شارحا لهم سياسة الأمير سبكتكين وفتوحاته المظفرة في بلاد الهند، ودخول الولايات المجاورة لغزنة تحت سيادته، فحقق في هذا المجال نجاحا كبيرا، لما تميز به من خبرات وحنكة سياسية، فاستطاع أن يكسب تأييد بلاط بخارى لصالح الأمير سبكتكين، والاعتراف به حاكما مستقلا على غزنة[2].

2- دوره في القضاء على الحركات والتمردات داخل الدولة السامانية:

أخذت قوة السامانيين تضعف، ونفوذهم يتقلص يوما بعد يوم، واشتعلت الثورات وكثرت التمردات من قبل أمراء الأطراف وقادة الجيش، الذين زاد نفوذهم واستهتارهم وتطاولهم على الأمراء السامانيين، مستغلين ضعف الأمراء السامانيين المتأخرين وصغر سنهم؛ فأبو علي بن أبي الحسن السيمجوري[3] وفائق الخاصة – وهما ربيبا نعمة الأسرة السامانية، وأكبر قادتها العسكريين – أعلنا تمردهما وعصيانهما على أبي القاسم نوح بن منصور الساماني (366-387هـ/976- 997م) وحرضا الأجانب وأطمعاهم في مُلك بني سامان، وأشعلوا الفتن في كل مكان، وأمام هذه الأوضاع الخطيرة التي تنذر بزوال هذه الدولة، لم يجد الأمير أبو القاسم نوح بن منصور سوى اللجوء إلى الأمير سبكتكين الذي كان مشغولا بفتوحاته في بلاد الهند وأفغانستان، فبعث إليه أبا نصر الفارسي أحد عظماء بلاط بخارى، وحمّله رسالة، طالباً منه مد يد العون، وحماية بلاطه من فتنة هذين الرجلين؛ وامتثالا لهذا الطلب، ذهب الأمير سبكتكين ناحية

---

[1] الساداتي،أحمد محمود:تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم،دار نهضة الشرق،القاهرة، 2001م، ص:66067، مهنا،محمد نصر:انتشار الإسلام في آسيا، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية،2001م، ص: 245.

[2] الخولي، أبو الفتح، ص: 66، العمادي، خراسان، ص: 90.

[3] بالغ أبو علي بن أبي الحسن السيمجوي؛ في تطاوله واستهتاره على أسياده السامانيين مغتراً بنفسه وكثرة رجاله، إلى درجة أنه كان يُسمي الأمير نوح بن منصور؛ والي بخارى، وكان يُخاطب مرة بسيد الأمراء، والمؤيد من السماء، ومرة يُخاطب بصاحب العالم، وثالثة بولي الدنيا، ورابعة بأمير جهان (أي أمير الدنيا). راجع: الدواداري، أبوبكر ابن عبد الله، كنز الدرر وجامع الغرر، تح: صلاح الدين المنجد، قسم الدراسات الإسلامية، القاهرة، 1380هـ/1961م، 183/6.

بخارى، فاستقبله الأمير نوح بين مدينتي كش[1] ونخشب[2] واتفقا على التعاون المشترك ضد المتمردين على الدولة السامانية، وعقدا ما يجب من العهود والمواثيق، ثم قفل سبكتكين عائدا إلى غزنة[3].

اتخذ سبكتكين الاستعدادات اللازمة لمساعدة أمير بخارى، فطفق يجمع الجيوش، مستنفرا أمراء الأطراف، فتجمع له جيش كبير، ثم سار على رأس هذا الجيش قاصداً أبا علي وحلفائه وفي الوقت نفسه خرج أمير بخارى بمن معه من رجال بلاطه ووجوه خاصته وعسكره، واتفقوا جميعا وزحفوا إلى هراة حيث كان أبو علي مرابطا ومعه إخوته وفائق وجند كثر، وأخذت الرسل تترى فيما بينهم وبين أبي علي بن سيمجور يومين أو ثلاثة بقصد الصلح، ورأب الصدع، فلم يستجب قادة أبي علي قائلين:((إن نوحا وسبكتكين ميقنان أن الغلبة ستكون لنا))، فوقعت بين الطرفين معركة كبيرة خارج مدينة هراة[4] يوم الثلاثاء 15 رمضان سنة 383هـ/24 أكتوبر 993م، انتهت بانكسار أبي علي وتقهقره إلى نيسابور[5]، وتوقف كل من سبكتكين وأبنه محمود، والأمير نوح بن منصور في هراة؛ بهدف تنظيم أمورها وترتيب أوضاعها، وانعم الأمير نوح على سبكتكين بلقب (ناصر الدين والدولة)[6] وعلى ابنه الأمير محمود بلقب (سيف الدولة)، وأسند إليه قيادة جيوش خراسان؛ ثم رحل الأمير نوح إلى بخارى، وأوكل إلى سبكتكين وابنه محمود مهمة متابعة أبي علي والقضاء على تمرده، فذهبا إلى نيسابور في شوال من العام نفسه، فلما رأى أبو علي مذلة نفسه وحقارتها أتى معتذرا، فلم يقبلا عذره، ولما يئس رحل إلى جرجان[7] .

مكث الأمير سبكتكين مدة في نيسابور، حتى استقام الأمر للأمير سيف الدولة محمود، ثم عاد راجعاً إلى هراة، وكان أبو علي بن سيمجور يريد الزحف من جرجان إلى فارس وكرمان؛ للاستيلاء على تلك الأنحاء، فقد كان جوّ جرجان رديئاً، فخشي على نفسه، لكنه لم يغض الطرف عن خراسان ونيسابور، فلما بلغه أن الأمير سبكتكين رحل إلى هراة، وأن ليس مع الأمير محمود سوى مجموعة قليلة من الرجال، سوّلت له

---

[1] مدينة حصينة، بالقرب من سمرقند. القزويني، آثار، ص: 554.

[2] مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند. الحموي، البلدان، 276/5.

[3] انظر العتبي، تاريخ، 180/1-181، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 271-72، البيهقي، تاريخ، ص: 215، خليلي، سلطنة، ص: 12-14، فامبري، تاريخ بخارى، ص: 121، الشابي، الأدب، ص: 28.

[4] مدينة عظيمة من مدن خراسان، لم يكن بخراسان مدينة أجل، ولا أعمر ولا أحصن منها. القزويني، آثار، ص: 481.

[5] مدينة من مدن خراسان، ذات فضائل كبيرة؛ كثيرة الخيرات والفواكه والثمرات، راجع: القزويني، آثار، ص: 473.

[6] كذا عند الكرديزي، زين الأخبار، ص: 273، بينما ذكر العتبي، (تاريخ، 193/1)، أن الأمير الساماني لقب الأمير سبكتكين بـ: (ناصر الدولة) فقط.

[7] انظر: العتبي، تاريخ، 185/1-193، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 272-273، البيهقي، تاريخ، ص: 215، علما أنه أشار إلى أن المعركة حدثت في 15 رمضان سنة 384هـ/24 أكتوبر 994م، وما أثبتناه هو القول الراجح.

نفسه الاستيلاء على نيسابور ثانية، فسار من جرجان في غرة ربيع الأول سنة 385هـ/أبريل 995م، وكان معه اخوته فائق الخاصة وجند كثيف كامل العدة والعدد، وعندما وصل خبر ذلك إلى الأمير محمود؛ خرج من المدينة ونزل ببستان عمرو بن الليث الصفّار على بعد فرسخ من المدينة، وأرسل إلى أبيه يطلب المدد[1].

عندئذ دخل أبو علي وحلفاؤه المدينة، واستقبلهم أهلها فرحين وقد حملوا أسلحتهم متأهبين للحرب، فاتجهوا صوب البستان قاصدين الأمير محموداً قبل وصول المدد إليه؛ لذلك دارت بين الطرفين معركة عنيفة غير متكافئة سُميت معركة (رخنة)، وأمام هذه الحشود الهائلة اضطر الأمير محمود إلى الانسحاب صوب هراة، وأقام أبو علي في نيسابور وأمر بأن يخطب باسمه على منابرها[2].

أخذ سبكتكين يستعد لحرب أبي علي، فجمع الجيوش، وكتب الفرمانات والأوامر إلى ولاة الأقاليم والمدن التابعة لنفوذه، فقدم خلف بن أحمد حاكم سجستان وأبو الحارث أمير جوزجان وغيرهم في جيوش كثيفة، ثم سار الأمير سبكتكين بهؤلاء من هراة قاصداً أبا علي، فلما سمع الأخير بخبرهم رحل إلى طوس، ودارت رحى الحرب في قرية أندرخ[3] في 27 جمادى الآخر سنة 385هـ/22 يوليو 995م، فكادت الهزيمة أن تشيع في جيوش الأمير سبكتكين، لولا أن فاجأهم الأمير سيف الدولة محمود بغتة بالهجوم على ميسرة أبي علي، فزلزل أقدامهم، وارتدوا على أعقابهم، وحلّت بهم الهزيمة، ولما رأى أبو علي ذلك فرّ هارباً، ومعه فائق الخاصة، فقصدا سرخس[4]، ثم اتجها صوب مرو[5]، فآمل الشط[6]، ثم أخذا يراسلا الأمير نوح بن منصور طالبين العفو والصفح، فقبل عذر أبي علي؛ على أن يفارق فائق إلى الجرجانية[7]،في حين رفض

---

[1] العتبي، تاريخ، 199/1-206، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 273، البيهقي، تاريخ، ص: 220-221. ابن الأثير، الكامل، 467/7.

[2] العتبي، تاريخ، 206/1-207، البيهقي، تاريخ، ص: 221. ابن الأثير، الكامل، 467/7، خليلي، سلطنة، ص: 14-15.

[3] قرية بين جبلين في طوس.انظر:عفاف زيدان،هوامش كتاب زين الأخبار للكرديزي،ص:274.

[4] مدينة قديمة من نواحي خراسان، تقع بين نيسابور ومرو. الحموي، البلدان، 208/3.

[5] تسمى مرو الشاهجان، تميزا لها عن: مرو الروذ، وهي أشهر مدن خراسان، وعاصمتها، تبعد عن نيسابور بحوالي سبعين فرسخاً، أما الشاهجان: فهي كلمة فارسية معناها نفس السلطان، لأن الجان بمعنى النفس أو الروح، والشاه بمعنى السلطان وسميت بذلك لجلالتها عندهم. الحموي، البلدان، 112/5-113.

[6] مدينة مشهورة، غربي نهر جيحون، على طريق القاصد إلى بخارى من مرو، ويقابلها على شرقي جيحون مدينة (فربد). الحموي، البلدان، 58/1.

[7] مدينة عظيمة على شاطئ نهر جيحون، وهي عاصمة إقليم خوارزم، وأهل جرجان يسمونها بلسانهم كركربخ، فعرِّبت إلى الجرجانية. الحموي، البلدان، 122/2.

عُذر فائق وقرر الانتقام منه، فرحل الأخير قاصدا أيلك خان[1] ليحتمي به، فأكرمه، وعظمه، ثم كتب إلى الأمير نوح يشفع له فأجابه إلى ملتمسه[2].

وخلاصة الأمر؛ تمكن الأمير سبكتكين وابنه سيف الدولة محمود للمرة الثانية أن يهزما أبا علي وفائق، ويقمعا عصيانهما، فعظم لذلك شأنهما، وذاع صيتهما، وقد تبارى الشعراء في مدحهما، أثنوا على ذلك النصر العظيم، فهذا أبو الفتح البستي ينشد أبياتا، مادحاً الأمير سبكتكين وجيشه، ومعاتباً أبا علي وعصيانه فقال[3]:

ألم تر ما أتاه أبو علي وكنت أراه ذا رأي وكيّس
عصى السلطان فابتدرت إليه رجال يقلعون أبا قبيــــــس[4]
وصيّر طوس معقله فصارت عليه الطوس أشام من طوس

3- دفاعه عن السامانيين ضد أطماع الدولة القراخانية:

بينما كان الأمير ناصر سبكتكين متواجدا في بلخ، يتفقد أحوال الرعية، وينظم شؤون المدينة، أتاه كتاب الأمير نوح بن منصور الساماني، يخبره بان أيلك خان يفكر في النزول والانحدار من أعالي نواحي سمرقند مما يلي فرغانة، قاصداً بخارى، ويسأله سرعة المجيء إليه لمواجهة الخطر الداهم الذي طالما هدّد بلاط بخارى، فلم يجد الأمير سبكتكين بُداً من تلبية استغاثة الأمير الساماني. فأخذ يجهز الجيوش، ويحشد الحشود، باثاً كتبه إلى ولاة الأطراف وزعماء البلاد، طالبا منهم الإسراع في الوصول إليه، فتجمعت له الجيوش، فسار بهم حتى وصل ما بين كشف ونسف[5]، وأقام بقرية تدعى (نيازي) إلى أن وصل إليه ولاة الجوزجان[6] والختل[7] والصغانيان[8]، كما التحق به ابنه

---

[1] لفظ ايغوري بمعنى الأمير أو الحاكم أو الوصي، فهو ليس باسم علم نظيره في ذلــك كلمــات: تركمان أو ترخان أو خاتون، وغيرها من الأسماء والألقاب التي سمى بهــا العــرب والفــرس الحكّام الأتراك. راجع: فامبري، تاريخ بخارى، هامش ص: 120.

[2] للمزيد من التفاصيل راجع: العتبي، تاريخ، 209/1–215، البيهقي، تــاريخ، ص: 221–222. خليلي، سلطنة، ص: 15.

[3] العتبي، نفسه، 215/1، البيهقي، نفسه، ص: 223.

4 جبل بمكة المكرمة، يشرف على الكعبة من شرقها. الأصطخري، المسالك، ص: 22.

5 مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند، خرج منها جماعة من أهل العلم. الحموي، البلدان، 23/2.

6 أو جوزجانات، وهما بنفس الاسم، وهي كورة واسعة من كور بلخ بخراسان، تقع بــين مــرو الروذ، وبلخ، وتسمى عاصمتها: اليهودية. الحموي، البلدان، 182/2.

7 كورة واسعة، كثيرة المدن، منهم من نسبها إلى بلخ وذاك خطأ؛ لأنها خلف جيحون، فهي تابعة لما وراء النهر على تخوم السند. الحموي، البلدان، 346/2.

8 ولاية عظيمة، في ما وراء النهر، متصلة الأعمال بترمذ. الحموي، البلدان، 408/3.

الأمير سيف الدولة محمود ومعه رجال قد ربتّهم الحروب في حجورها، فعبر بهذه القوات إلى بلاد ما وراء النهر[1].

بلغ نبأ عبور الأمير سبكتكين وابنه سيف الدولة محمود ومن معهم من ولاة الأطراف، إلى مسامع أيلك خان، فهاله الأمر، وبدأ يفكر في استمالة الأمير سبكتكين وابنه محموداً وثنيهما عن مساندة بلاط بخارى، والانضمام إليه، لكن دون جدوى، فاستعد أيلك خان للمواجهة العسكرية المرتقبة[2].

كان الأمير ناصر الدين سبكتكين يرى ضرورة حضور الأمير نوح بن منصور الساماني هذه الحرب، بصفته صاحب الشأن، فبعث إليه بالرسل، ولكن وزيره عبد الله بن عزير[3] – الذي يعارض سياسة الغزنويين ونفوذهم– منعه من حضور تلك الحرب قائلا:((إن الأمير سبكتكين، وعامة ولاة الأطراف عبروا النهر في أحسن عدة وعتاد، وأبلغ استظهار واحتشاد وأن المحن التي استمرت بك قد نفضتك عن تجمل مثلك، ورحلت بزينة المُلك عن رحلك، فقبيح بك أن تجاور من حالة أعلى من حالك، ورجالته أتم استظهاراً من فرسان رجالك، [أي أن المشاة من عسكره أتم قوّة من فرسانك، فما بالك بفرسانه] والرأي لك أن تستعفيه عن شهادتك، على أن تحشر إليه وجوه القواد في جماهير الأجناد من أطراف البلاد وتحكمه فيما يراه من محاكمة أو مسالمة أو مكافحة أو مصالحة ليكون فيصل الأمر بيديه))[4]، فكتب الأمير الساماني بذلك.

ونتيجة لهذا الموقف بادر الأمير سبكتكين بإرسال حملة عسكرية مؤلفة من عشرين ألف رجل إلى بخارى، أسند قيادتها إلى ابنه سيف الدولة محمود وأخيه بغراجق، لأنه انتبه أن السر من وراء عدم حضور الأمير الساماني كان بسبب موقف وزيره ابن عزير المعادي للأسرة الغزنوية، فكانت هذه الحملة كافية لإجبار حكومة بخارى على الإذعان، وعزل الوزير ابن عزير؛ بل وتسليمه إلى الأمير سبكتكين، وتعيين أحد أنصار الأسرة الغزنوية مكانه، واستجابة لهذه الرغبة، فقد سلم أمير بخارى وزيره، وأبا علي وحاجبه أيلمنكو اللذان تم اعتقالهما من قبل؛ للأمير سبكتكين، فسيقا إلى قلعة كرديز[5].

أما أيلك خان فقد دعا إلى الصلح والتفاوض، وحل الأزمة سلمياً، فأجابه الأمير سبكتكين إلى مطلبه؛ حقناً للدماء، ودرءاً للفتنة؛ بسبب قعود الأمير الساماني، وانكسار همته، ونقصان عزيمته، واتفق الجانبان على ترسيم الحدود بين المملكتين، بأن تكون

---

[1] العتبي، تاريخ، 231/12–232، ابن خلدون، تاريخ، 435/4، خليلي، سلطنة، ص: 16، بارتولد، تركستان، ص: 401.

[2] العتبي، نفسه، 234/1.

[3] كان عبد الله بن عزير الطوسي،قد حاول الإيقاع بين الأمير الساماني نوح بن منصور وكل من الأمير سبكتكين وابنه محمود،بحجة أن الأميرين الغزنويين قد تلاعبا بالأعمال والأموال،فطارده الأمير سيف الدولة وجد في طلبه في حينها،لكنه هرب من طوس إلى مرو،فافلت منه؛لهذا أضمر لهم العداوة.للمزيد عن ذلك راجع:العتبي،تاريخ، 235/1،189.

[4] المصدر نفسه، 235/1–236.

[5] العتبي، تاريخ،236/1–237،وما بعدهما،وكرديز: ولاية بين غزنة والهند. راجع: الحموي، البلدان، 450/4.

قطوان[1] هي الحد الفاصل بين المملكتين؛ السامانية والفراخانية، وأن يسند الأمير الساماني نوح بن منصور إدارة سمر قند إلى فائق؛ إيجابا لشفاعة أيلك خان له، وقد كُتبت وثيقة الصلح بحضور أئمة ومشائخ بلاد ما وراء النهر في سنة 386هـ/996م، ثم انصرف كل منهما إلى بلاده[2].

وبناءً على ما سبق؛ نستنتج؛ أن الدولة الغزنوية كانت خلال هذه المرحلة من عمرها تابعة من الناحية الاسمية للبلاط الساماني، إلا أنها من الناحية العملية مستقلة تماما عن النفوذ الساماني، بل مارست نفوذا واسعاً، وتدخلاً واضحاً، في رسم سياسة الأمراء السامانيين المتأخرين، والشيء المهم الذي يحسب بحق للأمير ناصر الدولة سبكتكين وابنه سيف الدولة محمود، أنهما أخّرا زوال هذه الدولة، بفضل ما قدماه من مساعدة عسكرية ومعنوية، ضد الخارجين (المتمردين) على سلطة الأمراء السامانيين من جهة، والوقوف في وجه أطماع القراخانيين الأتراك من جهة أخرى، كما لا يفوتنا هنا أن نشير إلى المكاسب السياسية التي جناها الغزنويون تقديرا لمواقفهم هذه، فقد ظل الأمير سبكتكين بطبيعة الحال الحاكم الفعلي على جميع الولايات الواقعة جنوب نهر جيحون، ولم يعد لنوح بن منصور يد في مجريات الأحداث.

د- وفاة سبكتكين، وتولية ابنه إسماعيل الحكم:

مرض الأمير سبكتكين في مدينة بلخ، فلما أحس بقرب أجله، عهد إلى ابنه إسماعيل، واستخلفه على مملكته، وأوصى إليه بأمور أولاده وكافة أفراد أسرته، وجمع وجوه قادته وكبار حجّابه، وأمرهم بطاعته ومتابعته والموافقة على ولايته[3].

ومن الصعب التأكد من المبررات التي دفع سبكتكين إلى تعيين ابنه إسماعيل، مفضلا إياه على ابنه الأكبر محمود؛ كخليفة له، وربما أثرت فيه صلة إسماعيل بمؤسس الدولة الغزنوية، ومولاه الراحل البتكين[4] أو لأنه وقف إلى جانبه على فراش الموت، في ظل غياب أبنائه الآخرين، لكن يجب ألا نغفل أو نتجاهل؛ أن الأمير محموداً كان قد اختلف مع والده؛ بسبب وشاية بعض رجال البلاط، إلى درجة أن والده أمر بسجنه، ويُغلب الظن أن هذه المبررات مجتمعة قد دفعت سبكتكين لاختيار ابنه إسماعيل خليفة له، وبذلك فقد أخفق في الاختيار، وفي توهمه بأن ابنه محموداً – وهو ابنه الأكبر، والأكثر مرونة وجدارة – سيقبل بذلك العرض[5].

---

[1] قرية من قرى سمرقند، تبعد عنها بنحو خمسة فراسخ. الحموي، البلدان، 376/4.

2 راجع:العتبي، تاريخ،240/1-241، خليلي، سلطنة، ص:17، بارتولد، تركستان، ص: 401.

[3] العتبي، تاريخ، 265/1، ابن الأثير، الكامل، 489/7، الذهبي، السير، 313/13، النويري، نهاية الإرب، 33/26-34.

[4] أراد بهذا التعيين تكريم سيده القديم، لأن إسماعيل حفيد البتكين من ابنته.

[5] العمادي، خراسان، ص: 38.

اشتد المرض بالأمير سبكتكين، فاشتاق إلى هواء غزنة؛ لذلك خرج إليها من بلخ، وفي الطريق توفي، في شعبان سنة 387هـ/أغسطس 997م، ثم نقل إلى غزنة، ودفن بها[1]، وقبره معروف إلى الآن، وهو مزار، يُنظر إليه الناس بعين الاحترام[2].

انتشر نبأ وفاة الأمير سبكتكين في إقليم المشرق كله، وخيّم الحزن على إمارة غزنة، وقد رثاه عدد من الشعراء؛ على رأسهم وزيره وكاتبه أبو الفتح البستي بقصيدة مطلعها[3]:

قلت إذا مات ناصر الـدين والـدو لة حّياه ربه بالكرامـة

وتداعت جموعه بافتـراق هكذا هكذا تكون القيامـة!

واجتاز ذات يوم بعض الأفاضل بداره بعد موته وقد تشعثت فأنشد:

عليك سلام الله من منزل قفـر فقد هجت لي شوقاً قديماً وما تدري

عهدتك مُذ شهر جديداً ولم أخل حروف الروي تبلى مغانيك في شهر

تولى الأمير إسماعيل العرش الغزنوي، فور وفاة أبيه؛ بموجب وصّيته وعهده، وأقبل رجال البلاط، وقادة الجيش، وأعيان البلاد على مبايعته، واستقر بعد قضاء المأتم على سرير المُلك، وأمر بفتح الخزائن التي ادخرها الأمير الراحل، وفرّق الأموال، ووزع الهبات على قادة الجيش، وكبار رجال البلاط؛ بغية كسب رضاهم، وتأييدهم، إلا أن هذا الأمير كان ضعيف الشخصية، فاستصغروه واشتطوا في طلب الأموال، حتى فرغت الخزائن جميعها[4]، ومع ذلك لم يطل عهد الأمير إسماعيل؛ بسبب موقف أخيه الأكبر أبي القاسم محمود، ومطالبته بحقه الشرعي في تولي العرش بصفته الابن الأكبر، فلم تمض إلا سبعة شهور على تولي إسماعيل العرش، حتى استطاع أخوه محمود أن يظفر بالعرش، ويتبوأ سرير الملك.

---

[1] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 275، أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبي، القاهرة، (لا.ت)، 123/1.

[2] خليلي، سلطنة، ص: 18.

[3] ابن خلكان، وفيات، 176/5.

[4] العتبي، تاريخ، 273/1-274.

محمود الغزنوي، وظروف توليه العرش:

أ- شخصيته:

أبو القاسم محمود بن سبكتكين، ولد في 9 محرم سنة 361هـ/نوفمبر 971م، وكانت أمه بنتاً لأحد أعيان زابلستان، حتى أن محموداً كان يسمى – بعض الأحيان – بـ: محمود الزابلي، تلقى تعليمه العلمي المعتاد كأمير شرقي تحت رعاية وإرشاد معلمه القاضي أبو علي، فأصبح من أعيان الفقهاء، كما حفظ القران الكريم عن ظهر قلب[1]، وإلى جانب ثقافته الدينية فقد كان ينظم الشعر وله العديد من الخطب والرسائل، فقد ذكره العوفي[2] تالياً للأمير إسماعيل بن نوح الساماني، آخر الأمراء السامانيين الذين أثر عنهم قول الشعر أحيانا، وكان يحب العلماء والأدباء ويكثر مجالستهم والاستفادة من علمهم منذ نعومة أظفاره.

ومع ذلك لم يهمل محمود الجانب السياسي في تعليمه، فقد علمه أبوه سبكتكين مبادئ الحكم الناجح وأسسه، كذلك اكتسب محمود خبرة عظيمة في أعمال الإدارة، ويُذكر أنه عندما ذهب سبكتكين للحرب في بُست ترك ابنه محموداً نائباً عنه وكان حينئذ مجرد شاب صغير، واستطاع أن يدير شؤونها بحنكة سياسية وكفاءة نادرة، وبعد سنوات قليلة أسند إليه حكم بلاد دوار[3].

وعندما اشتعلت الحرب بين والده الأمير سبكتكين وملك الهند جيبال، على حدود لمغان، كان عُمر الأمير محمود خمس عشرة سنة، إلا أن رأيه وشجاعته كان لهما دور بارز في إدارة تلك الحرب، وتحديد نتائجها، وسجن محمود في قلعة غزنة بضعة أشهر نتيجة جفوة سببها بعض الحاقدين بينه وبين أبيه سنة 380هـ/991م، ولكن سوء الفهم هنا لم يطل عمره، فأطلق أبوه سراحه واسترد مكانته في المملكة، وبعد سنوات قليلة تحديداً في سنة 384هـ/994م، حارب محمود بجانب أبيه ضد فائق وأبى علي بن سيمجور، فأظهر مهارة ملحوظة كمقاتل وقائد حتى منحه الأمير نوح لقب:(سيف الدولة) وعينه قائداً للقوات الخراسانية بدلا من أبي علي بن سيمجور كما سلفنا.

---

[1] الطوسي، سياست نامه، ص:157، مستوفي قزويني، تـاريخ كزيـده، ص: 395. العمـادي، خراسان، ص:37.

[2] محمد عوفي: لباب الألباب، وبه تصحيحات جديدة وتعليقات وحواشي: كامل بكوشـش وسـعيد نفيسي، تهران، استنفده، 1333هـ ش، 23/1.

[3] البيهقي، تاريخ، ص: 115، خليلي، سلطنة، ص: 20.

ب- ظروف توليه العرش:

أشرنا سابقاً إلى أن الأمير ناصر الدين سبكتكين قد عهد إلى ابنه إسماعيل بعرش غزنة أثناء مرضه، وتطبيقاً لوصيته وعهده، رفع الأمير إسماعيل على عرش مملكة أبيه منذ اليوم الأول لوفاته، وفي تلك الأثناء كان الأمير محمود بخراسان مقيماً في مدينة نيسابور، فلما سمع نبأ وفاة أبيـــه قـــام بواجب العزاء، وكتب إلى أخيه إسماعيل خطاب التعزية، ثم أرسل إليه أبا الحسن الحمولي أحد ثقاته برسالة ذكره فيها، أن أباه إنما أفرده دونه بالوصية لإعجال المنية إياه، عن وضعها موضع الاستحقاق، بسبب بُعد المسافة، وتقاذف الشقة، وأن والده الذي كان يدفع عنهم النوائب قد مات، ولم يبق له من هو أعز منه، ولكن كبر السن وتجارب الأيام والقدرة على قيادة المملكة، تقتضي أن يفوض أمر العاصمة غزنة إليه، ويسلمه مدينة بلخ. أو قيادة جيوش خراسان وإدارة نواحيها وأعمالها[1].

يفهم من ذلك أن الأمير سيف الدولة محموداً أراد من أخيه إسماعيل أن يتنازل له عن الإمارة، ويشاركه الإرث المخلف من أبيهما، وأن يكون مقره غزنة، مع إبقاء بلخ وأعمالها تحت قيادة أخيه إسماعيل، أو أن يتولى إدارة خراسان ونواحيها.

لم يستجب إسماعيل لطلب أخيه محمود، وصمم على البقاء على العرش، فتوسط بين الطرفين أبو الحارث الفريغوني، أمير جوزجان، وحمو الأمير محمود، محاولا التقريب بين وجهات النظر، ورأب الصدع، طالباً من الأخوين التفاوض وجها لوجه، وحسم الأمر، والقضاء على الفتنة، وحفظ كيان الدولة وهيبتها، فوافق الأمير محمود على ذلك، بينما رفض إسماعيل ذلك، متهماً أبا الحارث بالانحياز إلى صف أخيه محمود[2].

يئس أبو الحارث الفريغوني من حل المشكلة سلمياً، فكتب إلى سيف الدولة محمود؛ يحثه على التوجه إلى غزنة، والاستيلاء على التاج والعرش بحد السيف، معلناً استعداده لدعمه عسكرياً ومعنوياً حتى يحقق أهدافه، وعندئذ سار الأمير محمود في خواص غلمانه ورجاله إلى هراة واستأنف منها مكاتبة أخيه إسماعيل، يرغّبه تارة، ويرهبه أخرى، فلم يغن عنه فتيلاً، واستمر على عناده ورفضه، فاضطر الأمير محمود إلى تحكيم السيف في ما عجز عنه القلم[3].

استدعى الأمير سيف الدولة محمود عمه (بغراجق) طالباً منه الوقوف إلى جانبه، فأجابه إلى مطلبه، ثم سار نحو مدينة بُست وبها أخوه نصر، عارضاً عليه الانقياد لمتابعته، فتبعه وأعانه دون تردد؛ إيمانا منه بحق أخيه (محمود) في العرش الغزنوي،

---

[1] العتبي، تاريخ، 274/1، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 277، ابن خلكان، 176/5، ابن الأثير، الكامل، 489/7، خليلي، سلطنة، ص: 20.

[2] العتبي، نفسه، 278/1، ميرخواند، محمد بن خاوندشاه: روضة الصفا في سير الأنبياء والملوك والخلفاء،ترجمة عن الفارسية:صالح عبد القادر الشاذلي،راجعه وقـدم لـه: السـباعي محمـد السباعي، الدار المصرية للكتاب،القاهرة،1408هـ/1988م،ص:135،خليلي، سلطنة،ص: 22.

[3] العتبي، تاريخ، 277/1، ابن الأثير، الكامل، 489/7، خليلي، سلطنة، ص: 22.

كما وصل إلى معسكر الأمير محمود أبو الحارث الفريغوني بكل قواته، معلناً ولاءه وطاعته لمطالبه[1].

فلما قوي جانبه، بعمه وأخيه، وحميه، قصد غزنة العاصمة، فسمع الأمير إسماعيل وهو ببلخ نبأ توجه أخيه محمود إلى غزنة، فأسرع إليها، وسيطر على زمام الأمور فيها، وأخذ يستعد، حاشداً كل قواه للمواجهة المرتقبة[2].

وصل الأمير محمود، وسائر طلائع جيشه ومواليه، فعسكر خارج غزنة، ولم يدخلها، وفي تلك الأثناء وصلت إليه كتب أعيان غزنة وكبار قادة جيش إسماعيل ورجال بلاطه؛ عارضين عليه تعاونهم معلنين ولاءهم له؛ لما عرفوه من ضعف شخصية إسماعيل، وقلة خبرته، وقد أشار العتبي[3] إلى ذلك بقوله:((... وقد تطاير إليه من قبل كتب الأعيان من قواد إسماعيل في ممالاته عليه لما عرفوه من وهن أمره في الرياسة، وضعف يده عن حق السياسة ...))، وترددت السفراء بينهما محاولين إصلاح ذات البين، وتجنب ويلات الحرب، إلا أن المحاولات جميعها باءت بالفشل.

أخذ الموقف ينذر بحرب طاحنة، تهيأ لها الطرفان، وبدأ كل منهما يعبئ معسكره، ويرتب جيوشه، ثم برز إسماعيل إلى خارج غزنة، بمن شايعه من مواليه وارقائه، ومن تابعه من رجال بلاطه وقادة جيشه، وقد حصّن الصفوف بفيلته العظام[4]، وهدف من خروجه من غزنة؛ نقل المعركة خارج المدينة من جهة، وخوض تلك الحرب في منطقة صحراوية مكشوفة، يسهل فيها الكر والفر من جهة أخرى. فاصطفَّ الجيشان في صحراء غزنة، ووقعت الحرب[5]، واشتدت المعركة، واحتدمت بين الطرفين وصفها العتبي[6] بقوله:((ودنا الفريقان بعضهم من بعض، ضرباً بالسيوف البواتك، وطعناً بالرماح الفواتك ... فظلت رحا الحرب تعركهم بثفالها،وتدور عليهم بأثقالها إلى أن رمت الشمس بجمرات الظهيرة...)) وعندئذ حمل سيف الدولة على جيش إسماعيل، فزحزحه عن معاقله، وفرّق صفوفه، وشاعت الهزيمة المنكرة بين أفراده، وعندما أيقن إسماعيل بهزيمته عسكرياً إنحاز إلى غزنة متحصناً بقلعتها[7].

---

[1] العتبي، تاريخ، 278/1، خليلي، نفسه، ص: 22.

[2] العتبي، نفسه، 278/1، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 277، ابن الأثير، الكامل، 489/7، بدر عبد الرحمن محمد، رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1987، ص: 160.

[3] تاريخ، 278/1.

[4] نفسه، 1 /278.

[5] تجاهلت أو أغفلت المصادر والمراجع التاريخية التي تيسر لنا الاطلاع عليها؛ ذكر تاريخ واضح ومحدد لهذه المعركة المهمة، والفاصلة في تاريخ الدولة الغزنوية بشكل عام، وتاريخ السلطان محمود بشكل خاص، إلا أن ابن الأثير أشار إلى أن مدة عهد إسماعيل سبعة أشهر، وتبعه النويري في ذلك وغيره من المؤرخين المتأخرين، وبناءً على هذه الإشارة المهمة، وقياسا على إجماع المصادر على تاريخ وفاة الأمير سبكتكين في شعبان سنة 387هـ/أغسطس 997م؛ فمن المرجح أن تكون هذه المعركة قد وقعت في شهر جمادى الأولى سنة388هـ/مايو 998م.

6 نفسه، 280/1.

[7] تاريخ،280/1-281.

تلطف الأمير سيف الدولة محمود لأخيه إسماعيل وطلب منه النزول من قلعة غزنة، على أمان، فلما نزل أكرمه وأحسن إليه، ومع غروب شمس ذلك اليوم، غربت سلطنة الأمير إسماعيل بن سبكتكين التي استمرت سبعة أشهر، فاعتلى الأمير محمود سرير المُلك، وبايعه أعيان البلاد، وقادة الجيش، ورجال البلاط. ومكث بمدينة غزنة مدة ينظم شؤونها، ويرتب فيها النواب الأكفاء، المخلصين لسلطانه، ثم تحرك منها إلى بلخ، وكتب إلى بلاط بخارى بقضية وفاة أبيه، وخلع أخيه وطاعة الجيش والرعية لسلطانه[1].

مثّل جلوس الأمير سيف الدولة على عرش غزنة، نقطة تحول كبيرة في مسار الدولة الغزنوية، فقد أخذت في الاتساع غرباً وشرقاً، أما غرباً فقد دخلت معظم إمارات المشرق المحلية تحت سيادته، بما في ذلك ولاية خراسان الاستراتيجية المهمة، وشرقاً امتدت دولته من خلال فتوحاته المظفرة في شبه القارة الهندية إلى سومنات[2] شمال الهند، وبفضله صارت إمارة غزنة الصغيرة، إمبراطورية إسلامية مترامية الأطراف، استطاع بفضل كفاءته إدارة شؤونها، وتسييس شعبها بمختلف أعراقه وأجناسه، وسندرس هذه الأمور بشيء من التفصيل لاحقاً.

[1] العتبي، تاريخ، 282/1، 290، 291، ابن الأثير، الكامل، 490/7، ابن العبري، مختصر الدول، ص: 311، مستوفي قزويني، تاريخ كزيده، ص: 349، خليلي، سلطنة، ص: 23.

[2] بلدة مشهورة في بلاد الهند، تقع على ساحل البحر، بحيث تغلبها أمواجه، كان من عجائب هيكل فيه صنم اسمه (سومنات) كان واقفاً في وسط هذا البيت ، وكان أمر هذا الضم عظيماً عند أهل الهند. انظر: القزويني، آثار، ص: 95.

الفصل الثاني

السياسة الداخلية للسلطان محمود الغزنوي:

1- سيطرته على خرسان,وسقوط الدولة السامانية
2- محاولة إحياء الدولة السامانية وموقفه من ذلك
3- دخول إمارات المشرق المحلية تحت سيادته
4- بناء الجيش الغزنوي وإعداده
5- جهوده في نشر المذهب السني في بلاد المشرق الإسلامي.

1- سيطرته على خراسان وسقوط الدولة السامانية :

كان أبو الحارث منصور بن نوح الساماني (387 – 389هـ / 997 – 999م) قد أسند إلى بكتوزون[1] قيادة جيوش خراسان، في الوقت الذي كان السلطان محمود قد غادرها، بعد سماعه نبأ وفاة أبيه، وتولّي أخوه إسماعيل عرش غزنة[2].

وعندما فرغ السلطان محمود من حربه مع أخيه إسماعيل، ومسك بزمام الأمور، واعتلى العرش، انحدر من غزنة إلى بلخ، وفتح من هناك طريق المراودة مع السامانيين، فكتب إلى بلاط بخارى، بخبر وفاة أبيه، وخلع أخيه، وطاعة الجيش والرعية لسلطانه، مطالباً الأمير الساماني، بضرورة إعادة ولاية خراسان تحت قيادته، فأرسل الأمير الساماني أبو الحارث نوح بن منصور السيدَ أبا الحسن العلوي الهمداني الى حضرة السلطان، مقدماً له التهاني باعتلائه عرش غزنة، ومعترفاً بتبعية كل من بلخ[3] وهراة وترمذ، وبست، كمناطق تابعة لسيادة السلطان محمود، ومتلطفا في الاعتذار إليه من أمر خراسان، وتركه العقد له عليها، حرصا على كسب رضائه، وكراهة لصرف بكتوزون عنها[4].

لم يكتفِ السلطان محمود، ببلخ، وهراة، وبُست وما والاها، بل أصرّ على مطالبة بلاط بخارى، بحقه في ولاية خراسان، إدراكا منه أن موقف الأمير أبي الحارث، نابع عن ضغوط المعادين له من رجال بلاطه، لذلك بادر بإرسال أحد ثقاته ويدعى : أبو الحسن الحمولي، محملاً بنفيس الهدايا، وأمره أن يتطلف في السفارة والوساطة لاستخلاص موافقة أبي الحارث؛ بإعادة خراسان إليه. إلا أن أبا الحسن الحمولي قد قلب الأمور رأساً على عقب عندما وصل إلى بخارى ووجد منصب الوزارة شاغراً، بعد مقتل الوزير السابق، فاستوزره الأمير أبو الحارث، وانشغل بهذا المنصب[5]، بدلاً من أن يؤدي الرسالة التي كان البلاط الغزنوي قد استأمنه عليها[6].

يبدو أن موقف الأمير الساماني أبي الحارث من أمر خراسان، كان نتاج الضغوط التي مُورست عليه من كبار رجال بلاطه، الذين كان بيدهم زمام الأمور، اذ لم يكن بمقدوره أن يفرض رأيه عليهم أو يعبر عن رغبته تجاه السلطان محمود وأسرته، بسبب؛ صغر سنه وقلة خبرته، وهذا يدفعنا إلى القول إن هيبة الأمراء السامانيين أخذت في الزوال، وأنهم أصبحوا ألعوبة بيد رجال البلاط وقادة الجيش.

بعدما وقف السلطان محمود على جليّة الأمر، أخذ في التأهب والاستعداد، لاسترداد ولاية خراسان بالقوة العسكرية، فزحف بجيش كبير من غزنة، قاصدا

---

[1] من كبار القادة الأتراك،أسند إليه هذا المنصب سنة 388هـ،الكرديزي،زين الاخبار،ص:276.

[2] المصدر نفسه، ص: 277.

[3] مدينة مشهورة بخراسان، وهي من أجلّ مدنها، وأكثرها خيراً، وأوسعها غلة، الحموي، البلدان، 479/1.

[4] العتبي، تاريخ، 291/1، ابن الأثير، الكامل، 497/7، ابن خلدون، تاريخ، 429/4، بارتولد، تركستان، ص: 404.

[5] تولى الوزارة بعد مقتل أبي القاسم العباسي بن محمد البرمكي سنة 388هـ/998م. العتبي، تاريخ، 289/1.

[6] العتبي، نفسه، 292/1 – 193، خليلي، سلطنة، ص: 26.

خراسان، فلما سمع بكتوزون بأمر ذلك الجيش، أدرك أنه لا طاقة له بمقاومته فأخلى المدينة؛ بهدف المحافظة على عدته من الأسلحة، وإشفاقاً على رجاله، وخوفاً من الهزيمة، واستغاث ببلاط بخارى، فسارع الأمير الساماني بنفسه لتقديم المساعدة بمن معه من وجوه خاصته، وسائر حاشيته وأتباعه، وقدم إلى سرخس واتخذ منها مقرا لتجمع القوات[1].

علم السلطان محمود بقدوم الأمير الساماني أبي الحارث، وفهم أن قصده إيّاه، إنما هو من نتائج التغرير، وضعف رأيه، وقلّة النظر في العواقب، وعلى الرغم من أن معداته وتجهيزاته وإعداد جيشه تفوق بمراحل تجهيزات وعدد جيش السامانيين كما أكد ذلك العتبي[2] بقوله:((إذ لم يكن في مُنّة القوم مقاواته، على شدّة بأسه، وملاقاته على قوة مراسه، إذ لو قذفهم ببعض رجومه، لغادرهم رماداً تذروه العواصف وتقتسمه الشمائل والجنائب...))، إلا أنه لم يشأ أن تضيع حقوق أسلافه السامانيين على يديه، وأن تنهار أركان ذلك الملك بقوته، ورأى أن ينظر بعين الاحترام، ويرعى سابق الحق لهذه الأسرة، فاتجه مسرعاً من نيسابور الى مرو الروذ[3]، بدون حرب، وظل ينتظر ما ستسفر عنه الأحداث ثم عطف إلى قنطرة زاغول[4]، فخيّم بها. فعاد بكتوزون واستولى على ينسابور ثم خرج منها قاصداً سرخس لملاقاة الأمير الساماني هناك[5].

وهناك كما يذكر العتبي[6]، لم يجد من الأمير أبي الحارث، الاحترام الذي كان يريده، فأنكر عليه تقصيره في حق مقدمه؛ لأنه كان ينتظر منه زيادة إجلال، وإنعام، ويرى نفسه فوق ما عامله به أبو الحارث، وشكا ذلك إلى فائق الخاصة، وتحالفا وقررا خلع الأمير أبي الحارث، فاستحضرا الأمير إلى خيمتهما بُحجّة حضور الاجتماع لأمر مُهم يحتاج رأيه، حتى إذا ما حضر مجلس اجتماعهما خلعاه عن السلطة، ثم أوثقاه القيد، وكان ذلك يوم الأربعاء 12 صفر سنة 389هـ / 3 فبراير 998م، ووكلا من يسمل عينيه بعد أسبوع، ثم حُمل إلى بخارى، وبعد ذلك الفعل المشين عمدا إلى أخيه عبد الملك بن نوح الملقب بـ : (أبي الفوارس) – وهو أصغر منه سناً – فرفعاه على عرش أخيه[7].

أرسل السلطان محمود إلى بكتوزون وفائق يلومهما، ويقّبح فعلهما، مستنكرا عليهما ما ارتكباه في حق ولي النعمة، فحاولا إقناعه وتبرير فعلتهما الشنيعة، إلا أن السلطان محموداً قرر التخلص من هؤلاء، ليتحقق الحلم الذي طالما انتظره، وهو السيطرة على خراسان، الولاية الاستراتيجية المهمة، بحجة الأخذ بثأر الأمير الساماني

---

[1] العتبي، تاريخ، 293/1 – 294، البيهقي، تاريخ، ص: 707، ابن الأثير، الكامل، 297/7، خليلي، سلطنة، ص: 26.

[2] تاريخ، 294/1.

[3] مدينة قريبة من مرو الشاهجان إلا أنها أصغر منها. الحموي، البلدان، 112/5.

[4] قرية بمرو الروذ دفن بها المهلب بن أبي صفرة. العتبي، تاريخ، 295/1.

[5] العتبي، تاريخ، 295/1، مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص: 394. خليلي، سلطنه، 296/1.

[6] تاريخ، 296/1.

[7] العتبي، تاريخ، 296/1 – 298، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 277 – 178، البيهقي، تاريخ، ص: 707، خليل، سلطنة، ص: 27 – 28.

الراحل، فرأى أن يزحف بجيشه إلى مشارف مرو، عازمـــاً علـــــــى القتـــال، وبـــرز بكتوزون وفائق ومعهما الأمير أبو الفوارس عبد الملك بن نوح وسائر العســكر، إلـــى ظاهر مرو مقابلين لعسكر السلطان محمود, ثم ما لبث أن أنضم إليهما أبو القاســم بـــن سيمجور بمن معه من جُنده، وبدا الوضع ينذر بحرب طاحنة، عنـــدها تـــدخل القضـــاة والأئمة الفقهاء بقصد الإصلاح فتوسطوا بين الطرفين، وطالـــت المفاوضـــات، وأخيـــرا أظهر السلطان محمود موافقته على الصلح، مع علمه استبطانهم الخداع والغدر؛ إلزاما للحجة، ولتفويت الفرصة عليهم، لكن الذي يظهر أن الذي حمله على ذلك؛ هو التفـــوق العددي لأعدائه بعد أن انضم إليهم أبو القاسم بن سيمجور في عسكره الكثيف[1].

ومهما تكن الأسباب التي دفعت السلطان للجنوح إلى الصلح، فقد استقر الرأي أن يكون بكتوزون سبهسالار[2] لخراسان، ويُمنح ولاية نيســـابور مـــع الولايـــات التابعـــة للسبهسالارية، وأن تكون ولايتي بلخ وهراة للسلطان محمود، وتعاهد الفريقان على هذا الأمر، واستقر الرأي بينهما، ورضي السلطان محمود بذلك، وتصدق يومها بكثيـــر مـــن المال لإبرام الصلح على هذا النحو، دون إراقة دماء، وعاد إلى بلخ[3].

وبينما هو في طريقه إلى بلخ ثار، أوباش جيش بكتوزون وفائق على مؤخرة جيش السلطان محمود، التي كانت تحت قيادة أخيه نصر فاشتبك معهم الأمير نصر مبدياً شجاعة فائقة، فلما علم السلطان بذلك انزعج بشدة، وخصوصا من موقف كبارئهم الذين لم يثنوهم عن ذلك الفعل، وظن أنهم مأمورون، وأمر بعض عسكره أن يحاربوهم ويقتلوهم، فهزموهم وفرقوا شملهم[4].

وبناءً على هذه المواقف قرر السلطان محمود معاقبة بكتوزون وحلفائه والتخلص منهم نهائياً، فجد في تجهيز جيشه, استعداداً للمعركة الفاصلة، وعبّأ جيشه أفضل تعبئة، وأكمل عتاد واجمل هيئة، فولّى أمر الميمنة أخاه نصر في عشرة آلاف فارس وأربعـــين فيلا، بينما وقف هو في القلب ومعه عشرون ألف فارس وسبعون فـــيلاً، وأســـند أمـــر الميسرة لبعض قوّاده محل الثقة مع اثني عشر ألف فارس وأربعين فيلاً، وزحف بهـــذا الجيش نحو خصومه، وبرز الأمير عبد الملك بن نوح ومعه بكتـــوزون وفـــائق وأبـــو القاسم بن سيمجور وغيرهم من مساعديه في جيش كثيف كانوا قد جمعوه من أطـــراف خراسان وما وراء النهر لملاقاة السلطان محمود[5].

---

[1] العتبي، تاريخ، 299/1 – 301، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 278، البيهقـــي، تـــاريخ ص: 708، الجوزجاني، طبقات، ص: 215.

[2] أو اسفهسالار:من ألقاب أرباب السيف، ومعناها،: (مقدم العسكر) أو قائد العسكر،وهو مركـــب من لفظتين فارسي وتركـــي، فاســـفه بالفارســـية بمعنـــى مقـــدم، وســـلار بالتركيـــة بمعنـــى العسكر.انظر:القلقشندي، أحمد بن عبدالله: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، نســـخة مصـــورة عن الطبعة الأميرية ومذيلة بتصويبات واستداركات وفهارس تفصـــيلية مـــع دراســـة وافيـــة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، (لا.ت)، 7/6، الخطيب، معجم،، ص: 234.

[3] العتبي، تاريخ، 302/1، الكرديزي، زين الأخبار، 278، البيهقي، تاريخ، ص: 708، النويري، نهاية الأرب، 368/25، خليلي، سلطنة، ص: 27.

4 مدينة بين نيسابور وأصبهان وشيراز وكرمان. الحموي، البلدان، 20/4.

[5] العتبي، تاريخ، 303/1، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 278.

التحم الفريقان في معركة طاحنة على مشارف مدينة مرو في 27 جمـادي الأول سنة 389هـ/ 17 مايو 998م، واقتتل الجيشان قتالاً عنيفاً منذ طلوع الشـمس حتـى غروبها، وقد انجلت هذه المعركة عن هزيمة ساحقة لجيش أبي الفوارس عبد الملك بن نوح وحلفائه، فكانت خسائرهم في هذه المعركة تقدر بألفي قتيل، وألفـين وخمسـمائة أسير سوى ما غنموا من نفائس أمتعتهم وأسلحتهم ومواشيهم. ولاذ الأمير عبد الملـك وفائق بالفرار باتجاه بخارى، في حين قصد بكتوزون نيسابور، أما أبـو القاسـم بـن سيمجور فاتجه ناحية قستان[1].

أما السلطان محمود وجيشه فقد رأى أن يقصد بكتوزون وأبا القاسم السيمجوري ويعجلهما عن الاجتماع، فسار إلى طوس، فهرب منه بكتوزون إلى حدود جرجان، فأرسل السلطان محمود خلفه كبير قادته العسكريين أرسلان الجاذب في جيش كبير، فتبعه أرسلان حتى أخرجه من حدود جرجان ثم انعطف إلى قهستان[2] لحرب أبي القاسم السيمجوري واستطاع هزيمة الأخير فلاذ هارباً إلى طبـس، ثم عاد أرسلان الجاذب، فولاّه السلطان محمود أمر مدينة طوس ورتب بها حامية عسكرية تحت قيادته، وقفل عائداً إلى هراة ليرتب أحوالها وينظم شؤونها[3].

وعلى الرغم من الهزائم المتتالية، التي لحقت ببكتوزون، إلا أنه لم يستكن، فعندما سمع برحيل السلطان إلى هراة، عاد مسرعاً إلى نيسابور، مستغلاً غياب السلطان وضعف الحامية العسكرية فيها، واستولى عليها مرة أخرى، لكن ما أن وصل الخبر إلى مسامع السلطان محمود حتى عاد على التـو، لإنقاذ نيسابور، ففر بكتوزن من أمامه هارباً يجرّ أذيال الهزيمة، قاصداً أبيورد[4]، فأرسل السلطان من يتتبعه فرحل عنها إلى مرو، فآمل الشط، ثم عبر نهر جيحون متجهاً إلى بخارى[5].

وفي هذه الأثناء أتفق في بخارى كل من الأمير أبي الفوارس عبد الملك بن نوح، وفائق، ثم انضم إليهم بكتوزون، واجتمع الثلاثة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الأقاليم التي سقطت في حوزة السلطان محمود، إلا أن محاولتهم كانت غير مجدية؛ لأن أحد الثلاثة وهو فائق توفي في شعبان سنة 389هـ/يوليو 998م، وبذلك فقد الأمير عبد الملك أكبر مؤيدية ضد الغزنويين في خراسان.

ومن التطورات التي حصلت في هذا العام أيضا، أن أرسلان أيلك خان خرج قاصدا بخارى، وفي الطريق انضم إليه عدد من الأمراء المحليين، واستطاع أن يدخلها في 10 ذي القعدة 389هـ/23 أكتوبر 999م، دون أية مقاومة تذكر؛ وذلك بسبب فتوى فقهاء

---

[1] العتبي، نفسه، 304/1 – 308، الكرديزي، نفسه، ص: 278، خليلي، سلطنة، ص: 27.

[2] العتبي، نفسه، 308/1 – 310، البيهقي: تاريخ، ص: 708 – 709، وانظر أيضاً، نص كتـاب السلطان محمود الذي أرسله إلى الخليفة العباسي القادر بالله عند: الصابي، أبو الحسن بن هـلال بن المحسن بن إبراهيم " الكاتب " الجزء الثاني من كتاب التاريخ، أعتنى بتصحيحه: هـ. ف. ا مرروز و د.س مرجليوث، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، محلق بذيل تجارب الأمم للـوزير أبي شجاع، 341/4 – 345.

[3] عتبي، تاريخ،311/1 – 313، ابن الأثير، الكامل، 503/7، الجورجاني، طبقات، ص: 216.

[4] مدينة في خراسان بين سرخس ونسا. الحموي، البلدان، 86/1.

[5] العتبي، تاريخ، 312/1 – 313، النويري، نهاية الأرب، 35/26.

الدين بعدم جواز محاربة القراخانيين؛ لأنهم مسلمين، وبدخول القراخانيون بخارى سقط آخر معاقل الدولة السامانية في ما وراء النهر، وقد ألقى القبض على أفراد الأسرة السامانية بما فيهم الأمير عبد الملك وأخيه منصور وكل أقربائهم[1].

هكذا دخلت خراسان تحت سيادة السلطان محمود، وأحكم قبضته عليها، ورتّب شؤونها، ونظّم أوضاعها، ثم أسند قيادة جيوشها إلى أخيه أبي المظفر نصر بن سبكتكين، وسار عنها إلى بلخ، واتخذها داراً للملك، وتبوّأ سرير الملك، وحضر بين يديه أمراء الأطراف، ووقفوا أمامه، مقيمين رسم الخدمة، ومعلنين طاعتهم لسلطانه، فأجلسهم بعد الإذن العام على مجلس الأنس، وأمر لكل واحد منهم ولسائر غلمانه وخاصته، ووجوه أوليائه، وحاشيته طوال يومه[2].

رفع السلطان محمود شعار الطاعة للخليفة العباسي القادر بالله، الذي لم يعترف السامانيون بشرعية خلافته؛ بل استمروا على طاعة الخليفة المخلوع الطائع لله[3]، بهدف إضفاء الشرعية السياسية والدينية لسلطانه، فكتب إليه كتاباً، يخبره بهزيمة عبد الملك وحلفائه، ودخول خراسان تحت لوائه، مبرراً دوافع دخوله الحرب،ومعلناً طاعته وولائه للخليفة القادر بالله،ونظرا لأهمية هذا الكتاب سنورد مقاطع منه،حيث جاء فيه:((... وقد علم مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه حال الماضين من السامانيين فما كانوا من نفاذ الأمر وجمال الذكر وانتظام الأحوال... بما كانوا يظهرونه من طاعة أمير المؤمنين ومباعيتهم... ولما مضى صالح سلفهم، وبقي خلف خلفهم خلعوا رقبة الطاعة، وشقوا مخالفة لمولانا أمير المؤمنين...عصاة الجماعة،وأخلوا منابر خراسان عن ذكر اسمه ...وعم البلاد والعباد بلاؤهم،ونهك الرعايا ظلمهم... ولم أستجز مع ما جمع الله لي في طاعة مولانا أمير المؤمنين...من عدة وعُدّة وشكة وشوكة، وقوة أقران ... وكثرة أنصار،... إلا أدعُوهم إلى حسن الطاعة، ولأبذل في إقامة الدعوة لمولانا أمير المؤمنين ... تمام الوسع والاستطاعة، فدعوت منصور بن نوح إليها... ولم يصغ إلى إعذار وتذكير ولم يلتفت إلى إنذار وتبصير، ونهض من بخارى بخيله ورجله، وحشده وحفله يجمع عليّ أهل الضلالة من أشياعه... فكان من شؤم رأيه... أن اصطلمه جنده فكحلوه وبايعوا أخاه عبد الملك، وجريت على عادتي مع هذا الأخير، أوفد إليه مرة بعد أخرى وثانية عقب أولى من يدعوه إلى الرشاد ويبّصره من التمسك بطاعة مولانا أمير المؤمنين... فلم يزده ذلك إلا مازاد أخاه استعصاء واستغواء...فلما أيست...نهضت إليه بمن معي من أولياء مولانا أمير المؤمنين... في جيوش يشرف بها الفضاء ويشفق من وقعها القضاء...))ثم استطرد قائلاً:((...وكتابي هذا وقد فتح الله تعالى لمولانا

---

[1] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 278، أبي الفداء، المختصر، 134/2، ابن الوردي، زين الدين عمر: تاريخ ابن الوردي أو تتمة المختصر في أخبار البشر، ط2، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، العراق، 1389هـ/1969م، 438/1.

[2] العتبي، تاريخ،314/1، 317.

[3] أبو الفضل عبد الكريم بن المطيع لله، تولى الخلافة بعد مرض أبيه بالفالج، سنة 363هـ/973م، واستمر خليفة إلى أن خلعه بها الدولة بن بويه سنة 381هـ/991م راجع ابن الأثير، الكامل، 242/7،318، 443.

أميرالمؤمنين بلاد خراسان قاطبة وجعل من منابرها تذكر اسمه متباهية...وبعد فلم أجدد رسماً في حل وعقد وإبرام ونقض إلى أن يرد من عالي أمره ورسمه ما أبنـي الأمـر ببنائه...بإرادة الله سبحانه وتعالى...وإياه أسال أن يهنئ مولانا أمير المؤمنين الإمـام القادر بالله خير هذا الفتح الجليل خطره... وأن يواصل له الفتوح قرباً وبعـداً، وغـوراً ونجداً وبراً وبحراً وسهلاً ووعراً، وأن يوفقني للقيام بشرائط خدمته والمناضـلة عـن بيضته أنه على ما يشاء قدير ... فإن رأى سيدنا ومولانا ... أن ينعم بـالوقوف عليـه وتصريف عبده بين امره ونهيه فعل ...))[1].

يمكن أن نستخلص من هذا الكتاب ما يلي:

- **أن السلطان محموداً – كما يبدو – حوّل ولاءه من السامانيين الى الخليفة العباسي القادر بالله مباشرة، وبهذا يكون قد تحوّل عـن سياسـة أسـلافه مـن الأمـراء الغزنويين، وكان لهذا الاتجاه الجديد أثر كبير في الانتصارات التي حققتها الدولـة الغزنوية فيما بعد في الداخل و الخارج.**
- **كان يرى ضرورة تأييد ومباركة الخليفة العباسي لسطانه، نظرا لما يتمتع به مـن مكانة دينية في بلاد الإسلام؛ بغية إضفاء نوع من الشـرعية علـى حكمـه لـبلاد المشرق الإسلامي، بدليل أن الخليفة عُد حتى في دور ضعف الخلافة، نظرياً رئيساً للدولة الإسلامية، وكان الحكام المستقلون يحرصون على أن يحصلوا على اعتراف الخلافة بسلطتهم[2].**

سُرّ الخليفة القادر بالله سروراً بالغاً؛ بهزيمة الأمير الساماني عبد الملك وحلفائـه الذين امتنعوا عن الاعتراف بشرعية خلافته، وبادر بالاعتراف بالسلطان محمود حاكمـاً مستقلاً على جميع الممالك المفتوحة، وأرسل له خلعة[3] لم تكن قد أعطيـت حتـى ذلـك الوقت لأحد من الأمراء والسلاطين، محمولة من دار الخلافة ببغداد ولقبه في كتابه الذي أرسله اليه بــ: ((يمين الدولة، وأمين الملة)) وهو لقب قال عنه العتبي: ((... لقباً كان مصوناً في صدف الشرف، لم تنله أيدي الغاصة قط على كثرة الطلاب، وتنافس الملـوك في الألقاب))[4].

لبس السلطان محمود خلعة بلاط الخلافة، وجلس على التخت ووضع التاج علـى رأسه، وتسمى بالسلطان، وذلك في ذي الحجة سنة 389هـ/ نوفمبر 999م. وهو يـوم أذن فيه بالاستقبال العام لجميع أمراء الأطراف، وسائر غلمانه وخاصته ووجوه اوليائه

---

[1] أنظر نص كتاب السلطان محمود المرسل إلى الخليفـة القـادر بـالله العباسي:الصـابي:تاريخ، ص341–345.حماده،محمد ماهر:الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة (247– 656هـ/861 – 1258م)، ط3،مؤسسة الرسالة،بيروت،1406هـ/1985م، ص: 460 – 463.

[2] خطاب، علاقات، ص: 119، نقلا عن توماس ارنولد، كتاب الخلافة، ص: 41 – 42.

[3] لغة: ما يخلعه الخليفة أو الأمير أو الملك على أحد الناس؛ من الثياب الفاخرة، وكـان الخلفـاء يمنحونها الأكابر من رجالات الدولة أو المقربين، والخلعة قد تكون؛ عيناً أو مالاً، إنما هي على الغالب لباس مؤلف من: جُبّة مطرزة، وعمامة، وطيلسان، وسيف إضافة إلى البُدر والـدنانير، راجع: الخطيب، معجم، ص: 165.

[4] العتبي، تاريخ، 317/1. الكرديزي، زين الأخبار، ص: 281، وقد زاد على ما ذكره العتبـي: ((أبا القاسم محمود ولي أمير المؤمنين)).

وقادته العسكريين[1]، وقد دخل عليه بديع الزمان الهمذاني[2] فأنشد قصيدة كان مطلعها[3]:

تعالى الله، ما شاء ... وزاد الله إيماني
أأفريدون[5] في التاج؟ ... أم الأسكندر الثاني[6]؟
أم الرجعة قد عادت ... إلينا بسليمان[7]؟
أطلّت شمس محمود ... على أنجم سامان
وأضحى آل بهرام[8] ... عبيداً لابن خاقان[9]

---

[1] الكرديزي، نفسه، ص: 281.

[2] أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني، الحافظ المعروف بـ: (بديع الزمان)، صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة، وعلى منواله نسخ الحريري مقاماته واحتذى حذوه، له الرسائل البديعة والنظم المليح، سكن هراة من خراسان، وتنقل في مدن وبلاطات المشرق، توفي سنة 398هـ/1007م، مسموماً في مدينة هراة. راجع: أبن خلكان، وفيات، 127/1-129، بروكلمان كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، ط2، دار المعارف، القاهرة، (لا.ت)، 112/2 وما بعدها.

[3] أبن العمراني، محمد بن علي: الأنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1416هـ/1999م، ص: 185.

[5] أحد ملوك العجم المشهورين. راجع الكرديزي، زين الأخبار، ص: 9 – 12.

6 أحد ملوك الروم العظام، اشتهر بالعزة والسطوة وقهر الملوك، يقال إن ثلاث عشرة مدينة سميت كلها باسمه. الحموي، البلدان، 182/1.

7 يقصد سليمان النبي والملك، الذي أعطاه الله من الملك ما لم يعطه لأحد غيره من خلقه. القرماني، أخبار الدول، 174/1.

8 يقصد بهم آل سامان، الذين ينتسبون إلى ذريّة بهرام جور الملك الفارسي المشهور. العتبي – المنيني-، تاريخ، 385/1.

9 أراد به السلطان محمود، لأن الخاقان اسم ملك الترك وأبوه كان تركياً ثم صار ملكاً. العتبي، نفسه، 385/1، وانظر أيضاً: الباشا، حسن: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957م، ص: 271.

2- محاولة احياء الدولة السامانية وموقفه من ذلك :

عندما استولى ايلك خان على بخارى عاصمة الدولة السامانية، ألقى القبض على أفراد الأسرة السامانية، ومن بينهم أبي إبراهيم إسماعيل بن نوح وحبسهم في سجن بأوزكند[1]، لكن أبا إبراهيم استطاع الهروب من سجنه، وذهب مختفياً إلى بخارى، ثم رحل عنها إلى خوارزم، وهناك التف حوله عدد كبير من أنصار الأسرة السامانية، تحت قيادة أرسلان بالو، ولقب نفسه بـ : (المنتصر)، وفعلا استطاع بهذه القوات التي تجمعت لديه، أن يُلحق الهزيمة بقوات جعفر تكين أخي أيلك خان في سمرقند، واستطاع أسره هو وجماعة من الأمراء، وغنم مغانم كثيرة، قوي بها شأنه، ثم ارتحل إلى بخارى، وبها ألحق الهزيمة أيضا بقوات أيلك خان، ودخل بخارى واستولى على دار الإمارة، واستبشر أهلها خيراً، وفرحوا بعودة الأسرة السامانية إلى الحكم[2].

على إن أيلك خان لم يستسلم لهذه الهزيمة،بل طفق يجمع الأتراك ويرص صفوفهم عازماً على طرد المنتصر من بخارى، ولمّا لم يكن لدى المنتصر القدرة على مقاومة هذا الجيش الضخم، رحل عنها، قاصداً أبيورد واستولى عليها وجبى خراجها، ثم سار عنها إلى نيسابور، وفي الطريق انضم اليه أبو القاسم بن سيمجور، فدخلا مع قائد جيوش خراسان أبي المظفر نصر بن سبكتكين في معركة طاحنة بين بُغاخي[3] وبشخة[4]، وذلك يوم الاربعاء **28** ربيع الأول سنة **391**هـ/**26** فبراير **1000**م، ومع تكاثر جموع جيش المنتصر وأبو القاسم بن سيمجور قرر أبو المظفر الإنحياز إلى هراة انتظارا للمدد من أخيه محمود، عندها دخل المنتصر نيسابور وسيطر عليها، وعظم أمره[5].

لما علم السلطان محمود بهزيمة قواته واستيلاء السامانيين على بعض ممتلكاته؛ أسقط في يده، وخشي أن يعود السامانيون إلى استرداد البلاد التي آلت إلى دولته منهم، مما يهدد دولته بخطر جسيم؛ لذلك سار على رأس جيش كبير إلى نيسابور، فلما اقترب منها، غادرها المنتصر إلى اسفرايين[6]، وفرّق أصحابه في رساتيقها[7] لجباية أموالها، فلما أزعجه الطلب ذهب إلى جرجان؛ مستنجدا أميرها شمس المعالي قابوس بن وشمكير الزياري، فتلقاه بكل ما تمناه منه، وأكرمه وأعزّه، وأعطاه من الأموال والسلاح

---

[1] بلد في ما وراء النهر، من نواحي فرغانة. الحموي، البلدان، 280/1.

[2] العتبي، تاريخ، 320/1 – 324، مستوفي قزويني، تاريخ كزيده، ص: 156، الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير – والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1409هـ / 1988م، (حوادث 380 – 400هـ)، ص: 231. النويري، نهاية الأرب، 370/25-371.

[3] قرية من قرى نيسابور. العتبي – المنيني –، تاريخ، 324/1.

[4] قرية تبعد أربعة فراسخ (18 كم) عن نيسابور. العتبي – المنيني –، نفسه، 324/1.

5 العتبي، نفسه، 324/1، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 281-282، الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث سنة 380-400هـ)، ص:231.

[6] بلدة حصينة من نواحي نيسابور،تقع على منتصف الطريق من جرجان.الحموي،البلدان،177/1.

[7] مفردها: رستاق، وهو كل موضع فيه مزارع وقرى، ولا يقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد، فهو عند الفرس بمنزلة السواد عند أهل بغداد. الحموي:البلدان، 38/1.

والدواب وغيرها الشيء الكثير، لكنه أشار عليه أن يقصد بلاد الرّي[1]، ليشغل الفراغ السياسي بها؛ نظرا لسهولة السيطرة عليها، بسبب ما تعانيه من الاضطرابات السياسية التي كانت تعيشها، فسار إليها المنتصر الساماني وبرفقته دارا ومنوجهر أولاد شمس المعالي في جيش من الجيل والديلم ووجوه الأكراد والعرب، حتى خيم بظاهر الرّي، فخرج أهلها لملاقاته دفاعاً عن مدينتهم، وأرسلت والدة مجد الدولة القائمة بالأمر من يستميل أرسلان بالو وأبو القاسم ابن سيمجور قائد الجيش الساماني، بمال يحمل إليهما سرّاً على أن يثنيا عنان المنتصر عن دخول الرّي، فعندئذ نصحا المنتصر بعدم المساس لمدينة الرّي وأطمعوه وزيّنوا له المُلك بخراسان، فارتحل من باب الرّي قاصداً دامغان[2]، في حين انفرد أولاد شمس المعالي قابوس عائدين إلى جرجان[3].

جَدّ المنتصر في السير نحو نيسابور بغية السيطرة عليها، وبها وقتذاك أبو المظفر نصر بن سبكتكين، فخاف الأخير من الهزيمة كالتي حدثت له من قبل، فانحاز إلى بوزجان[4]، وأرسل إلى غزنة طالبا المدد، وعندئذ دخل المنتصر المدينة وسيطر عليها في شوال سنة 391هـ / سبتمبر 1000م، وبث عماله لجباية خراجها[5].

علم السلطان محمود باستيلاء المنتصر على نيسابور، وانحياز أخيه إلى بوزجان؛ فاشتد غضبه لذلك، وأرسل على التو إلى الحاجب الكبير التونتاش والي هراة، وأمره بالمجئ إليه في معظم قواته، وجيّش الجيوش، وأرسلها بإتجاه نيسابور مدداً لأبي المظفر نصر، فلما وصلت الجيوش الغزنوية، تلقاهم المنتصر بجيش على رأسه أرسلان بالو، وأبو نصر بن محمود وأبو القاسم ابن سيمجور، ودخل الفريقان في معركة شرسة في شهر ربيع الأول 392هـ/ يناير 1001م، وصفها العتبي[6] بقوله : ((... فالتقوا على حرب تحطمت فيها الصفاح المشهورة، وتقصدت الرماح المطرورة وعُريت عنها الكواكب المستورة ثم شاعت الهزيمة في السامانية فولّوا على أدبارهم نفورا ...))، ودخل أبو المظفر نيسابور، بينما فرّ المنتصر هارباً باتجاه أبيورد، والطلب على أثره حتى وصل جرجان، فصدّه أهلها ومنعوه من الدخول، فعاد أدراجه، تائهاً، حائراً، محملاً مسؤولية هزيمته في المعركة قائد جيوشه ومدبر حروبه أرسلان بالو، وقرر الخلاص منه فقتله[7].

برغم ما تلقاه المنتصر من هزائم ساحقة، إلا أنه واصل حروبه وتنقلاته في الأقاليم والمدن، فاتجه إلى سرخس وجبى أموالها، فعلم بذلك الأمير أبو المظفر نصر، فسار على رأس جيش كبير، وبرز المنتصر بمن معه إلى مشارف المدينة فخيّم بازائه

---

[1] كان واليها وقتذاك مجدا الدولة وكهف الملة، أبي طالب رستم بن فخر الدولة البويلي وهو حينئذ صغير السن وكان تدبير المُلك بيد والدته. راجع: العتبي، تاريخ، 326/1-327.

[2] بلد كبير بين الرّي ونيسابور، وهو عاصمة قومس. الحموي، البلدان، 433/2.

[3] العتبي، تاريخ، 325/1-327، الكرديزي، زين الأخبار، ص " 282، الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث 380-400هـ)، ص: 231، النويري، نهاية الأرب، 371/25.

[4] بُليدة بين نيسابور وهراة، وهي من نواحي نيسابور. الحموي، البلدان، 507/1.

[5] العتبي، تاريخ، 328/1. الكرديزي، زين الأخبار، ص: 282.

[6] العتبي، تاريخ، 328/1.

[7] المصدر نفسه، 329/1، النويري، نهاية الأرب، 371/25.

واستعد للحرب، فدارت بينهما معركة انتصر فيها أبو المظفر نصر صاحب جيوش خراسان؛ نظرا لتفوق جيش الأخير، عددا وعدّة، ومزّق جيش المنتصر وقتل منهم عدداً كثيراً، وأسروا وغنموا، فحملوا الأسرى إلى غزنة، وسار المنتصر لا يرى له ملجأ ولا مكاناً يحميه، بينما قفل أبو المظفر عائداً[1] يحمل بشائر النصر، فذاع صيته بين أهالي المشرق الإسلامي، وتغنى الشعراء بانتصاراته الهائلة وعلى رأسهم الشاعر والأديب المعروف أبو منصور الثعالبي الذي أنشد في ذلك النصر قصيدة كان مطلعها[2] :

تبلَّجت الأيام عن غـرّة الدهر	وحلّت بأهل البغى قاصمة الظهر
وولّى بنو الأدبار أدبارهم وقد	تحكّم فيهم صاحب الجيش[3] بالقهر
وقد جاء نصر الله والفتح مقبلا	الى الملك المنصور سيّدنا نصر
غياث الورى شمس الزمان وبدره	ومن هو بالعَلياء أوْلَىْ أوُلَي الأمر
فيا لك من نصرٍ غدا زينة العُلا	وواسطة الدنيا وفائدة العصر

سار المنتصر الساماني بعد هزيمته بالقرب من سرخس، حتى وافى جمعاً من الأتراك الغُزية، ولهم ميل إلى الأسرة السامانية، فاستمالهم إلى صفه ووعدوه بالنصرة، وسار بهم في شوال سنة 393هـ/ أغسطس 1002م، لمهاجمة بخارى، في محاولة لاستعادة مُلك أجداده السليب، عندئذ قرر أيلك خان نقل المعركة إلى خارج بخارى، فسار لملاقاة المنتصر، ودارت بين الطرفين معركة عند حدود سمرقند انتصر فيها الغُزية الموالين للمنتصر الساماني وغنموا وأسروا، لكن سرعان ما تبدل النصر إلى هزيمة عندما تفرق الغُزية تاركين المنتصر وجها لوجه مع ايلك خان، في قلة من جنوده وأنصاره، فلما رأى المنتصر موقف الغُزية قرر الهروب من أمام أيلك خان، فتبعه الأخير حتى عبر نهرجيحون[4].

حاول أبو إبراهيم المنتصر استعطاف السلطان محمود، فأرسل إليه رسولا يدعى مرسي النقيب، يذكّره بحقوق أسلافه عليه، واشتداد العداوة على الأسرة السامانية، وأظهر الملاحظة والتضرع، طالبا مساعدته بالرجال والأموال لاسترداد بخارى من يد ايلك خان، فأوجب السلطان محمود على نفسه إكرام رسول المنتصر ومساعدته بمقدار من المال وطلب السلطان أيضا من بعض القادة السامانيين القدماء طاعة المنتصر والانضواء تحت لوائه، فخاض المنتصر عدداً من المعارك البسيطة، في نسا[5] واسفرابيين اسفرت جميعها عن هزائم ساحقة لجيش المنتصر المنهك القوى، القليل العدد والعُدّة بعدها سار المنتصر في جماعة من أصحابه حتى عبر النهر مرة أخرى، فخرج حرس بخارى لمنعه من دخول المدينة فاشتبك معهم في معركة خاطفة أسفرت هي الأخرى عن هزيمة كبيرة للمنتصر واعوانه، ففر ناجياً برأسه إلى ثغر النور من بخارى، وتجمع له بها عدد من الغُزية وغيرهم فقوي بأسه بهم، فعاد قاصداً السيطرة

---

[1] العتبي، نفسه،330/1– 332،الذهبي، تاريخ الإسلام،(حوادث سنة380 –400هـ)،ص: 232.
[2] العتبي، نفسه، 232/1 – 235.
[3] في إشارة منه لأبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين صاحب جيوش خراسان.
[4] العتبي،تاريخ،336/1–337، الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث سنة 380–400هـ) ص: 233. سمير رزق، الدولة، ص: 11.
[5] مدينة بخراسان، بينها وبين سرخس يومان. راجع: الحموي: البلدان، 5 / 282.

على المدينة، فخرج عندئذ ايلك خان بنفسه على رأس جيش من الأتراك ودارت بينهما معركة شديدة في شعبان 394هـ/ مايو 1003م، حتى تفرق جيش الخان من حوله، وغنم الغزية غنائم هائلة، لكن سرعان ما جمع ايلك خان جيشه من جديد ورص صفوفه، وعاد بهم إلى أرض المعركة، ووافق قدوم ايلك خان، تراجع الغزية إلى أوطانهم بما نهبوه، واستانف الخان الحرب بين قريتي درُك[1] وخاوس[2]، وهنا وقعت بينهما معركة حاسمة؛ ونتيجة لخيانة بعض قادة جيش المنتصر، ألحق الخان به الهزيمة، ففر المنتصر هاربا إلى شاطئ نهر جيحون وعبر النهر إلى جوزجان ثم قطع المفازة إلى قنطرة زاغول[3].

بلغ السلطان محمود نبأ عبور المنتصر نهر جيحون باتجاه الجنوب فانحدر مسرعاً من غزنة إلى بلخ محاولاً سد الباب في وجه المنتصر؛ خوفا من تفاقم أمره، فسبقهم المنتصر إلى الجنابذ[4]، فدنا منه صاحب جيوش خراسان أبو المظفر نصر ومعه والي سرخس طغاجق وأرسلان الجاذب والي طوس ففاتهم المنتصر إلى جومند[5]، ثم سار عنها إلى بيار[6]، ومنها ارتحل إلى كورة نسا، وبها التقى ابــن سرخــك المنسوب للسامانيين ووعده بالوقوف معه ضد ايلك خان، فسار المنتصر حتى بلغ بئر حماد من مفازة آمل الشط، فسبقه جنوده وفرسانه إلى نهر جيحون، فوافق قدومهم جمود النهر فاغتنموا مفارقته خلاصا مما ابتلوا به من حروب، ومكابدة الأسفار وعدم الاستقرار، فلحقوا بايلك خان في ما وراء النهر، وأخبروه بأن المنتصر مُنهك القوى، ضعيف الجند؛ منهار المعنوية، فلم يشعر الأمير الساماني إلا بالخيل مطلة عليه، فطاردهم ساعة، ثم رحل وولاهم الأدبار هارباً، فنزل بحله بني بهيج، وهم من العرب الرحالة الذين لا يستقرون بمكان، وبها قتل على يد أحد أعراب بني بهيج في ربيع الاول سنة 395هـ / ديسمبر 1004م، وبمقتله انقرضت الدولة السامانية[7].

---

[1] بليدة في ما وراء النهر من بلاد اشروسنة. الحموي، البلدان، 342/2.

[2] تعريبها دزق، قرية كبيرة على طريق الشاش في ما وراء النهر، بين زامين وسمرقند. راجــع: الحموي، البلدان، 454/2.

[3] العتبي، تاريخ، 337/1 – 342.

[4] وردت هكذا عند العتبي، نفسه، 343/1، بينما وردت عند الأصطخري: (ينابذ)، المسالك، ص: 154. وكلاهما ذكرا أنهما من مدن قهستان.

[5] بلدة من نواحي قومس، وقيل من نواحي نيسابور. أنظر: العتبي، تاريخ، ص: 343.

[6] مدينة لطيفة من اعمال قومس بين بسطام وبيهق. راجع الحموي، البلدان، 517/1.

[7] العتبي، تاريخ، 342/1–344. ويذكر الكرديزي، أنه قتــل فــي شــهر ربيــع الآخــر ســنة 395هــ/يناير 1005م. زين الأخبار، ص: 284.

وبناء على العرض السابق يمكن أن نستخلص أهم الأسباب التي أدت إلى فشل محاولة إحياء الدولة السامانية فيما يلي :

1- أن مواجهة المنتصر لأكبر دولتين في منطقة الشرق الإسلامي؛ وهما: الدولة الغزنوية في خراسان وغزنة، والدولة القراخانية في بلاد ما وراء النهر – بكل ما لديهما من جيوش ضخمة، ومدربة، ومنظمة، ومسلحة بأعتى الأسلحة المتوفرة في العالم الإسلامي في ذلك الوقت –، كان له أعمق الأثر في فشل محاولة إحياء الدولة السامانية، فالفرق في العدد والعدّة والتدريب والتنظيم بين الطرفين كان الفيصل في كثير من المعارك الحربية التي دارت بينهما.

2- فتح المنتصر على نفسه أكثر من جبهة، في آنٍ واحد، وهذا بدوره أدى إلى إنهاك جيشه، واستنفاد طاقته وإمكانياته المتواضعة، مما دفع بأفراد جيشه في آخر الأمر إلى مفارقته والانضمام إلى عدوه أيلك خان، خلاصا من مكابدة الأسفار وكثرة الحروب، وعدم الاستقرار.

3- لم يكن لدى المنتصر جيوش نظامية مدربة ومنظمة، تدين بالولاء المطلق لطاعته، بل اعتمد في كثير من حروبه على ما تجمع لديه من الأنصار أو المؤيدين للأسرة السامانية، وما فعله الأتراك الغُزية خير دليل على ذلك.

3- دخول إمارات المشرق المحلية تحت سيادته :

كان أهم أهداف سياسة السلطان محمود التوسعية في بلاد المشرق ضم الإمـــارات المحلية المجاورة، لحدود دولته، وإخضاعها لسيطرته، بغية تحقيق أمرين فـــي غايـــة الأهمية، أولهما : توسيع نطاق حكمه إلى أقصى قدر ممكن، وثانيهما : تأمين ظهـــره، وضمان عدم قيام هذه الأمارات بأي إجراءات معادية لدولته، وخصوصا أثناء انشـــغاله بفتوحاته العظيمة في شبه القارة الهندية.

ومن بين الإمارات التي انضوت تحت سيادته، إمارة سجستان، وإمارة غرجستان، وإمارة بلاد الغور، وإمارة خوارزم، وإمارة جرجان وطبرستان، وإمارة جوزجان.

أ- إمارة سجستان :

ظل أبو أحمد خلف بن أحمد، أمير سجستان، تحت طاعـــة الأمـــراء الســـامانيين وطوال عهد قوتهم، وازدهار دولتهم، وعندما ضاقت دائرة دولتهم، وأصـــبح الضـــعف ينخر جسدها، وانحصر نفوذها الفعلي في ما وراء النهر، أراد أمراء سجســـتان إعـــادة استقلالهم، وخلعوا طاعة بني سامان[1].

وفي الوقت الذي كان الأمير ناصر الدين سبكتكين (والد السلطان محمـــود)، قـــد اعتلى عرش غزنة، وأخذ يوسع نطاق دولته في إقليم زابلستان، كـــان حبـــل المـــودّة، مقطوعاً بينه وبين خلف ابن أحمد، وعندما انشغل الأمير سبكتكين بغزواتـــه فـــي بـــلاد الهند، هجم خلف بن أحمد على مدينة بُست الخاضعة لنفوذ الدولة الغزنوية، واســـتولى عليها، وجبى خراجها لنفسه، لكن سرعان ما استعاد الأمير سبكتكين هذه المدينة، وقدّم خلف له الأعذار وعفا عنه بشرط أن يعيد الأموال التي كان قد جمعها من أهل بُست من غير وجه شرعي، ثم حُسنت العلاقة بينهما قليلا، فعندما عزم ناصر الدين سبكتكين على حرب أبي علي وفائق – كما أشرنا – قدّم خلف بن أحمد مساعدة عسكرية، بل واشترك إلى جانب سبكتكين في المعركة، لكن سرعان ما ندم على ذلك، فعندما هجم ايلك خـــان على أملاك السامانيين دخل مع سبكتكين في حروب، بصـــفته المـــدافع عـــن الأمـــلاك السامانية، كان خلف يراسله ويغريه بحرب سبكتكين، طمعا على حد قول العتبي[2]:((... في بست ونواحيها، وغزنة وما يليها ...)) فعلم بذلك سبكتكين، وعزم علـــى معاقبتـــه، لولا أن كاتبه أبا الفتح البستي قد ثناه عمّا نواه بحجة أن بعض هذه الأخبـــار مـــزوّرة، وغير صحيحة، ثم كتب خلف بن أحمد للأمير سبكتكين متنصلا عمّا عُزي إليه، متبرئـــاً من ذلك، فعفا عنه مرة أخرى، وقضى سبكتكين ما تبقى من عمره فـــي مـــداراة خلـــف وملاطفته إلى أن مات[3].

أظهر خلف الشماتة لموت الأمير سبكتكين، فعلم بذلك السلطان محمود، فأســـرّها في نفسه مترقباً لميقات الفرصة، وعندما انشغل السلطان محمود بحروب السيطرة على خراسان، بعث خلف أبنه طاهر إلى قهستان وبوشنج[4]، واستولى عليهما، وقـــد كانـــت

---

[1] العتبي، تاريخ، 354/1، خليلي، سلطنة، ص: 34.

[2] تاريخ، 354/1.

[3] المصدر نفسه، 355/1-356، الخولي، أبو الفتح، ص: 63.

[4] بُليدة نزهة خصيبة، في وادٍ مشجر من نواحي هراة. الحموي، البلدان، 508/1.

الأخيرة ضمن ولاية بغراجق عم السلطان محمود، وحينما أحكم السلطان سيطرته على خراسان، استأذنه عمه بغراجق في استرداد بوشنج، فأذن له، فزحف بغراجق قاصدا بوشنج فاشتبك مع طاهر في معركة حاسمة، انهزم فيها طاهر، وفرّ هارباً، فتبعه بغراجق مع عددٍ قليل من أنصاره، وهو في حالة سُكر شديد فعلم طاهر بحالته، فعطف عليه وقتله ثم توجه إلى قهستان[1].

حزن السلطان محمود لموت عمه، حزناً شديداً، وقرر الانتقام وأخذ الثأر؛ فزحف في شهور سنة 390هـ/999م، بجيش جرار قاصدا سجستان فتحصن خلف بن أحمد في حصن (اصهبذ)، فحصره فيه، ولما وجد خلف نفسه عاجزا عن المقاومة، جنح إلى التصالح مع السلطان محمود، فقدّم له مائة ألف دينار ذهب، والعديد من التحف والهدايا الأخرى، فوافق السلطان على ذلك الصلح وعاد إلى غزنة[2].

وعُقيب انصراف السلطان عن سجستان، عهد خلف بن أحمد إلى ابنه طاهر بتولي الحكم في إمارة سجستان، وأسند إليه كل أمورها، واعتكف هو على العبادة والعلم، وقد كان عالما مُحباً للعلماء، وأقدم على ذلك ليوهم السلطان محمود أنه ترك المُلك، وأقبل على طلب الآخرة، ليقطع طمعه عن بلاده، ولما استقر طاهر على عرش سجستان عق أباه، وأهمل أمره، فلاطفه أبوه ورفق به، ثم أنه تمارض في حصن اصبهبذ، واستدعى ولده (طاهراً) ليوصي إليه، وفي الوقت نفسه أعد كميناً من خاصته، ليقبضوا على طاهر، فتم لهم ذلك وزُج به في السجن حتى مات، وشاع في الناس أن طاهراً قتل نفسه، فلما سمع قائد جيش خلف، طاهر بن زيد وسائر القادة الآخرين بما جرى لطاهر؛ استاءوا من تصرف أميرهم خلف، وخافوا من بطشه الشديد على أنفسهم، فأعلنوا عصيانهم وثورتهم عليه، وأعلنوا طاعتهم وولائهم للسلطان محمود، وضربوا العملة باسمه، ثم أرسلوا يطلبون منه أن يبعث اليهم تسليم مدينتهم[3].

عندئذ زحف السلطان محمود في المحرم من سنة 393هـ/نوفمبر 1002م، على سجستان، فلجأ خلف منه في قلعة (طاق)[4] التي كانت من أمتن القلاع ولها سبعة أبراج، ويحيط بها خندق عظيم العُمق، فنزل السلطان عند طرفها، وأمر أصحابه بطمي الخندق، وعبروا إلى القلعة واشتبك الطرفان في معركة خاطفة عند أبوابها، فتقدم فيل عظيم إلى باب السور فاقتلعه بنابيه وألقاه أرضا، فدخل جيش السلطان إلى داخل القلعة، وأمام تفوق جيش السلطان عدداً وعُدة لم يصمد خلف وأنصاره، فاضطر آخر الأمر إلى الاستسلام وطلب الأمان لنفسه، فأجابه السلطان، فدخل ومسح وجهه في التراب

---

[1] العتبي، تاريخ، 1/357-358، ابن الأثير، الكامل، 7/515.

2 العتبي، نفسه، 1/358-360، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 281، علما أنه ذكر ضمن شروط الصلح مع خلف بن أحمد، أن يجعل الخطبة على منابر سجستان باسم السلطان محمود، وهذا ما لم يشر إليه العتبي وغيره من المؤرخين.

[3] العتبي،تاريخ،1/368-370، ابن الأثير،الكامل، 7/527-528، مستوفي قزويني، تاريخ كزيده، ص:396، برويز، عباس، تاريخ إيران بعد الإسلام منذ بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة الفاجارية (205-1343هـ/820-1925م): نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه: محمد علاء الدين منصور، راجعه:السباعي محمد السباعي، دار الثقافة، القاهرة، 1989م، ص:173.

4 مدينة صغيرة بسجستان على ظهر الطريق من سجستان إلى خراسان. الحموي، البلدان، 6/4.

تواضعا، ثم ملأ البلاط بالمجوهرات الثمينة، وأعلن طاعته وولاءه[1]، ونادى محموداً بــ (السلطان) حتى يقال انه منذ ذلك الحين سُمي محمود بــ (السلطان) وأصبح هــو لقبــه الرسمي على أقل تقدير داخل دوائر بلاط غزنة[2]، غير أن العتبي لم يشر إلى ذلك، علــى الرغم من أنه تناول هذا الفتح بشيء من التفصيل!!، فضلا عن أنه مؤرخ الدولة الغزنوية.

راعى السلطان محمود الأصل الشريف لخلف بن أحمد, وكفاءته العلمية، وشــمله برعايته وعطفه، وسلمه أمواله وخزائنه، وسمح بأن يختار المكان المناسب ليعيش فيه ما تبقى من عمره، فاختار أرض الجوزجان؛ نظرا لاعتدال مناخها وطيب هوائها، فذهب إليها في هيئة حسنة، واستقر هناك أربع سنوات ثم علم السلطان بأن خلف أخذ يراســل ايلك خان، ويغريه على حربه؛ فأمر بنقله الـــى قلعــة كرديز، وظل هناك حتى توفي في رجب سنة 399هــ/ مارس 1008م[3].

لم تستمر سجستان طويلا على ولائها لغزنة، فعلى الرغم من أن السلطان محمود أسند حكمها إلى أحد ثقاته المخلصين المسمى: (قنجي الحاجب) الذي نشر العدل وأحسن السيرة في أهلها، فإن أهل سجستان عادوا إلى محاولة الاستقلال عن الحكم الغزنــوي، فعزم السلطان على إخضاعها لنفوذه من جديد، وسار إليها على رأس عشرة الآف مــن خيرة جنوده، وحاصر المتمردين في ذي الحجة 393هــ / أكتوبر 1002م، حتى رضخوا واستسلموا، بعد أن أحدث في صفوفهم مقتلة عظيمة، فعــادت سجســتان إلــى طاعــة السلطان محمود، واستقرت أمورها، فأقطعها أخاه نصراً مضافة إلى نيســابور، وأنــاب عنه في حكمها وزيره نصر بن إسحاق، فضبط أمور الولاية، وســاس أهلهــا سياســة حسنة، وانتظمت سجستان طوال عهد السلطان محمود[4].

ب- إمارة غرجستان[5]:

كان أبو نصر محمد بن أسد, شاراً [6] على غرجستان, منذ أيام الدولة الســامانية, وحتى تولي السلطان محمود عرش غزنة. وترجع علاقة هذا الشار بالبيت الغزنوي إلى عهد الأمير الراحل ناصر الدين سبكتكين، فعندما أعلن أبو علي بن ســيجور عصــيانه على الأمير نوح بن منصور الساماني (350 – 387 هــ / 961 – 997م) طلــب مــن شار غرجستان الدخول في طاعته، لكنه رفض، وظل مخلصاً مطيعاً للأمراء السامانيين،

---

[1] العتبي، تاريخ، 1/370–373، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 285–286، الطوسي: سياســت نامه، ص: 85. ابن الأثير، الكامل، 7/528، مستوفي قزويني، تاريخ كزيده، ص: 396، خليلي سلطنة، ص: 36.

[2] القزويني، حواشي كتاب جهار مقالة للسمرقندي، ص: 132، بارتولد، تركستان، ص: 410.

[3] ابن الأثير، الكامل، 7/528، النويري، نهاية الأرب، 38/26.

[4] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 286، أبن الأثير: نفسه، 7/529، الــذهبي، تــاريخ الإســلام، (حوادث: 380–400هــ)، ص: 228.

[5] اوغَرْشِستَان, ولاية تحدها هراة من الغرب, والغور من الشرق ومرو الروذ من الشمال, وغَزنة من الجنوب, يسمونها العوام غرجستان. الحموي, البلدان 42 / 193.

[6] لقب يطلق على من يلي حكم غرجستان. كما أن كسرى لقب ملك الفرس, وقيصر لقــب ملــك الروم. أو كما يدعوه الأتراك (خان) والهنود (راي), ومعناه: (الملك الجليل). راجع ابن خلدون, تاريخ 4 / 444, مير خواند, روضة الصفا, ص: 145.

لذلك أرسل إليه جملة عسكرية ضخمة بغية إخضاعه بالقوة، وأمام هذه القوات الكبيرة لجأ الشار أبو نصر وابنه أبو محمد المعروف بـ:(شاه شار) إلى قلعة حصينة في أقصى مملكتهما، إلى حين اشتعال الحرب بين أنصار البلاط السامانى بقيادة ناصر الدين سبكتكين وبين المتمردين بقيادة أبي علي وفائق في نواحي خراسان، فحينئذ أسرع الشاران وانخرطا ضمن أعوان الأمير سبكتكين، وأعلنا طاعتهما للأمراء السامانيين؛ بهدف الخروج من عزلتهما، واستعادة مملكتهما واستمرا على ذلك الولاء حتى انقرضت دولة بني سامان[1].

وعندما تولى الحكم السلطان محمود, وورث ولاية خراسان سنة 389 هـ / 998 م, وأذعن أمراء الأطراف لطاعته, أرسل محمد بن عبد الجبار العتبي[2] إلى بلاط غرجستان ليدعو الشارين إلى مبايعته وإقامة الخطبة بأسمه, أسوة بأمثالهما من أمراء الأطراف وقد أورد العتبي[3] وصفاً لمراسيم استقباله في غرجستان وأهم نتائج زيارته قائلاً:((...فتلقياني بمفروض الطاعة, والحرص على الاقتداء بالجماعة, وأمر بالخطبة, فاقيمت باسم السلطان بكورة الغرش...)), ثم عاد العتبي واطلع السلطان على نتائج زيارته, فسُر لذلك, ونال الشاران من إكرامه وإعتزازه فوق ما كانا يتوقعانه.

توثقت أواصر الصداقة الودّية بين الطرفين بعد سفارة العتبي, ثم توّجت بإرسال الشار أبي نصر، أبنه أبو محمد المعروف بـ (شاه شار) إلى البلاط الغزنوي, تعبيراً عن حسن نيته, وصدق عزيمته في طاعة السلطان محمود, فلما وصل هذا الشاب أكرمه السلطان وعزّه ورفع من شأنه, وجعله من المقرّبين, على الرغم مما أبداه هذا الشار من تصرفات غير لائقة, أثناء فترة إقامته, وعندما استأذن(شاه شار) السلطان بالانصراف إلى بلاده, بالغ في إكرامه, وأنعم عليه بالخلع الثمينة[4].

وعندما بلغ الشار أبو محمد سن الرشد استولى على المُلك بقوّة شبابه، واستظهاره بمن ناصره من أهل غرجستان، فأجبر والده على الاستقالة، فتفرغ الشار

---

[1] العتبي: تاريخ, 2 / 133 – 134, ابن خلدون, تاريخ, 4 / 444, مير خواند, روضة الصفا, ص: 145, خليلي, سلطنة, ص: 31.

[2] أبو نصر: رازي الأصل شافعي المذهب,مؤرخ وأديب وشاعر, أصله من الري,فارق بلده ووطنه الرّي في مطلع حياته,وقدم خراسان وأقام بها مدّة, وتنقلت بابي نصر الأحوال والأسفار, فقد كان كاتباً للأمير أبي علي بن سيمجور,ثم للأمير أبي منصور سبكتكين مع أبي الفتح البستي, ويعد بحق مؤرخ الدولة الغزنوية بشكل عام,والسلطان محمود بشكل خاص.من آثاره لطائف الكتاب,المعروف بـ:(تاريخ اليميني)صنّفه في حياة السلطان محمود وعصره،توفي سنة 431 هـ / 1039م, انظر ترجمته عن: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد محمد قميمة، دار الكتب العلمية، بيروت، (لا.ت)، 458/4. حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله الرومي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، 1402هـ/1982م، 155/3، البغدادي، إسماعيل باشا: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين،مكتبة ابن تيمية (لا, ت)،2 / 68، الزركلي، الأعلام، 7 / 56.

[3] تاريخ، 2 / 136.

[4] المصدر نفسه، 2/ 138، خليلي، سلطنة، ص: 31 – 32.

أبو نصر لمطالعة الكتب ومجالسة العلماء، إذ كان بها مولعاً، فتوافد العلماء والفقهاء إلى غرجستان, وسعى بقدر استطاعته على إنجاح مآربهم وتحقيق مطالبهم[1].

لم تستمر العلاقة الوديّة بين الطرفين على هذا المنوال, فقد تبدّلت الأحوال, عندما عزم السلطان محمود على غزو بلاد الهند, واستنفر أمراء الأطراف لمساعدته في تلك الحرب, وكلّهم لبّوا ندائه, عدا شار غرجستان الذي اعتذر عن النفير, مقدماً أعذارا واهية؛ فانزعج السلطان لذلك, وأسرّها في نفسه, وتغاضى عن عصيانه, حتى عاد من بلاد الهند, وعندئذ حاول استمالة الشار مرّة أخرى, إلا أنه أصر على موقفه, وسلك طريق التمرد والعصيان, ونتيجة لذلك فقد أتاح الشار الفرصة للسلطان محمود, ليعزم على تحقيق أحد أهداف سياسته التوسعية, بضم غرجستان فعلياً تحت سيادته[2].

أرسل السلطان محمود حملة عسكرية ضخمة لفتح بلاد غرجستان سنة 403 هـ / 1012م, أسند قيادتها إلى أبي سعيد التونتاش حاجبه الكبير, وأرسلان جاذب والي طوس, وأخذا معهما أبا الحسن المنيعي أحد أعيان مرو الروذ ؛ لعلمه بمداخل ومخارج تلك البلاد. فلما وصلت تلك الحملة إلى مشارف بلاد غرجستان, أقدم الشار الكبير أبو نصر على تسليم نفسه إلى قوات السلطان؛ إدراكا منه بعاقبة الأمور, وطلب الأمان من الحاجب الكبير, وتبرأ من عقوق ومخالفة ابنه, فأعطاه الأمان, ثم نُقل سرّاً إلى هراة, بناءً على أوامر من السلطان محمود[3].

أما شار أبو محمد, فقد أصر على المقاومة, وتحصن في القلعة التي كان قد لجأ إليها إبان حملة أبي علي بن سيمجور, على بلاده, فطوقت القوات قلعته الحصينة, وأمر التونتاش وأرسلان الجاذب قائدي الحملة بتنصيب المنجنيق والعرادات حول القلعة, وأخذا يرميان أسوار القلعة من كل جانب, حتى تهدم أحد جوانب سورها, وعندئذ دخلها الجيش وتم اعتقال الشار أبو محمد بعد مقاومة طفيفة, وسيطروا على مقاليد الأمور في غرسجتان, ثم أرسلوا الشار أبو محمد مكبلاً إلى غزنة[4].

وصل الشار الأسير إلى غزنة, واستقبل أسوأ استقبال, ونتيجة للغضب الشديد الذي ملئ صدر السلطان؛ فقد أمر بافتراشه الأرض أمام الملأ, وجلده عدة سياط, بغية تأديبه, ثم أمر بنقله إلى السجن, ومع ذلك فقد عاش مستريحاً في سجنه؛ لأن السلطان أمر أن تهيأ له سُبل الراحة دون أن يعلم أحد أن ذلك بأمر ورضا السلطان؛ كي لا يتجرأ أو يتجاسر, ثم استدعى السلطان والده الشار أبا نصر من هراة, ورعى خاطره,واشترى منه كل الضياع والعقارات التي كانت لديهم في غرجستان, وسلّمه ثمنها نقداً, ثم خيّره المكان المناسب لإقامته, فاختار مدينة جردان الواقعة بين كابل وغزنة مقراً لاقامته,

---

[1] المصدر نفسه، 2/ 133، ابن خلدون، تاريخ، 4/ 444 ميراخواند: روضة الصفا، ص: 145.

[2] العتبي, نفسه, 2 / 139, ابن خلدون, نفسه, 4 / 444.

[3] العتبي, تاريخ,140/2,الكرديزي,زين الأخبار,ص:290,ميراخواند,روضة الصفا, ص:146.

[4] العتبي, نفسه, 2 / 140 – 142, ابن خلدون, تاريخ, 4 / 444.

تحت عطف ورعاية الخواجة[1] الوزير أحمد بن حسن الميمندي[2]، فانشغل بمطالعة الكتب, ومجالسة العلماء حتى وفاته سنة 406 هـ / 1015م[3].

ج- إمارة بلاد الغور :

هي بلاد مجاورة لغزنة، عبارة عن سلسلة من الجبال المنيعة والمضايق الملتوية الصغيرة, وصفها الأصطخري[4] بقوله: ((وأما الغور فإنها جبال محيط بها من كل جانب دار الإسلام, وأهلها كفار, إلا نفراً يسيراً مسلمين, وهي جبال منيعة...)) كان أهلها يقطعون الطريق, ويخيفون السبيل، ويفسدون في الأرض, فلما زاد فسادهم, رفض السلطان أن يكون مثل هؤلاء القوم المفسدين جيرانه، وهُم على هذه الحال من الفساد والكفر، ناهيك أنهم كانوا قد امتنعوا عن دفع الخراج الذي كانوا يدفعونه لبلاط غزنة[5] فضلا عن أن السلطان كان يطمح في ضم المزيد من الأراضي, تطبيقا لسياسته التوسعية في إقليم المشرق الإسلامي. كل هذه الأسباب مجتمعة دفعت السلطان إلى التفكير في فتح بلاد الغور, ونشر الإسلام بين سكانها, فشن على بلاد الغور ثلاث حملات عسكرية فيما بين 401 – 411هـ / 1010 – 1020م, أسفرت عن فتح بلاد الغور، ودخلوها تحت السيادة الغزنوية.

- الحملة الاولى :

بعد أن أخضع السلطان محمود الملتان، وأعادها إلى حوزة الدولة الغزنوية سنة 401 هـ / 1010م, عزم على فتح بلاد الغور, فجهّز لذلك حملة عسكرية، أسند قيادتها الى التونتاش الحاجب أمير هراة, وأرسلان الجاذب أمير طوس, بينما سار هو خلفهم مع عددٍ من خواصه وغلمانه, وافتتحت طلائع الحملة مضايق تلك البلاد ألى أن أفضى بهم السير إلى مضيق قد شحن بالمقاتلة, فدارت بينهم حرب طاحنة, أبدى خلالها أهل الغور مقاومة عنيفة, مستغلين في ذلك حصانة بلادهم, وشدّة بأسهم, فكادت الهزيمة أن تحل بجيش السلطان, لولا أن تدخل السلطان بنفسه ومن معه من خواصه وغلمانه,

---

[1] لفظ فارسي، بمعنى المعلم، أو الكاتب، أو التاجر، أو الشيخ أو السيد، وقد استعمل في العالم الإسلامي كلقب عام. راجع: القلقشندي، صبح الأعشى، 13/6، الباشا، الألقاب، ص: 279، الخطيب، معجم، ص: 168.

[2] من أشهر وزراء السلطان محمود, فقد كان إماما فاضلا ومحبوباً بفضل جمال خطّه, ووفور فضله وحُسن كياسته, تولى العديد من المناصب الإدارية قبل توليه الوزارة, أسند إليه السلطان الوزارة سنة 404 هـ/1013م بدلا من أبي العباس الأسفرابيني, واستمر وزيراً له إلى أن كان هدفاً للحسّاد من ندماء السلطان وكبار الأعيان, الأمر الذي حمل السلطان على عزله سنة 414 هـ / 1023م بعد أن صُودرت أمواله, وأمر السلطان بحبسه في قلعة كالنجر. للمزيد عن أخباره راجع: العتبي, تاريخ, 2 / 166 – 172، العمادي، خراسان, ص: 68 – 69.

[3] العتبي,نفسه,143,146/2,ميراخواند, روضة الصفا,ص:146, خليلي, سلطنة، ص:32-33.

4 المسالك, ص: 157.

[5] العتبي, تاريخ, 2 / 122, ابن الأثير: الكامل, 7 / 570, الذهبي: تاريخ الإسلام, حوادث 401 – 410هـ, ص: 425 ميراخواند, روضة الصفا, ص: 141.

فاستعاد الجيش معنوياته واستنهض هممه, فزحفوا حينئذ على بلاد الغور, شيئاً فشـيئاً واستطاعوا تفريقهم في عطفات الجبال, ومضايق الوديان[1].

بعد ذلك سارت طلائع جيوش السلطان, قاصدة عظيم الغور المعرروف بـ (ابـن سوري) الذي لم يدخل الحرب بعد, فتحصن منهم في مدينته التـي تـدعى (اهنكـران) فضربوا عليه الحصار, وعندئذ برز ومعه عشرة الآف مقاتل, فقاتل إلى منتصف النهار, وأمام بسالة الغوريين, وحصانة مواقعهم, لم يستطع المسلمون تحقيق أي تقدم, وعندها لجأ السلطان محمود إلى تطبيق خطة حربيـة في غايـة الإحكام, خلاصـتها أن يـولّي المسلمون الغوريين أدبارهم, على سبيل الاستدراج, مظهرين الانهزام, فلمـا رأى ابـن سوري وأصحابه ذلك, ظنوه هزيمة, فأمر جيشه أن يتبع جيوش المسلمين، حتى إذا ما خرجوا عن مواقعهم الحصينة إلى ميدان فسيح, عطف عليهم المسلمون, فدارت معهـم معركة حامية, استطاع فيها المسلمون أن يهزموا جيوش ابن سوري, ويفرقوا شـملها, بل ويأسروه هو بنفسه, وعدداً كبيراً من أفراد جيشه وكبار معاونيه, بعـد ذلـك اتجـه المسلمون صوب المدينة وسيطروا عليها, وغنموا ما فيها, واستولوا على جميع القلاع والحصون المحيطة بها, فلما رأى ابن سوري ما فعل المسلمون ببلاده, امتصّ سُمَّاً كان أودعه فص خاتمه فمات كمداً[2].

وهكذا كان النصر حليف السلطان وجيشه المؤمن بعقيدته الإسلامية وعلـى هـذا النحو فتح السلطان محمود الجزء الشرقي من بلاد الغور, ونشر الإسلام في ربوعها, ثم أرسل كوكبة من العلماء والفقهاء يعلمون مبادئ الإسلام وشريعته.

---

[1] العتبي, نفسه, 2/ 123, ابن الأثير: نفسه, 7/ 570, ابن خلدون: تاريخ, 4/ 447, الذهبي, تاريخ الإسلام, حوادث 401 – 410هـ, ص: 445.

[2] العتبي, تاريخ, 2 / 124-125, ابن الأثير, الكامل, 7/57-571 مستوفي قزويني, تاريخ كزيده, ص: 397.

- **الحملة الثانية :**

في سنة 405 هـ / 1014م, قرر السلطان محمود فتح الجزء الجنوبي الشرقي من بلاد الغور, فزحف بجيشه عن طريق مدينة بُست, قاصداً (خوابين), وهي ناحية من بلاد الغور, تتصل بأراضي بُست وداور, فاشتبك جيش المسلمين مع أهالي خوابين في معركة دامية, وعلى الرغم من أن الكفار أعظم قوّة وأكثر خبثاً فضلاً عن امتلاكهم المعاقل الحصينة والحصون العديدة على حد قول البيهقي[1]، إلا أن النصر كان حليف جيوش المسلمين، الذين أبدوا شجاعة فائقة, وقاتلوا قتال المخلصين, وعلى رأسهم الأمير مسعود ابن السلطان محمود فقد كان له دور كبير في فتح خوابين وهزيمة الغوريين, وبذلك أتم السلطان فتح الجزء الجنوبي الشرقي من بلاد الغور وأصبح جزءاً من ممتلكات دولته[2].

- **الحملة الثالثة :**

عزم السلطان على ضم ما تبقى من بلاد الغور، خصوصاً الناحية الشمالية الغربية المعروفة بـ (تب), فذهب إلى هراة واتجه منها يوم السبت 10 جمادي الأولى سنة 411هـ / 2 سبتمبر 1020م, وفي صحبته الفرسان وعدد كبير من الرجّالة, قاصداً تلك الناحية من بلاد الغور, فلما وصل إلى موضع يدعى (باغ وزير بيرون) وهو أول حصونهم ومعاقلهم المنيعة, عبَّأ جيشه للقتال, والجدير بالذكر أن السلطان محموداً كان قد أجرى هناك محادثات سرّية مع كبار مقدمي قبائل الغور, بغية استمالتهم, قبل بدء القتال, وفعلاً تمكن من استمالة أبي الحسن بن خلف وهو من أبرز مقدمي الغور, وأنظم إليه ومعه ثلاثة الآف من الرجال المجهزين وتقدم إلى السلطان, وأدى رسم الخدمة, وقدم النثار[3] الكثير والهدايا الثمينة, وقد شمله بعطف بالغ, ثم جاء على أثره شيروان وهو أيضا أحد كبار مقدمي الغور, في فرسان كثيرين, يحمل إلى السلطان الهدايا والنثار[4], مما يوضح استمالة السلطان محمود لعدد من كبار مقدمي الغور, ووقوفهم إلى جانبه معبرين عن طاعتهم له وتعاونهم معه.

عُظم شأن السلطان بانضمام هذين الرجلين, فزحف بجيشه نحو عمق بلاد الغور, حتى بلغوا حصناً منيعاً يدعى (برتر) يضم مجموعة من شجعان المقاتلين بسلاحهم, واشتبكوا مع هؤلاء, وهزموهم وقتلوا وأسروا منهم عدداً كثيراً, ثم ساروا إلى ناحية (رزان) وحين بلغ أهلها نبأ أهل الحصن وما حصل لهم, آثروا الفرار, ولم يبقَ منهم سوى فلول قليلة, أعطاهم السلطان الأمان, بناء على طلبهم, فعاد إليه الهاربون وقبلوا الجزية, وقدموا له كثيرا من الهدايا ثم بعث (درميش) حاكم (جروس)[5] إلى السلطان

---

[1] البيهقي, تاريخ, ص: 118, علماً أنه انفرد بذكر الحملتين الثانية والثالثة التي لم يذكرهما العتبي مؤرخ السلطان المشهور, فضلاً عن المصادر التاريخية المعاصرة الأخرى.

[2] المصدر نفسه والصفحة.

[3] هو ما يُنثر من الدراهم والدنانير, على عادة الملوك وقتذاك.

[4] البيهقي, تاريخ, ص: 119 – 120, خليلي, سلطنة, ص: 40.

5 من مدن الغور, تقع بين هراة وغزنة في الجبال, الحموي, البلدان, 130/2.

رسولاً يعلن طاعته وولائه ويعده بأنه سيحضر بنفسه ليقدم رسم الخدمة بعد أن يعود إلى هراة[1].

بعدها ارتحل السلطان إلى ناحية (وي) التي كانت قاعدة مهمة لبلاد الغور, فلما اقترب منها، أوفد من قبله فقيهاً برسالة وبصحبته رجلان من أتباع أبي الحسن وشيروان ليقوما بالترجمة, فكانت المشافهات بينهما قوية وتنطوي على الوعد والوعيد, وكان أهلها يصرخون رافضين الإذعان، فعاد الرسولان وابلغا السلطان بنتائج زيارتهم, فقرر الحرب عليهم، وجهّز الجيوش, وبرز أهالي تلك الناحية على سفوح الجبال, وسدّوا المعاقل, والمضايق, فوزّع السلطان الجيش, فكان أبو الحسن خلف على الميمنة, وشيروان على الميسرة, ووقف هو في القلب, فاشتبك الطرفان, وحمل الغوريون على جيش السلطان, وأبلوا بلاءً حسناً لا سيما في القطاع الذي كان يواجه السلطان, فكانت الحرب طاحنة, إلا أن الغلبة كانت في النهاية لجيش السلطان, فاستولوا على الحصن، وقتلوا الكثير من أهل الغور وطلب عدد منهم الأمان, ثم سار السلطان وهو في طريق عودته إلى حصن آخر يدعى (تور) وكان حصناً مشهوراً, فدخل مع أهله في معركة دامت سبعة أيام, وفي النهاية استولى على الحصن عنوة, ثم قفل عائداً إلى هراة, فدانت له بذلك بلاد الغور كلها[2], وهي البلاد التي قال عنها البيهقي[3]:((لم تدن لملكٍ من قبل, لا في عهد الكفر ولا في الإسلام)).

د- امارة خوارزم :

حكمت الأسرة المامونية بلاد خوارزم, ومن هنا سمّيت بـ:((الخوارزمشاهيين)), وقد بدأوا حياتهم السياسية ولاة تابعين للسامانيين, وفي المدّة ما بين سقوط السامانيين, وقيام الدولة الغزنوية, كانوا شبه مستقلين, ثم عادوا حكاماً تحت حماية الغزونيين[4].

ولا يعرف مؤسس هذه الأسرة على وجه التدقيق, ولكن اسمهم يرد في التاريخ منذ سنة **380** هـ / **990**م, ومن أبرز ملوكهم, مأمون بن محمد بن خوارزمشاه الذي بدأ حياته والياً على جرجانية, وفي سنة **385** هـ / **995**م حارب أبو عبد الله خوارزمشاه, وقتله, واستولى على أملاكه, ولم يلبث أن توفي سنة **387** هـ / **997**م تاركاً الحكم لابنه علي بن المأمون, وهذا هو الذي افتتح العلاقة مع الأسرة الغزنوية عندما تزوج من أخت السلطان محمود السيدة (كالجي) فتطورت العلاقة بينهما من الصداقة إلى المصاهرة, واستمر مخلصاً في علاقته وارتباطه بالدولة الغزنوية حتى آخر عهده[5].

اعتلى عرش خوارزم عقب وفاة علي بن مأمون, أخوه أبو العباس مأمون بن مأمون, فكان رجلا فاضلاً, شهماً, بعيد النظر في التدبير, يتحلى بالأخلاق الفاضلة, وهو

---

[1] البيهقي, تاريخ, ص: 120- 121.
[2] البيهقي، تاريخ، ص: 121 – 125.
[3] المصدر نفسه, ص: 125.
[4] القزويني، حواشي جهار مقالة للسمرقندي، ص: 168.
[5] العتبي, تاريخ، 2 / 251, القزويني, نفسه, (حواشي المقالة الرابعة) ص: 168 – 169.

من أفاضل الملوك الذين صادقوا أهل العلم والحكمة, حتى أضحى بلاطه مجمعاً لهم, وكان بينه وبين السلطان محمود صداقة متينة وبينهما عهد, وقد تزوج هذا الأمير بأرملة أخيه علي بن مأمون (أخت السلطان) واتصلت بين الطرفين المكاتبات والمهاداة[1], وتعمقت أواصر الصداقة والإخلاص بينهما, وصف البيهقي[2] عمق تلك العلاقة بقوله : ((وكان أبو العباس يرعى جانب السلطان محمود في كل شيء, ويبدي له من التواضع ما لا حَدّ له ...)).

كانت الصلة بين السلطان محمود, وأبي العباس خوارزمشاه, تبدو في الظاهر على خير ما يرام, وكانت الصداقة والعهود مؤكدة, لكن السلطان أراد أن يفرض سيادته, ولو أسميّاً على خوارزم, فأرسل إلى المأمون يطلب منه أن تقرأ الخطبة على منابر خوارزم باسمه[3] فاحتار مأمون ولم يدر ماذا يفعل ؟ ! وقد وصف البيهقي[4] موقفه قائلاً:((فلما وقف خوارزمشاه على جليّة الأمر, اشتد خوفه, من سطوة محمود, الذي كان قد أوقع الفزع في قلوب ملوك عصره, وعزّ عليه النوم...)), وهذا دليل على أن خوارزمشاه كان قلقاً وخائفاً من نوايا السلطان محمود, وغير واثق به.

عزم أبوالعباس مأمون على تلبية طلب السلطان محمود, ولكن أراد قبل ذلك, أن يجتمع برجال بلاطه وأعيان بلاده ؛ ليبيّن لهم ما ينوي الإقدام عليه, فدعاهم إلى قصره, وأطلعهم على ذلك الأمر, فتعالت أصواتهم جميعاً قائلين:لن نرضى بهذا على أية صورة, وخرجوا من عنده غاضبين ومستنكرين, فعاد رسول السلطان محمود وعرض عليه مارأه رأي العين[5].

اضطربت الأحوال في خوارزم,وخاف رجال بلاط أبي العباس وأعيانها سوء عاقبة رفض طلب السلطان, فأعلن نيالتكين البخاري[6] – قائد جيوش خوارزم ورأس أهل التمرد والعصيان –, الثورة ضد الأمير أبي العباس, وقرر هو وأتباعه الفتك به غيلة, ومازالوا يخططون لذلك, حتى حانت لهم الفرصة, فانقضوا عليه وقتلوه, يوم الأربعاء 15 شهر شوّال سنة 407 هـ / 18 مارس 1017م, ثم جاء الثوّار بأحد أبنائه[7] وأجلسوه على عرش أبيه[8].

---

[1] البيهقي, تاريخ, ص: 732, الهروي, طبقات اكبري, 28/1.

[2] البيهقي, نفسه, ص: 734.

[3] العتبي, تاريخ, 2/ 152, ابن الأثير, الكامل, 611/7, ميراخواند, روضة الصفا, ص: 148.

[4] تاريخ, ص: 738.

[5] البيهقي، تاريخ، ص: 738.

[6] ذكر بعض المؤرخين أن اسم قائد جيوش خوارزم يدعى (البتكين البخاري), راجع: الكرديزي, زين الأخبار, ص: 294, البيهقي, نفسه, ص: 742, ابن الأثير, الكامل, 612/7, لكننا اعتمدنا على ما سجله العتبي، مؤرخ السلطان المشهور.

[7] على حد قول العتبي, تاريخ, 254/2, في حين ذكر البيهقي, تاريخ, ص: 742, أن الثوار جاءوا بابن أخيه أبي الحارث محمد بن علي بن مأمون وأجلسوه على العرش.

[8] العتبي, نفسه, 254/2, الكرديزي, زين الأخبار, ص: 294, البيهقي, نفسه, ص: 742, ابن العمراني,الأنباء,ص: 186, الذهبي, تاريخ الإسلام, (حوادث سن 401 – 410هـ) ص: 32.

ولما علم السلطان بنبأ مقتل حليفه وصهره أبي العباس مأمون بن مأمون؛ استاء كثيراً, وقرر الانتقام من هؤلاء, وضم بلاد خوارزم رسمياً إلى أملاك دولته, متخذاً من كل ما حدث ذريعة لتنفيذ سياسته التوسعية الرامية إلى ضم المزيد من الأراضي.

غادر السلطان محمود غزنة, قاصداً بلخ القاعدة العسكرية الضخمة, ومنها زحف بجيوشه صوب خوارزم أواخر سنة 407 هـ / 1017م, فلما وصل إلى حدودها,قسم الجيش, فأسند المقدمة إلى القائد العربي محمد بن إبراهيم الطائي, وأمره بالسير أمام الجيوش, فلما توغل قليلاً فاجأهم خمارشاش أحد قادة جيوش خوارزم بجيش كثيف من الصحراء, فسحقهم وقتل منهم عدداً كثيراً، وحين علم السلطان بذلك, ضاق صدره, وأرسل على الفور فرقة من غلمانه (القوات الخاصة) فاشتبكوا مع هؤلاء في معركة طاحنة أسفرت عن هزيمة جيش خمارشاش, وأسروه, ثم زحف السلطان بالقوات الرئيسية, وعندما وصل إلى منطقة (هزاراسب) تقدم جيش خوارزم الرئيسي بقيادة نيالتكين البخاري, وهو على أتم التنظيم والتعبئة, فاصطفت الصفوف, واستعد الفريقان للحرب, ومع طلوع فجر اليوم الثاني اشتعلت الحرب, واستمرت المعركة حامية الوطيس حتى منتصف النهار، وانجلت بهزيمة جيش خوارزم, حيث قتل منهم عدد كبير, وفرّ الباقون يجرون أذيال الهزيمة, وتم أسر العديد منهم وعلى رأسهم نيالتكين البخاري قائد جيشهم[1].

بعد ذلك تقدم جيش السلطان محمود, قاصداً عاصمة خوارزم مدينة (كات)[2] فاستولى عليها في5 صفر 408 هـ / 4 يوليو 1017م, ثم أصدر السلطان أوامره, بنصب المشانق أمام قبر مأمون بن مأمون, وأن يُرمى زعماء الثوار والمتمردين تحت أقدام الفيلة, ثم عُلّقت أجسادهم على أنيابها ليطاف بها في أرجاء المدينة,ونودي:((هذا جزاء من قتل أميره)) ثم علقوا الجثث بالمشانق, أما بقية الثوار فقد عُوقبوا بعقوبات تختلف كلٌ بدرجة ذنبه, ثم أمر السلطان بالكتابة على جدار قبر الأمير عبارة:(أن هذا قبر أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه, بغى عليه حشمه, واجترأ على دمه خدمه, فقيّض الله له يمين الدولة وأمين الملة, حتى انتصر له منهم, وأجلسهم على الجذوع, عِبرةً للناظرين, وآية للعالمين), وأمر بنقل الأسرى مقيدين إلى غزنة, ثم أفرج عنهم، وحشرهم في صفوف جيشه, وفوّض أمر هذه البلاد إلى الحاجب الكبير التونتاش, مستبقياً معه أرسلان جاذب مدّة, حتى تستقر أحوال تلك الناحية, بينما هو قفل عائداً إلى بلخ[3], وبناءاً على ذلك دخلت خوارزم رسمّياً تحت سيادة السلطان محمود, وبذلك اتسعت أرجاء الدولة الغزنوية إلى ما وراء نهر جيحون.

هـ- امارة جرجان وطبرستان :

رأى السلطان محمود أن يتابع سياسته في تدعيم سلطة دولته, فقرر إخضاع جرجان وطبرستان تحت سيادته, مستغلاً في ذلك ظروف إمارة آل زيار, وما آلت إليه,

---

1 العتبي, تاريخ, 254/2 – 258, الكرديزي, زين الأخبار, ص: 293 – 294. البيهقي, تاريخ, ص: 744 – 745, ميراخواند, روضة الصفا, ص: 149.

2 بلدة كبيرة من نواحي خوارزم, تقع شرق نهر جيحون, الحموي، البلدان, 427/4.

3 العتبي,تاريخ,258/2 – 259,البيهقي, تاريخ, ص:745, ميراخواند، روضة الصفا،ص:149.

بعد مقتل أميرها القوي شمس المعالي قابوس سنة 403 هـ / 1012م, وتولي ابنه فلك المعالي منوجهر الحكم (403 – 420 هـ / 1012 – 1029م) تحت ضغط القادة المتمردين الذين شقوا عصا الطاعة, وقتلوا أميرهم قابوس[1].

بادر الأمير منوجهر, نتيجة حتمية للظروف السياسية السيئة التي عصفت بإمارتهم, إلى البحث عن حليف سياسي قوي, يشدّ به أزره, ويستظهر به على أعدائه, فوجد في شخص السلطان محمود ضالته المنشودة, فأسرع إلى مراسلته, طالباً حمايته والدخول تحت طاعته, في صورة عقد عهود ومواثيق وَدْ وصداقة[2].

ويفهم من ذلك أن الأمير منوجهر رغب في طلب العون والحماية من السلطان؛ بغية تفويت الفرصة على أخيه (دارا) الذي كان السلطان محمود قد أطلقه من معتقله في خراسان, وأرسله في جيش ومعه أرسلان جاذب للاستيلاء على جرجان وطبرستان باسمه من جهة, ولعدم توفر القوّة الكافية لديه لمواجهة الظروف السياسية الداخلية, التي لم يعد قادراً على مواجهتها بمفرده من جهة أخرى, وبناء على ذلك, قويّت نفسه على أولئك الرجال الذين تآمروا على قتل والده (قابوس)، فبادر إلى الانتقام منهم قتلاً وتشريداً[3] , حيث تمكن من قتل خمسة أشخاص منهم, بينما هرب السادس المدعو أبو القاسم الجعدي إلى خراسان, فقبض عليه السلطان محمود بخراسان، وبعثه إلى جرجان، قائلاً:((إنما فعلت لئلا يتجرأ أحد على قتل الملوك))[4], ونلمس من موقف السلطان هذا ؛ مدى إخلاصه ومناصرته للأمير منوجهر ضد أعدائه.

وسرعان ما زادت أواصر الصداقة والموّدة بين الطرفين بعقد مصاهرة بين إحدى بنات السلطان محمود, ومنوجهر الأمير الزياري, ويؤكد البيهقي[5] أن السلطان محمود هو الذي بادر بطلب هذا الزواج عقب إبرام العهد والعقد مع منوجهر، قائلاً :((ولما أبرم السلطان محمود العهد والعقد مع منوجهر والي جرجان, رشح إحدى الحرائر لتُزف إليه...)).

لم تستمر العلاقة الوّدية بين السلطان محمود والأمير منوجهر على هذا المنوال، فقد بادر السلطان محمود بفرض عدة شروط جديدة, في مقابل الوقوف إلى جانبه والدفاع عن إمارته منها: إقامة الخطبة للسلطان محمود على جميع منابر بلاده, ودفع مبلغ من المال يقدر بحوالي (50 ألف دينار) كأتاوة سنوية, وتقديم المساعدة العسكرية من أهل الديلم والجيل عند الحاجة لها[6].

---

[1] العتبي, تاريخ, 2/177–178, أبو الفدا, المختصر, 2/143, ابن كثير, البداية, 11/401.
[2] العتبي, نفسه, 2/179, نعمة مرسي, دولة آل زياد, ص 480.
[3] العتبي, نفسه, 2/184–186, مرسي، نعمة علي: دولة آل زيار في طبرستان وجرجان وما جاورهما، دار الهداية، القاهرة، (لا.ت)، ص: 48–49.
[4] الحموي, أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي, معجم الأدباء أو إرشاد الأريب في معرفة الأديب, دار الكتب العلمية, بيروت, 1411 هـ / 1991م, 4/570.
[5] تاريخ, ص: 225.
[6] العتبي, تاريخ, 2 / 180, ابن الأثير, الكامل, 7 / 588, ابن كثير, البداية, 11 / 401, لين بول, استانلي, الدول الإسلامية, القسم الأول, مع إضافات وتصحيحات, بارتولد, وخليل أدهم, نقله إلى

وبناءاً على ذلك, فإن العلاقة بين الطرفين, خرجت عن طور الود والصداقة والعهود, إلى طور النفوذ والحماية, خاصة وأن السلطان محمود قد فرض على منوجهر تقديم ألفي رجل من أهل الديلم والجيل للمشاركة في فتوحاته ببلاد الهند, نظراً لما يتمتع به هؤلاء من مهارة عالية في الحروب, وقد أشار إلى ذلك العتبي[1] بقوله : ((... وقد عزم على غزو نارين, انجاد حشمة بطائفة من الجيل والديلم يحسنون حروب المضايق... فسرّب إليه ألفي رجل...)).

استمر الزياريون موالين للسلطان محمود, يقيمون له الخطبة على منابر جرجان وطبرستان وقومس وداغان, ويدفعون المبلغ المحدد له بموجب اتفاقية الحماية والولاء, حتى نهاية عهده, وعلى الرغم من محاولة منوجهر الخروج عن طاعة السلطات سنة 420 هـ / 1029 م, وامتناعه عن دفع المال المقرر سنوياً لخزانة غزنة, إلا أن السلطان محموداً قد زحف بجيشه, قاصداً إخضاعه, فلما قدم نحو منوجهر, تحصن منه الأخير في جبال عالية منيعة وعرة المسالك, ظنا منه أنها ستحميه من بطش السلطان, فلم يشعر منوجهر إلا وقد أطل عليه السلطان بجيش كثيف, فهرب منه إلى غياض حصينة, فضرب عليه الحصار, وعندئذ اضطر منوجهر إلى طلب الصلح, مقابل دفع مبلغ من المال يقدر بنحو خمسمائة ألف دينار, واستمراره على الولاء والطاعة لبلاط غزنة, فأجابه السلطان إلى ملتمسه, ثم سار عنه إلى نيسابور[2].

ما لبث الأمير منوجهر عُقب ذلك أن توفي, وتولى بعده ابنه انوشروان (420-424هـ/1028-1032م) فأقره السلطان على ما تحت يده, وقرر عليه خمسمائة ألف دينار أخرى, بعد أن تعهد بالطاعة والولاء لعرش غزنة[3].

العربية: محمد صبحي فرزات, أشرف على ترجمته وعلق عليه: محمد أحمد دهمان, مكتب الدراسات الإسلامية, دمشق, 1974م, ص: 279.

[1] تاريخ, 2 / 180.

[2] ابن الأثير, الكامل, 7 / 771.

[3] المصدر نفسه, 7 / 771.

و- امارة الجوزجان :

كانت إمارة الجوزجان تحت سيادة آل فريغون منذ العهد الساماني يتوارثونها كما يقول العتبي[1]: ((... كابراً عن كابر, ويوصي بها أولهم إلى آخرهم...)) وهم قوم أشراف النفوس, كرام الأخلاق, أنشد أبو الفتح البستي في سجاياهم ونبلهم قصيدة جاء في مطلعها:[2].

بنو فريغون قوم في وجوههم	سيما الهدى وسناء السُؤدد العالي
كأنما خلقوا من سُؤدد وعلى	سائر الناس من طين وصلصال
من تلق منهم تقل هذا أجلّهم	قدراً وأسخاهم بالنفس والمال

ومؤسس هذه الإمارة هو أبو الحارث أحمد بن محمد بن فريغون الذي ارتبط بعلاقة حميمة مع الأمير سبكتكين المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية, حيث خطب الأمير سبكتكين كريمة أبي الحارث للسطان محمود, وبدوره قام أبو الحارث بخطبة كريمة السلطان محمود لابنه أبي نصر, فارتبطت الأسرتان برباط المصاهرة, وهذا الأمر عكس نفسه على طبيعة العلاقة الودّية التي سادت بينهم[3].

كانت لأبي الحارث مواقف طيبة تجاه الغزنويين, منذ نشأة دولتهم, إذ كان يكن لهم احتراماً كبيراً, وإجلالاً عظيماً, وخير دليل على ذلك, ما فعله اثناء الحرب الأهلية بين الأخوين محمود وإسماعيل على عرش غزنة, فقد بذل قصارى جهده, لرأب الصدع, محاولاً إصلاح ذات البين بالطرق السلمية, ولكن دون جدوى, وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً[4].

استمرت العلاقة الودّية بين الطرفين حتى بعد وفاة أبي الحارث الفريغيوني, حيث أقر السلطان ابنه أبا نصر على ما كان تحت سيادة والده, بشرط الإخلاص في الولاء والطاعة لبلاط غزنة, فظل أبو نصر على عرش غزنة حتى قضى نحبه, سنة 401 هـ / 1010م[5], وبما أنه لم يكن له وريث على درجة من الكفاءة, فقد ضم السلطان هذه البلاد إلى سيادته, وأصبحت تدار مركزياً من غزنة[6]. وبذلك دخلت إمارة جوزجان سلمياً ودون أي عناء في حوزة السلطان.

---

[1] تاريخ, 2 / 101.

[2] العتبي, نفسه, 2 / 104 – 105.

[3] المصدر نفسه, 2 / 101, ابن خلدون, تاريخ, 4 / 443.

[4] عن جهود أبي حارث في الإصلاح بين الأخوين محمود وإسماعيل: راجع الفصل الأول من دراستنا.

[5] العتبي, تاريخ، 2 / 102, ابن خلدون, تاريخ, 4 / 443.

[6] خليل, سلطنة, ص: 43.

4- بناء الجيش الغزنوي وإعداده :

كانت طبيعة الحكم في الدولة الغزنوية؛ لا يتعدى كونه ممارسة للسلوك العسكري, الذي طغى على الجانب السياسي, طوال العهد الغزنوي, والدولة الغزنوية في هذا المضمار سارت على نفس النهج الذي سارت عليه الدول الإسلامية الأخرى, إذ كان الجيش هو الوسيلة الوحيدة – على الأغلب – التي دفعت بهم إلى الوصول إلى سدّة الحكم؛ لذا اختص الجيش بأهمية خاصة؛ كمنشأة ومؤسسة مهمّة منذ نشأة الدولة الغزنوية, ثم أخذ يتطور, تطوراً ملموساً في نطاق العُرف والتقاليد العسكرية الإسلامية الشرقية, على غرار الجيوش السامانية والبويهية, وخاصة في عهد السلطان محمود.

إن الدارس المتعمق لعهد السلطان محمود, وما قام به من فتوحات عسكرية, داخلية وخارجية, يدرك بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه الفتوحات العظيمة لن تتم, ما لم يكن قد أعدّ لها جيشاً على درجة عالية من الكفاءة, في التخطيط, والتنظيم, والتدريب والتسليح, وبناءً على ذلك فقد تحقق للسلطان محمود, ما لم يتحقق لغيره من ملوك عصره, من مظاهر القوّة والعظمة, والتجّمل, فالجوزجاني[1] يصف لنا مدى اهتمام السلطان بإعداد القوات الخاصة المسؤولة عن مراسيم البلاط السلطاني كأحد قطاعات الجيش, قائلاً :((... كان يقف في بلاطه ألفان وخمسمائة, فيل, وأربعة آلاف غلام تركي خادم, وذلك على يمين ويسار عرشه, في يوم الاستقبال, ومن هؤلاء الغلمان كان يقف على يمينه ألفان غلام بالقبعات ذات الأربعة أجنحة والرماح الذهبية, وعلى يساره ألفان غلام بالقبعات ذات الجناحين والرماح الفضية)).

ويفهم من هذا النص أن السلطان كان يبالغ في إعداد مراسيم استقبال بلاطه– (أو ما يسمى اليوم بقوات حرس الشرف) – بغية إظهار عظمته وهيبته في نفوس الزائرين من أصحاب البلاطات الأخرى, كما يفهم أيضا أن هذا مؤشراً كافياً لإدراك مدى الاهتمام البالغ الذي أولاه السلطان بجيشه سواءً, القوات المسؤولة عن شؤون البلاط أو المسؤولة عن الدفاع على سيادة الدولة واستقلالها.

1- عناصر الجيش :

أ- قوة العبيد :

كان قوام الجيش الغزنوي ونواته, قوّة العبيد – غلمان ومماليك – فكان السلطان يهتم بهذا العنصر على أساس أنهم القوّة الذاتية (الخاصة) للحفاظ على كيان الدولة, وتكمن قوّة وأهمية هذا العنصر في عدم وجود جذور, وارتباطات عرقية لهم وعلى أنهم جُلبوا منذ الصغر من خارج الدولة الإسلامية, وكان بإمكان سادتهم تشكيل عقولهم وإعدادهم للحرب, وعليهم تنفيذ الأوامر والولاء لهم والرجوع إليهم في كل شيء[2].

يرجع تطور إدخال قوّة العبيد في الجيوش الإسلامية إلى الخلفاء العباسيين الذين استخدموا هذا العنصر في حراسة القصور ثم كمحاربين في صفوف الجيش, وعندما قامت الدول الفارسية في خراسان وما وراء النهر استخدمت هذه القوّة, كخدم وفي

---

[1] الجوزجاني, طبقات, 230.
[2] العمادي, خراسان, ص: 103.

حراسة القصور أيضاً, فيعقوب بن الليث الصفّار كان تحت إمرته فرق من الغلمان يزيد عددهم عن الألفين, كحرس خاص, ولكنه استعان بهم في حروبه ضد الطاهريين[1]. كما استخدم هذه القوّة إسماعيل بن أحمد الساماني(279 – 295 هـ892 – 907م) في حراسة القصور والبلاط وفي الجيوش, وهو أول من أجاز استخدام نظام الحراسة الخاصة في البلاط الساماني, أسوة بما كان عليه الحال عند العباسيين في قصورهم, ويصف الطوسي[2] نشأة مملوك تركي ببلاط السامانيين من لحظة شرائه إلى أن بلغ أعلى المراتب وأرفعها, وقد أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن سبكتكين وفترة استخدامه في خدمة السامانيين, الذين يرفعون من مراتب العبيد تدريجياً وفق شروط معينة[3].

وما أن حلّ القرنان الرابع والخامس الهجريين(العاشر والحادي عشر الميلادي), حتى كان بناء وتشكيل معظم الجيوش الإسلامية في بلاد المشرق الإسلامي يقوم على أساس قوّة العبيد, فإذا عدنا إلى حياة البتكين مؤسس الدولة الغزنوية, خلال فترة وجوده في خراسان نجد أنه كان يملك (2700) من العبيد الأتراك, واشترى البتكين في يوم واحد ثلاثين غلاماً تركياً, كان سبكتكين والد السلطان محمود أحدهم, وقد أشرنا أيضا إلى أن السلطان كان يملك أربعة آلاف غلام تركي, استخدمهم في حراسة بلاطه وعند استقبال الملوك والسفراء كحرس شرف, فضلاً عن استخدامهم في معظم المعارك الحربية المهمة والخاطفة, ففي سنة 411 هـ 1021م حاصر السلطان محمود بلاد الغور, وبعد استبسال قبائلها وصمودهم في وجه الجيش الغزنوي, أمر غلمان السراي أن يتقدموا الصفوف ويضربوا بسهامهم حتى تفرق الغوريون ووقعت بهم الهزيمة[4].

كان قائد عنصر العبيد في الجيش الغزنوي يسمى (سالار غلمان) وهذه الرتبة العسكرية تلي في الأهمية رتبة القائد العام (حاجب بزركك) وكانت السيادة الإدارية في معظم الأحيان للأغلبية التركية؛ بسبب تقليدهم المناصب القيادية, ولأهمية هذه القوّة العسكرية في الجيش الغزنوي, صارت تخضع مباشرة لإدارة السلطان محمود وإشرافه, فهو الذي يتولى في معظم الأحيان إسناد المهام إليها في مختلف المجالات[5].

---

[1] سياست نامه, ص: 144 – 145

BOSWOPTH (C.E): THE GHAZAVIDS, their empire in Afghansitan and Eastern Iran, press, 1963, P. 99.

العمادي، خراسان، ص: 104.

[2] سياست نامه, ص: 144 – 145.

[3] انظر ما كتبناه عن ذلك في الفصل الأول من دراستنا.

[4] البيهقي, تاريخ, ص: 123.

[5] (مادة: أفغانستان)، دائرة المعارف الإسلامية، 392/2، فاروق عمر، ومرتضى حسن النقيب، تاريخ إيران، مطبعة التعليم العالي، دار الحكمة، بغداد، 1989م، ص:160.

ب- قوات الجيش الأخرى :

إن اعتماد الجيش على جنس واحد, مدعاة لظهور الأخطار والتخريب والفساد, وعدّم الجدّية، والبلاء في الحرب, وعلى هذا الأساس درج السلطان محمود على تأسيس جيشه من عدّة أجناس, من أهل البلاد الواقعة تحت نفوذه, وتشكلت هذه الأجناس من الترك,والخرسانيين والعرب, والهنود والغوريين, والأفغان, والديالمة, وكان كل جنس منهم يقاتل في المعارك والحروب ببسالة؛ حفاظاً على سمعته, وخوف العار والهزيمة, وكيلا يقول أحد بأن الجنود من الجنس الفلاني وهنوا في القتال وتقاعسوا ولأن قاعدة اختيار المحاربين كانت تتم وفق ذلك. فقد كانوا جميعاً جادّين مستبسلين فأبلوا في الحروب بلاءً حسناً[1].

وبناءً على ذلك فقد أثنى الطوسي[2]على السلطان محمود, بسبب تنوع أجناس جيشه, كما حذر الحكّام الآخرين مغبة الاعتماد على جنس واحد في الجيش؛ لأن ذلك يؤدي إلى ظهور العصيان والتمرد, وعدم الجدّية واللامبالاة في الحروب, وأوصى أن يكون بين صفوف جنودهم ألفا رجل من الديالمة والخراسانيين, ولا ضير أن يكون بعض هؤلاء من الكرجيين[3]والشبانكاريين[4] لأنهم قوم طيّبون ويتمتعون بالشجاعة والبسالة.

ومع مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، ونتيجة لازدياد الجفاف في الأراضي الزراعية في بلاد ما وراء النهر, وتفشي الظلم ؛ قررت جماعات من قبائل الغُز الأتراك النزوح من هذه البلاد, باتجاه خراسان التابعة للدولة الغزنوية, وقد سمح السلطان بدخول هذه القبائل بلاد خراسان سنة 416هـ 1025م, وأنخرط العديد من أفراد تلك الجماعات في صفوف الجيش الغزنوي, وقد امتازوا بالقوّة والصرامة, وأثبتوا جدارتهم في القتال, حتى أن بعض شعراء البلاط الغزنوي أمثال فرخي[5]

---

[1] الطوسي: سياست نامه, ص: 140.

[2] المصدر نفسه والصفحة.

[3] نسبة إلى (كرجة) وهي مدينة من مدن خوزستان. الحموي، البلدان، 446/4.

[4] نسبة إلى (شبانكارة)من قرى إقليم فارس، والشبانكاريون أسرة حكمت في جنوب فارس من منتصف القرن الخامس إلى منتصف القرن الثامن الهجري,راجع:لسترنج,بلدان,ص:325-326

[5] أبو الحسن علي بن جلوغ السجزي، نسبه إلى سجستان, نشأ في خدمة أحد الدهاقين في سجستان, ثم أخذ يتنقل بين مدن بلاد المشرق حتى استقر به المقام في غزنة، فكان من جملة الأدباء والشعراء الذين ازداد بهم بلاط السلطان محمود، ومنزلة الفرخي لدى الفرس تضاهي منزلة المتنبي لدى العرب وهو ثالث الشعراء الذين التقى بهم الفردوسي شاعر الفرس العظيم عند قدومه إلى غزنة. للمزيد عنه راجع: السمرقندي، جهار مقالة، ص: 43-51، حامد عبد القادر، قصة الأدب الفارسي، ويشمل تاريخ الأدب الفارسي من مبدئه إلى نهاية الدولة الغزنوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة 1370هـ/1915م،249/1. بروان؛ إدوارد جرانفيل: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، نقله إلى العربية: إبراهيم أمين الشورابي، مطبعة السعادة، القاهرة،1373هـ/1954م،ص:144-152.

ومنوجهري[1] قد امتدحوا بعض هذه القبائل التركية التي انخرطت في صفوف جيش السلطان وحققت الانتصارات[2].

وكان الخُلج والأفغان عنصراً مهماً من عناصر الجيش, وقد كان ناصر الدين سبكتكين بحسب رواية العتبي[3] ول من استخدمهم في صفوف الجيش الغزنوي, كما أن السلطان محمود استخدمهم في صفوف جيشه واعتمد عليهم في كثير من حروبه, حيث استعان بهؤلاء في حربه ضد أيلك خان سنة 398 هـ / 1008م, عندما حاول الأخير الاستيلاء على خراسان, وأبلاء هؤلاء في تلك الحرب بلاءً حسناً واستماتوا في الدفاع عن خراسان الولاية الاستراتيجية المهمة,وطردوا أيلك خان إلى ما وراء النهر[4].

أما الهنود فقد كانوا أحد العناصر الأساسية في جيش السلطان, إذّ كانوا يشبهون العبيد الأتراك في افتقارهم إلى الروابط الأسرية والى المصالح التي قد تؤثر على ولاءهم للدولة, وفي البداية كانوا مجرد جنود يقومون بخدمة السلطان, إلى أن اهتم السلطان بهم, وجعل لهم حيّاً سكنياً في مدينة غزنة, ومن ثم أصبحوا يشكلون عنصراً مهماً من عناصر الجيش, وأغلب الظن أن ازدياد اهتمام السلطان بهم كان بعد أن توغل في بلاد الهند, وتعرف على طبيعة أهلها, وشدّة مراسهم في الحروب, هذا فضلاً عن حصوله على آلاف من الأسرى الهنود, الذين نقلوا إلى غزنة وبها انخرطوا في صفوف الجيش الغزنوي, فقد كان بغزنة فرقة عسكرية هندوسية ضخمة يقودها رجل منهم يسمى (سوندراراو)[5].

ومن عناصر جيش السلطان محمود (الديالمة) وهم سكان الجبال، وقد برزوا في القوات الإسلامية منذ مطلع القرن الثالث الهجري / العاشر الميلادي وخصوصاً بعد دخولهم الإسلام, ثم برز هؤلاء عناصر فاعلة في جيش مرداويج بن زيار, ونظراً لشدّة بأسهم وإخلاصهم, فقد فضلّهم على العنصر التركي, كما أن أبا علي بن سيمجور القائد الساماني الكبير قد استخدم فرقاً من الديالمة في حربه ضد السلطان محمود في خراسان, ويبدو أن هؤلاء قد لحقوا بجيش السلطان, بعد أن قهر أبا علي بن سيمجور وهزمه واستولى على بلاد خراسان, ونظراً لأهمية هذا العنصر, فقد فرض السلطان محمود على الأمير الزياري فلك المعالي منوجهر تقديم مساعدة عسكرية قوامها ألفي

---

[1] أبو النجم أحمد بن قوس بن أحمد المنوجهري, تلميذ الشاعر السجزي, عاش حتى سنة 433هـ / 1041م, وهو أيضا من شعراء السلطان محمود المرموقين, وقد مدح السلطان بعدد من القصائد المشهورة. وللمزيد عنه راجع: عوفي, محمد: لُباب الألباب، بسعي واهتمام وتصحيح: أدوارد بروز انكيس, طبع في مطبعة بريل في مدينة ليدن, (لا. ت), 53/2 – 55, براون, تاريخ الأدب, ص: 188 – 189، حامد عبد القادر، قصة الأدب، 278/1.

[2] الكرديزي, زين الأخبار, ص: 307, عبد النعيم محمد حسنين: دولة السلاجقة, مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة, 1975م, ص:17, العمادي, خراسان، ص: 108.

[3] تاريخ, 88/1.

[4] المصدر نفسه, 84/2.

[5] الطوسي, سياست نامه, ص: 140، (ك). بول: (مادة: أردو) دائرة المعارف الإسلامية, 594/1, العمادي, خراسان, ص: 109.

رجل من أبناء الجيل والديلم, ممن يجيدون حروب المضايق, فاستفاد منهم في حملاته المظفرة لبلاد الهند[1].

كذلك شارك العرب والأكراد كعنصرين فاعلين في جيش السلطان, فكانت تُسند إلى هؤلاء الأدوار القتالية الصعبة في المعارك ؛ لأنهم اشتهروا بالفروسية, والقتال والمبارزة منذ القِدم, وما لبث السلطان محمود أن ولّى قيادة بعض فرق جيشه وأقسامه إلى قادة, اتصفوا بالمهارة والشجاعة, والحنكة العسكرية من هؤلاء القوم, فنجد أن أبا عبد الله محمد بن إبراهيم الذي ينتمي إلى قبيلة طي العربية, قد تولى قيادة قلب جيش السلطان في معركة تحرير خراسان من القراخانيين سنة 398هـ / 1000م, كما تولى هذا القائد قيادة مقدمة جيش السلطان أثناء فتح بلاد خوارزم سنة 407هـ 1016م, التي كانت معظم أفرادها من العرب[2].

والجدير بالذكر أن أبا إبراهيم إسماعيل بن نوح الساماني قتل سنة 395هـ / 1005م, على يد أحد أبناء عرب قبيلة بني بهيج الموالين للسلطان, والقاطنين صحراء مرو, وبمقتل أبي إبراهيم, فإن هذا العربي قد دق آخر مسمار في نعش الدولة السامانية[3].

وصفوة القول أن السلطان محمود قد راعى التوازن المطلوب في بناء جيشه وتنظيمه, وبهذا التوازن الإيجابي, استطاع أن يُعدّ جيشاً ضخماً مدرباً, منظماً لخوض أعنف المعارك, وبناءً على ذلك الاهتمام, فقد اتسم الجيش الغزنوي بالكفاءة العالية, وامتاز بالسرعة, وخفة الحركة, حيث استطاع السلطان محمود بواسطته السيطرة على أقصى الغرب من مملكته على الرغم من انشغاله بفتوحاته في شمال شبه القارة الهندية في أقصى الشرق, فكان باستطاعته دائماً أن يعود من الهند ليدرأ الخطر عن خراسان أو غيرها من المناطق التابعة لسيادته في غرب البلاد, كما حدث ذلك سنة 396هـ / 1005م[4].

ونظراً لكفاءة هذا الجيش فقد كان يواجه العدو بحرب متصلة بلا انقطاع عدّة أيام بلياليها حتى تخور قواه, وينتابه اليأس, ومن ثم تأتي الضربة الغزنوية القاضية التي ينتزع بها النصر, ولكي يتحمل الجيش عبء هذا القتال المتواصل لعدة أيام, كان يقسم الجيش إلى عدّة فرق, تتناوب فيما بينها القتال, ليتاح لكل منها نصيب من الراحة, وقد استخدم السلطان محمود مثل هذه الخطة في غزوة ((بهاطية)) بالهند سنة 393هـ / 1003م, فضلا عن أن والده قد استخدمها أثناء حروبه مع جيبال ملك الهند, حيث شن عليه حرباً مستمرة لمدة ثلاثة أيام بلياليها, ثم سحقه بضربة النصر في اليوم الرابع[5].

كان الجيش الغزنوي دقيقاً في تطبيقه للخطط العسكرية وتنفيذها, يمكننا الإشارة إلى ذلك في العديد من المعارك التي خاضها الجيش, فنجد مثلاً, أن السلطان محموداً لما رأى جيشه أوشك على الانهزام, أمام مقاومة أهل الغور العنيفة, أمر بأن يولوهم الأدبار

[1] العتبي,تاريخ,180/2، الطوسي, المصدر نفسه والصفحة، الكروي, إبراهيم سليمان: البويهيون والخلافة العباسية, ط 2, مركز الإسكندرية للكتاب, الإسكندرية, 1977م, ص: 103.

[2] العتبي, تاريخ, 2 / 84, البيهقي, تاريخ, ص: 744.

[3] العتبي, المصدر نفسه والصفحة, الكرديزي, زين الأخبار, ص: 307.

[4] العتبي, تاريخ, 2 / 76 – 78, الكرديزي, زين الأخبار, ص: 287.

[5] للمزيد من التفاصيل عن ذلك, انظر: العتبي, نفسه, 2 / 66 – 67, الكرديزي, نفسه, ص: 286, الرفاعي, الدولة, ص: 206 – 207.

استدراجاً, موهمين العدو بالانهزام, فلما تبعوهم إلى فضاء فسيح, أمر جيشه بالالتفاف عليهم, فوقعت بهم الهزيمة المنكرة, التي على إثرها فتحت بلاد الغور, ودخلت تحت سيادته, وما ذلك إلا نموذجاً لكثير من الخطط العسكرية المحكمة التي حرص الجيش الغزنوي على تنفيذها بدقة وكفاءة عالية[1].

2- أقسام أو (قطاعات) الجيش :

أ- الفرسان :

وهم الخيالة الذين يمتطون الخيل أثناء مشاركتهم في الحروب, وقد حُظي هذا القطاع برعاية فائقة من السلطان محمود, وعمل على دعمه, بأمهر الفرسان, وأقوى الخيول, إذ كان هذا القطاع ركيزة الجيش في معظم المعارك الحربية. وكان معظم أفراده من العرب والأكراد, الذين امتازوا بالفروسية, ومن مهام هذا القطاع ؛ حماية الجيش أثناء التنقل أو المبيت, ومطاردة الأعداء وملاحقتهم, ومحاربة الكمائن وغير ذلك, ومن خلال هذه المهام الجسيمة التي يضطلع بها الفرسان, تتضح مدى أهمية هذا القطاع, إذ كان عامل حسم لكثير من المعارك التي قادها السلطان محمود[2].

أما تعداد هذا القطاع, فيصعب على الباحث تحديده بدقة, لكن يمكن تقديره, استناداً إلى بعض الحيثيات, فمن خلال كتاب السلطان محمود الذي بعثه للخليفة القادر بالله العباسي سنة 410هـ / 1019م, والذي هو عبارة عن تقرير شامل عن الدولة وأوضاعها الأمنية والعسكرية, يمكن تقدير تعداد هذا القطاع بنحو (87 ألف فارس) تقريباً [3] وذكر الكرديـزي[4],والهـروي[5] أن تعـداد الفرسان سنة 414 هـ / 1023م, الذين تقدموا إلى ساحة العرض السنوي في صحراء شاه بهار[6]، حوالي (54 ألف) غير الفرسان المرابطين بعواصم الولايات التابعة للدولة, وبناءً على ذلك فمن المرجّح أن يكون تعداد هذا القطاع بين (54) ألف و (87) ألف فارس.

---

[1] العتبي, تاريخ, 2 / 124, وقد سبق أن ذكرنا ذلك عند الحديث عن الحملة الأولى على إمارة الغور.

[2] الجوارنة, أحمد محمد: التنظيم الإداري لديوان العرض (الجند) في عهد الدولة الغزنوية, مجلة دراسات تاريخية, تصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب, جامعة دمشق, العـددان 55 – 56, آذار – حزيران 1996م, ص: 129 – 130.

[3] انظر نص الكتاب عند: ابن الجوزي, المنتظم, 7 / 292 – 293.

[4] زين الأخبار, ص: 300 – 301.

[5] طبقات, 1 / 32.

[6] يعني بها شاه أي معبد الملك، ويوجد بهذا الاسم كثير من المعابد في أفغانستان، كما توجد صحراء واسعة بالقرب من غزنة بهذا الاسم، والآن يطلق اسم شيبار على صحراء في جنوب غرب غزنة. انظر: عفاف زيدان، هوامش زين الأخبار للكرديزي، ص: 300 – 3001.

ب- المشاة, (الرجالة) :

وهم الذين يقاتلون راجلين أو مشاة, ويمثلون القوة الضاربة في الجيش, ويقع على عاتقهم عبء كبير, فإلى جانب مساندتهم, للفرسان, فإنه يقع على كاهلهم مهمة الأصطدام المباشر مع جيش الأعداء, وبُنية هذا القطاع كانت خليطة من أجناس متعددة, وذلك بحكم تعدد البلدان والأقاليم التي آلت لحكم الدولة الغزنوية, فكان منهم الأتراك, والأفغان والعرب, والهنود, والديالمة والأكراد وغيرهم[1].

أما تعداد هذا القطاع فيمكن تحديده بصورة تقريبية, استناداً لتقرير السلطان المذكور آنفاً, بحوالي(60) ألف فرد[2]، وبالمقارنة بين القطاعين, الأول والثاني, نستنتج أن اهتمام السلطان محمود بقطاع المشاة (الرجّالة) كان يلي – من حيث الترتيب – قطاع الفرسان.

ج- غلمان البلاط السلطاني :

وهو من القطاعات المهمة التي حظيت باهتمام السلطان محمود ورعايته, فهو لا يقل أهمية عن القطاعين السابقين إذ كان غلمان البلاط السلطاني يشكلون فرقاً ضاربة متمرسة على القتال, ومدربة تدريباً خاصاً على حراسة بلاط السلطان وملحقاته, بالإضافة إلى انتدابهم لحسم المواقف الصعبة, والمهام الخطرة في معظم الأحيان, وقد ذكرنا سابقاً نماذج لمثل تلك المهام الصعبة والخطيرة, أما تعداد هذا القطاع فقد أشرنا إليه في سياق حديثنا عن قوّة العبيد.

د- الجمّالة :

وهم الفرسان الذين يركبون الجمال (الإبل), وقد حاز هذا القطاع على اهتمام السلطان محمود, فارتقى في عهده ليصبح قطاعاً رئيساً مهماً, وضرورياً للقيام بعمليات الإمداد, ونقل الأسلحة الثقيلة، والغذاء, ومستلزمات العسكر, فهو بمثابة (دائرة الإمداد والتموين بوزارة الدفاع اليوم), ففي معركة فتح سومنات الشهيرة ببلاد الهند سنة 416 هـ / 1025م, أسندت مهمة نقل الميرة والأسلحة, والذخائر, لهذا القطاع, فبلغ عدد الإبل التي استخدمت لتلك المهمة, عشرون ألف جمل[3].

هـ- جماهير المتطوعة :

وهم المقاتلة الخارجين عن ديوان الجُند ؛ من المتطوعين الذين ينضمون للقتال إلى جانب القوات النظامية, رغبة في الجهاد والدفاع عن الدولة, أو حُباً في الغنيمة, وباستطاعة, هؤلاء المتطوعة العودة إلى ديارهم بعد الانتهاء من الحرب مباشرة أو عندما لا تناسبهم الظروف, فبعد سماع المسلمين بفتوحات السلطان المظفرة ببلاد الهند, وانتصاراته الرائعة, وما ظفر به من غنائم لا تحصى ولا تعد؛ هالهم ذلك الأمر, فتدفقت أعداد كبيرة من المتطوعين للجهاد في سبيل الله, فضلاً عن رغبتهم في الحصول على

---

[1] الطوسي, سياست نامه, ص: 140.

[2] ابن الجوزي, المنتظم, 7 / 292 – 293.

[3] ميراخواند, روضة الصفا, ص: 153, الجوارنة, التنظيم الإداري, ص: 131.

المزيد من الغنائم, فمثلاً ؛ عندما قرر السلطان فتح مهرة وقنوّج سنة 409 هـ / 1018م في بلاد الهند تدفق إليه من أقصى بلاد ما وراء النهر وحدها زهاء عشرين ألف مقاتل من المتطوعين[1].

3- أسلحة الجيش :

حرص السلطان محمود على تسليح جيشه, تسليحاً قوياً, يتناسب مع طموحاته وأهدافه التوسعية في إقليم المشرق, فقام بتوفير كافة الأسلحة المتعارف عليها وقتذاك, ومن الأسلحة الخفيفة التي تسلح بها الجيش الغزنوي : السيف, والخنجر, والرمح, والسهم, والنبال, والقوس, والبلطة, والدرع, والخوذة, والدبابيس, والسلالم, وحبال الأدهاق والكؤوس النحاسية, والأبواق, والطبول, والجواشن وغيرها [2].

كما استخدم الجيش الغزنوي بعض الأسلحة الثقيلة, مثل : المنجنيقات التي كانت بمثابة المدافع, ترمى بأحجارها الضخمة لتصيب بها القلاع والحصون, فتهدم أسوارها, وتكسر أبوابها, أو تفتح ثغوراً بها, لدخول الجيش داخل تلك القلاع, ويرجع استخدام مثل هذا السلاح في الجيوش الإسلامية إلى عهد الدولة الأموية, فقد استخدمه الفاتح الشهير محمد بن القاسم الثقفي[3] في المراحل الأخيرة من معارك بلاد السند, كما استخدم الجيش الغزنوي أسلحة فعّالة أخرى مثل: المشاعل, والسهام النفطية, التي كانت تقذف بواسطة المنجنيق أو غيره من الآلات,على الفرسان وخيولهم،وعلى الفيلة وهوادجها[4].

ومن الأسلحة المهمة التي توفرت للجيش الغزنوي:سلاح الفيلة, وهو سلاح استحدثه السلطان محمود؛ بسبب الظروف التي أتيحت له, أثناء اجتياح بلاد الهند الشمالية والوسطى, وعُدّت الدولة الغزنوية صاحبة السبق في هذا المضمار, واعتمد السلطان في توفير هذا السلاح المهم على غنائم فتوح بلاد الهند, وقد أشار بعض المؤرخين إلى تعداد الفيلة التي توفرت للجيش الغزنوي في عهد السلطان محمود, فالكرديزي[5] أشار إلى ذلك ضمن حديثه عن تفاصيل العرض السنوي للجيش الغزنوي سنة 414هـ / 1023م قائلاً : ((... كما خرج ألف وثلاثمائة فيل بدروعهم وآلاتهم...)) في حين ذكر الهروي[6] أن عددها في ذلك العرض بلغ (1500 فيل) وذكر ثالث[7] أن عدد الفيلة التي كانت تقف في بلاط السلطان محمود (2500 فيل), وبما أن العرض العسكري لأي جيش لا يحتوي إلا على نماذج من الأسلحة, فيُرجّح أن يكون عدد الفيلة لدى جيش السلطان بحدود : (2500) فيل.

---

[1] انظر: العتبي, تاريخ, 262/2 – 263, ميراخواند, روضة الصفا, ص: 149.

[2] الصفدي, سالم دياب سالم, الغزنويون في بلاد الهند, رسالة ماجستير غير منشورة كليـة الآداب, جامعة أسيوط,1413هـ/1992م,ص: 208.الجوارنة, التنظيم الإداري, ع 55 – 56 / 132.

[3] راجع: البلاذري: أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر, فتوح البلدان, تح: عبد الله أنيس الطبـاع, وعمر أنيس الطباع, دار المعارف, بيروت, 1407هـ / 1987م, ص: 424 – 425.

[4] ابن الأثير, الكامل, 18/4 – 19, الصفدي, الدولة, ص: 208.

[5] زين الأخبار, ص: 301.

[6] طبقات, 32/1.

[7] المصدر نفسه والصفحة.

4- ديوان العرض وإدارة الجيش :

وهو المؤسسة المسؤولة عن إدارة الجيش ونفقاته، ويتولى هذا الديوان رجل يلقب بـــ:(العارض) أو قائد الجيش أو رئيس ديوان الجيش, وهو علم من أعلام الدولة المتنفذين, بل ومن أعظمهم مكانة عند السلطان, فهو المسؤول المباشر عن, نفقات الجيش, وصرف أرزاق الجند, فضلاً عن الاطمئنان على الجيش في حالة التأهب والاستعداد للحرب, وكان بيده الحل والعقد, والإثبات والإسقاط[1].

وبما أن السلطان محموداً كان القائد الأعلى للجيش, لذا تقع على عاتقه مهمة الإشراف المباشر على إدارة هذه المؤسسة, واختيار من هو أهل لقيادة الجيش, وأقدرهم وأخلصهم لتحمل أعباء هذه المسؤولية, لذلك يجب أن يتصف من يتولى هذا المنصب بمواصفات فريدة ونادرة, لا تتوافر إلا عند النخبة من الرجال , عدّدها العباسي[2] قائلاً: ((يجب أن يكون صاحب ديوان الجيش من أعلى الناس قدراً وأوسعهم صدراً وأحسنهم خلقاً وخُلقاً, وأطيبهم أصلا, واجمعهم فعلاً, وأشرفهم نفساً وأكثرهم أنسا, ويكون كبيراً قدره, نافذاً أمره, رطباً لسانه, عظيماً شأنه, صالحة فكرته, سليمة فطرته, يرجعون إليه, ويعتمدون في أمورهم عليه, ناظراً عليهم, مشيراً إليهم, خبيراً بالجيوش, والعروض, ومعرفة الرجال, ورتبهم, وأقدارهم, وموقعهم من الدولة... ولتكن له هيبة كبيرة حتى لا يجسر أحد على التدليس عليه, ولا غيره, ويحترز عند العروض فهو الأصل في انتظام أمر الجيش...)).

وبناء على ذلك فإن ديوان العرض, يُعد من أكثر المؤسسات الإدارية التي أخذت من السلطان محمود كل اهتمام وعناية, فجعل مقومات الدولة المالية والإدارية, والبشرية والسياسية, في خدمة هذه المؤسسة, التي حققت نجاحاً في إيصال الأسرة الغزنوية إلى حكم بلاد المشرق الإسلامي, والمحافظة على دولتهم مهابة وقوية مرهوبة الجانب, في مواجهة التحديات والأخطار المحدقة بها من قبل أعدائها المتربصين بها.

ونظراً لأهمية ديوان العرض, في تدريب الجيش وتنظيمه, ورفع معنوياته, فــإن السلطان نفسه, كان يتولى الإشراف المباشر على نشاطه,سواءً أثناء العروض العسكرية السنوية, أو أثناء المعارك الحربية, فقد كان على سبيل المثال : قائداً للجيش الغزنــوي الذي تولى فتح سومنات في الهند نة 416 هـــ / 1025م, كما تــولى الإشــراف علـــى العرض السنوي, الذي أقيم في صحراء شابهار سنة 414 هـــ / 1023م, كــذلك كـــان يشارك الوزراء في معظم الأحيان السلطان في الإشراف على ديوان العــرض ومتابعـــة احتياجاته المالية, والبشرية ؛ من الجند والأسلحة والمؤن والمرتبات, ووضـــع الخطـــط ورسم الأهداف, ويشاركهم في ذلك العارض وكبير الحجاب, ومن اشهر من تولى رئاسة ديوان العرض في عهد السلطان محمود أبو القاسم كثير[3].

---

[1] البيهقي، تاريخ، ص: 536، بارتولد, تركستان، ص: 359. الجوارنة، التنظــيم الإداري, ع 55 – 56 / 113.

[2] الحسن بن عبد الله ابن محمد,آثار الأول في ترتيب الدول,طبعة بولاق,1295هـــ,ص:69–70.

[3] الكرديزي, زين الأخبار,ص: 300, 301, 308، الجوارنة التنظيم الإداري, ص: 111 – 112.

أما واجبات صاحب ديوان العرض فقد وصفها أحد المؤرخين المحدثين[1] قائلاً:((يعتبر صاحب ديوان العرض القائد العام للجيش في أوقات الحرب, حيث أنه كان يسهل للجيش جميع المحطات التي يتوقف بها, وهذه التسهيلات عبارة عن التدابير اللازمة لتامين المواد التموينية لأفراد الجيش, أو المراقبة لمعرفة أخبار تحركات العدو, كذلك تزويد هذه المحطات, بالعلف اللازم لحيواناتهم ...)) ونستدل من هذا النص على أن صاحب ديوان العرض كان يتولى منصباً مهماً في قيادة الدولة الغزنوية.

أما فيما يتعلق برواتب الجند فقد أشار إلى ذلك الطوسي في كتابه(سياسة نامة)[2] قائلاً:((لقد كان من عادة الملوك القدماء [وهنا يقصد السامانيين والغزنويين] ألا يقطعوا الجيش شيئاً, بل يدفعوا لكل منهم بحسب درجته طمعة[3] من الخزينة نقداً, أربع مرات في السنة, فكان الجند في يُسر ورخاء دائماً... أما عمال الخراج فكانوا يجمعونه إلى خزينة الملك, ومنها تصرف أطماعا للغلمان والجيش مرة كل ثلاثة أشهر, وهو ما أطلقوا عليه: حساب العشرينية, وما زال هذا العرف قائماً في آل محمود[4])).

نستنتج مما أورده الطوسي أن ديوان العرض, يتولى صرف رواتب نقدية للجيش الغزنوي كل ثلاثة أشهر من السنة الهجرية, أما مقدار الراتب فيختلف من فرد إلى آخر بحسب رتبته العسكرية, وموقعه في الجيش. والقطاع الذي ينتمي إليه, كما يفهم أيضـا أن مستوى الحياة المعيشية لأفراد الجيش الغزنوي كان مرتفعاً ويميل إلـى الاسـتقرار بصورة دائمة.

---

[1] MOHMAD NAZI: THE LIFE AND THE TIMES OF SULTAN MAHMUD OF GHAZ A. CAMBID , 1931, P:138

[2] ص: 139.

[3] الطمع: رزق الجند, وأطماع الجند: أرزاقهم, يقال: أمر لهم الأمير بأطمـاعهم, أي: أرزاقهـم, وقيل: أوقات قبضها, ابن منظور, أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصـري: لسان العرب, ط 3, دار صادر, بيروت,1414هـ / 1994م, 240/8.(مادة: طمع).

[4] في إشارة منه إلى السلطان محمود وأبنائه.

5- جهوده في نشر المذهب السنّي في بلاد المشرق الإسلامي :

أ- المذهب الفقهي للسلطان محمود :

تكاد المصادر التاريخية – التي تيسّر لنا الإطلاع عليها – تجمع على أن السلطان محموداً؛ كان حنفي المذهب, ثم انتقل إلى المذهب الشافعي[1], ولكن يؤخذ على هذه المصادر, اعتمادها فيما أوردته عن مذهب السلطان محمود الفقهي على رواية واحدة, ذكرها أمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني[2], في كتابه (مغيث الخلق في اختيار الأحق), ونظراً لأهمية هذه الرواية سنوردها بالنص, ثم نقوم بنقدها وتمحيصها بحسب الأدلة المتوفرة.

- نص الرواية :

((وذكر إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني – المتقدم ذكره – في كتابه الذي سماه (مغيث الخلق في اختيار الأحق) إن السلطان محموداً المذكور, كان على مذهب أبي حنيفة[3],رضي الله عنه, وكان مولعاً بعلم الحديث, وكانوا يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه, وهو يسمع, وكان يستفسر الأحاديث, فوجد أكثرها موافقاً لمذهب الشافعي[4] رضى الله عنه, فوقع في خلده حكة, فجمع الفقهاء من الفريقين في مَرْو,

---

[1] انظر: ابن خلكان, وفيات, 5 / 180 – 181, السبكي: طبقات, 316/4, الذهبي, السير, 314/13, ابن كثير, البداية, 38/12. ابن تغري يردي, النجوم, 275/4.

[2] ابن الشيخ أبي محمد بن عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيُّوية, الجويني, الفقيه الشافعي, الملقب بـ ضياء الدين, المعروف بـ: (إمام الحرمين), ولد في 18 محرم 419هـ / 18 مارس 1028م, أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي على الإطلاق, المُجمع على إمامته, المتفق على غزارة مادته, وتصنيفه في العلوم من الأصول والفروع, والأدب, من تصانيفه: (الشامل) في أصول الدين, و (البرهان) في أصول الفقه, و(تلخيص التقريب) و(الإرشاد) و (مغيث الخلق في اختيار الأحق) وغير ذلك, توفي في 25 ربيع الآخر سنة 478هـ / 20 أكتوبر 1085م. للتفاصيل راجع ابن خلكان, وفيات, 167/3 – 170, وبه قائمة بأهم مصادر ترجمته.

[3] النعمان بن ثبت بن زوطي بن ماه, الفقيه الكوفي، مولى تيم الله بن ثعلبة, ولد سنة 80هـ/ 699م, كان علماً, عابداً, زاهداً, عاملاً, ورعاً, تقياً كثير الخشوع, دائم التضرع إلى الله تعالى, أحد أئمة أهل السنة الأربعة, واليه ينسب المذهب الحنفي, توفي ببغداد سنة 150هـ / 767. ولمزيد عن حياته راجع: ابن النديم, أبو الفرج محمد بن إسحاق, الفهرست, إعتناء وتعليق: الشيخ إبراهيم رمضان, دار المعرفة, بيروت, 1415هـ/ 1994م, ص: 251. ابن يعلي أبو الحسن محمد بن محمد بن الحسن الحنبلي: طبقات الحنابلة, خرّج أحاديثه ووضع حواشيه: أبو حازم أسامة بن حسن وأبو الزهراء حازم علي, دار الكتب العلمية, بيروت, 1417هـ / 1997م, ص:260-261, ابن خلكان، وفيات، 5/ 405 – 415.

[4] أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس عثمان بن شافع القرشي المطلبي الشافعي, ولد بغزة على أرجح الأقوال سنة 150 هـ/ 767م, كان كثير المناقب, جم المفاخر, منقطع القرين, اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله وسنّة رسوله (ص), وكلام الصحابة وآثارهم, واختلاف أقاويل

والتمس منهم الكلام في ترجيح أحد المذهبين على الآخر, فوقع الاتفاق على أن يصلوا بين يديه ركعتين على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه, وعلى مذهب أبي حنيفة, رضي الله عنه, لينظر فيه السلطان, ويتفكر ويختار ما هو أحسنها، فصلى القفال المروزي[1]... بطهارة مسبغة وشرائط معتبرة من الطهارة, والسترة واستقبال القبلة, وأتى بالأركان والهيئات والسنن والآداب, والفرائض على وجه الكمال والتمام, وقال : هذه صلاة لا يجّوز الإمام الشافعي دونها رضي الله عنه, ثم صلى ركعتين على ما يجّوز أبو حنيفة رضي الله عنه, فلبس جلد كلب مدبوغاً, ولطخ ربعه بالنجاسة, وتوضأ بنبيذ التمر، وكان في صميم الصيف في المفازة, واجتمع عليه الذباب والبعوض, وكان وضوءه منكساً منعكساً, ثم استقبل القبلة وأحرم بالصلاة من غير نية في الوضوء, وكبّر بالفارسية دوبركك سبز, ثم نقر نقرتين كنقرات الديك من غير فصل ومن غير ركوع, وتشهّد, وضرط في آخره من غير نية السلام, وقال: أيها السلطان, هذه صلاة أبي حنيفة, فقال السلطان : لو لم تكن هذه الصلاة صلاة أبي حنيفة لقتلتك, لأن مثل هذه الصلاة لا يجّوزها ذو دين, فأنكرت عليه الحنفية أن تكون هذه الصلاة, صلاة أبي حنيفة, فأمر القفّال ؛ بإحضار كتب أبي حنيفة, وأمر السلطان نصرانياً كاتباً يقرأ المذهبين جميعاً, فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة, على ما حكاه القفال, فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة, وتمسك بمذهب الشافعي رضي الله عنه انتهى كلام إمام الحرمين))[2].

العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية والشعر ما لم يجتمع في غيره. فكان أول من تكلم في أصول الفقه, وهو الذي استنبطه, وقد اتفق العلماء قاطبة أهل الحديث والفقه والأصول واللغة والنحو غير ذلك على ثقته وأمانته وعدالته وزهده وورعه, وعقة نفسه وحسن سيرته, وعلو قدره وسخائه, توفي بمصر سنة 204هـ /814م. للمزيد عن حياته وآثاره راجع: ابن النديم, الفهرست، ص 59, أبو نعيم, أحمد بن عبد الله الشافعي: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء, تح: مصطفى عبد القادر عطا, منشورات محمد علي بيضون, دار الكتب العلمية, بيروت, 1418هـ / 1997م, 76/9، ابن خلكان، وفيات، 163/4 – 164.

[1] أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله, الفقيه الشافعي, المعروف بـ: (القفال المرزوي) وسمي بالقفال ؛ لانه كان يعمل الاقفال, وكان ماهراً في عملها, وحيد عصره أو زمانه, فقيهاً, وورعاً, وزاهداً, وله في مذهب الإمام الشافعي من الآثار ما ليس لغيره من أبناء عصره, توفي سنة 417هـ/1026م ودفن بسجستان. انظر: ابن خلكان، وفيات، 46/3.

[2] الرواية مستلة حرفياً من كتاب ابن خلكان: وفيات, 180/5 – 181.

- نقد الرواية :

يمكن نقد هذه الرواية من عدة وجوه :

أولاً : **إن الدارس المتمعن لنص هذه الرواية, يجد فيها خللاً وتناقضاً واضحين, يمكن أن نلمسه من قول الراوي على لسان القفال بعدما صلى ركعتين على مذهب الشافعي : ((هذه صلاة لا يُجوز الإمام الشافعي دونها رضي الله عنه...)) وهذا تقوّل على الإمام الشافعي, إذ أنه يُجوز غير هذه الصلاة, فالصلاة التي تُجزي العبد المسلم عند الشافعي ليس بالضرورة أن يأتي فيها بالسنن والآداب, بل يكفي الأتيان بالشروط والأركان, بمعنى آخر أن الإمام الشافعي يُجوّز دون تلك الصلاة التي وردت في الرواية[1].**

ثانياً : **وبناءً على ذلك فهل يعقل أن القفال – ذلك الفقيه الورع, وحيد عصره وكبير فقهاء الشافعية في زمانه – لا يعرف الصلاة الكاملة والصلاة التي تجزي العبد المسلم عند الشافعي ؟**

ثالثاً : **أن المتفكر في الكيفية التي تمت بها الصلاة على المذهبين, بحسب ما ورد في الرواية, يجد خداعاً واضحاً جداً بينهما ففي الأولى, صلى صلاة كاملة, مستوفية كل الشروط والأركان والآداب والسنن, وعلى العكس من ذلك صلى في الثانية الصلاة التي تُجزئ عند الإمام أبي حنيفة, في حين كان عليه أن يصلي في الأولى الصلاة التي تُجزئ العبد المسلم عند الشافعي, ثم يصلي الصلاة التي تجزي العبد المسلم على مذهب أبي حنيفة, حتى يرى السلطان الفرق بين المذهبين, وهذا لم يحصل طبقاً لما ورد في الرواية.**

رابعاً : **أن السلطان محموداً درس في مطلع حياته, وبرع في الفقه والخلاف, حتى صار معدوداً من العلماء, وصنّف كتاباً في فقه الحنفية, قبل توليه العرش الغزنوي بعّدة سنوات, سماه:(كتاب التفريد) وهو كتاب مشهور بغزنة[2], قال عنه القرشي[3]: ((... هو في غاية الجودة, وكثرة المسائل, لعله نحو ستين ألف مسألة)), فمن يكن على هذا العلم, لا يحتاج إلى من يعرفه الصلاة على المذاهب الأربعة، في حين أن أصاغر العلماء والفقهاء من طلبة العلم, يعرفون الخلاف بين المذاهب في مثل هذه المسائل.**

خامساً : **إن تحكيم رجل نصراني, في قراءة كتب المذهبين, أمر مفرغ منه, فمن المستبعد, أن يلجأ السلطان محمود – المعروف بإلتزامه الديني إلى مثل ذلك,**

---

[1] انظر: الشافعي، محمد بن أدريس، كتاب الأم، مع مختصر المازني الجزء الثامن، دار الفكر، بيروت، 1410هـ/1990م، 107/5 وما بعدها، الجزيري، عبد الرحمن، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، دار الرمان للتراث، القاهرة، 1408هـ/1987م، 64/1، 78، 121.

[2] القرشي, مُحي الدين أبو محمد بن عبد القادر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية, تح: عبد الفتاح محمد الحلو, ط2,دار هجر, بيروت,1413هـ/1993م, 438/3, وانظر أيضا: ابن تغري بردي, النجوم, 275/4, حاجي خليفة، كشف الظنون، 401/2, كحالة: عمر رضا, معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية (قاموس تراجم), دار إحياء التراث العربي، بيروت, (لا.ت),167/11.

[3] الجواهر, 439/3.

خصوصاً وأن بلاد المشرق الإسلامي تعج بمئات العلماء المشهود لهم بالأمانة والعدالة والنزاهة, وقول الحق.

سادساً : **حاشا للقفّال – ذاك العالم, الزاهد, الورع, التقي, والفقيه المشـــهور – أن يقـــع في مثل هذه القبائح, من كشف العورة, والضراط أمام الملأ وما إلى ذلك[1].**

وبناءً على ما سلف، فمن المرجّح – في الأعم الأغلب – أن هذه الرواية غيـــر صحيحة، بل يبدو أنها موضوعة عن القفّال, ولا يستبعد أن تكون وضعت في كتاب إمام الحرمين بعد وفاته، أو ربما أنه اعتمد في نقلها على رواية أحد المتعصبين مـــن أهـــل التحامل، إذ كانت المعركة شديدة بين المذهبين، بلغت أقصى حدّتها في القرنين الرابـــع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين.

خلاصة القول, أن السلطان محموداً كان سُني الفكر حنفي المذهب، بـــذل جهـــوداً مضنية في نشره, والاهتمام بعلمائه وفقهائه في ربوع دولته، وقد لا يستبعد أنه انتقـــل في أواخر حياته إلى المذهب الشافعي, فمثل هذا الأمر كان يحدث في صـــفوف العلمـــاء والسلاطين, فكلا المذهبين لإمامين فاضلين من اعظم أئمة أهل السنّة والجماعة, ولكـــن ليس بالكيفية التي وردت في الرواية، التي من المرجح أنها موضوعة، ولا يعتـــد بهـــا, ولا يمكن قبولها بأي حال من الأحوال.

ب- الكّرامية وموقف السلطان منها :

كانت الكّرامية[2] من الطوائف الدينية التي اكتسبت الشهرة في المشرق الإســـلامي وخاصةً في إقليم خراسان, الذي أصبح مركزاً لقادتها منذ القـــرن الثالـــث الهجـــري / التاسع الميلادي, ومؤسس هذه الطائفة هو أبو عبد الله محمد بـــن كّـــرام السجســـتاني المتوفى سنة 255هـ-819م[3].

ثم خرج إلى نيسابور في زمن محمد بن طاهر, وتبعه على بدعته من أهل ســـواد نيسابور شرذمة, وبدعته هذه تدعو إلى تجسيم المعبود, وتزعم أن له جسم ولـــه حـــد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقي عرشه, كما وصف ابن كّـــرام معبـــوده بأنـــه (جوهر), وقد ألّف في ذلك كتاب سمـــاه: (ذاب القبر), شـــرح فيـــه مبـــادئ بدعتـــه, فاستطاع من خلاله أن يقنع العامة من الناس بهذه البدعة[4]، وقـــد انقســـمت الكراميـــة

---

[1] قدّم ابن تغري بردي: النجوم, 275/4, نقداً إيجابيا لهذه الرواية استفدت منه كثيراً في نقدي هذا لها.

[2] نسبة إلى مؤسسها أبو عبد الله محمد بن كرام السجستاني.

[3] قال الشهرستاني عنه: ((ونبغ رجل متنمس, بالزهد من سجستان, يقال له أبو عبد الله محمد بـــن كّرام, قد قمّش من كل مذهب ضغثاً, وأثبته كتابه, وروجه على اغثام غزنة وغور وسواد بـــلاد خراسان, فانتظم ناموسه, وصار ذلك مذهباً, وقد نصره محمود بن سبكتكين السلطان, وصـــب البلاء على أصحاب الحديث, والشيعة من جهتهم, وهو أقرب مذهب إلى مذهب الخوارج وهـــم مجسمة...)). راجع: الشهرستاني, أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل, تح: أمير علي مهنا وعلي حسن قاعود, ط6,دار المعرفة, بيروت, 1417هـ/1997م,44/1/-45.

[4] الشهرستاني,الملل،44/1, 124,البغدادي,عبد القاهر بن طاهر بن محمد:الفرق بين الفرق, تـــح: محمد محي الدين عبد المجيد,المكتبة العصرية, بيروت,1416هـ/1995م, ص: 215-223.

بخراسان إلى ثلاث فرق ؛ حقائقية وطرائقية وإسحاقية, ولكن هذه الفرق لا يكفر بعضها بعضاً, لهذا عدوها كلها فرقة واحدة[1].

أما علاقة هذه الطائفة بالسلطان محمود, فإنها ترجع إلى عهد والده ناصر الـدين سبكتكين، الذي قرّب إليه أبا بكر محمد بن إسحاق محمشاد رأس طائفة الكّرامية, الذي كان, والده من مشاهير الزهاد, كما أن أبا بكر نفسه عُرف بالزهد والتقشـف, ويصـف العتبي[2], عمق تلك العلاقة بقوله:((... وكان الأمير ناصر الدين أبو منصـور سـبكتكين يرى من عصابته[أي شدته] في التزهد والتعفف, والترهّب, والتقشف, ما قل وجود مثله في كثير من فقهاء الدين وأعيان المتعبدين فحلى ذلك بقلبه كما حلى ذلك بعينه...)), إن ما حظيت به هذه الطائفة من عطف ورعاية دفعت أبا الفتح البستي أول وزير في البلاط الغزنوي إلى مدحهم فأنشد يوماً قائلاً:

الفقه فقه أبــي حنيفــة وحــده	والدين ديــن محمــد بــن كــرام
إن الــذين أراهــم لــم يؤمنــوا	بمحمد بــن كــرام غيــر كــرام

وبناءً على ذلك فقد اتهمه البعض بأنه كُرامياً, والواقع أن أبا الفتح الســبتي لــم تكن له علاقة بهذه الطائفة, فضلاً عن إيمانه القوي بأن هؤلاء القوم قد بعدوا بأفكارهم عن مبادئ المذاهب السنية التي كان ينتمي إليها, وأن ما قاله فيهم من شعر ما هــو إلا بسبب ما حظيت به هذه الفرقة من احترام ورعاية وإجلال, في صدر الدولة الغزنويــة, وقد استمر السلطان محمود على وتيرته في ملاحظتهم بعين الاحترام, وإيثــار طوائــف الكّرامية بمزيد من الرعاية والإجلال[3].

وتأسيسا على ما سبق, فقد أخذت هذه الطائفة تكتسب شعبية واسعة, في أرجــاء الدولة, كما بلغ نفوذ أبي بكر محمد بن إسحاق زعيمها بين أهالي نيسابور درجة كبيرة، وحظي مكانه مرموقة.

استمر نجم الكّرامية في الصعود, فقد حدث أن هاجمت جيوش أيلك خــان (ملــك بلاد الترك) خراسان, فشارك أبو بكر بن إسحاق زعيم الكُرامية وأصحابه, فئات الشعب في مقاومة جيوش الترك سنة 397 هـ / 1006م, ونظراً لما يتمتع بــه مــن شــعبية واسعة فقد رأى أيلك خان ضرورة القبض عليه خوفاً من شعبيته, وأخذوه أسيرا عنــد تراجعهم وإنسحابهم أمام جيوش السلطان التي جاءت لطــردهم مــن خراســان, لكنــه استطاع الهروب منهم, الأمر الذي ضاعف من نفوذه وارتفاع مركزه عنــد الســلطان[4]، وذكر العتبي[5] أن السلطان عَدْ ذلك من سائر أقربائه وأوجب له حقاً بعين مراعاته، فعينه السلطان رئيساً لمدينة نيسابور، ضارباً عرض الحائط تلك القاعدة المتبعة فــي تعيــين

[1] البغدادي, الفرق, ص: 215.
[2] تاريخ, 310/2.
[3] المصدر نفسه والصفحة, أبو الفتح البستي, ص: 54.
[4] العتبي، تاريخ، 310/2, بارتولد, تركستان, ص: 432.
[5] المصدر نفسه, 2 / 311.

رئاسة المدينة، لأن أبا بكر كان من فقهاء الدين، والنظم المتبعة في توليه هذا المنصب أن يكون شاغله رجلاً من أعيان يرضى به الجميع.

وهكذا أصبح أبو بكر محمد بن إسحاق همزة وصل بين السلطان والرعية, فكـان عليه أن يحافظ على الأمن الداخلي للمدينة, وأريافها, وأن يعد نفسه في خدمة النـاس، كما كان من واجباته إعداد الزينة, وإحياء الاحتفالات, وغيرها من الأمور التي تعبر عن وسائل الفرحة لاستقبال السلطان, الذين كان يقوم بزيارات خاصة لهذه المدينة في معظم أوقات السنة [1].

اعتمد السلطان محمود على أبي بكر محمد بن إسـحاق فـي قمـع الملحـدين, والمارقين عن الدين، بغية الحفاظ على نقاء الدين الإسلامي وصفائه, لكن هـذا الرجـل بالغ في الأمر, وخلط الحابل بالنابل, وحارب العلماء، ورجال الدولة, وأعيان المدينـة, واتهمهم بالقرمطة[2] واتبع معهم سياسة التنكيل والتعذيب حتى صـار البـرئ كالسـقيم مذعوراً, وابتزّت الكّرامية الناس بالباطل سراً كثمن لسكوته على المرؤوسين منهم حتى لا يفشى سرهم للسلطان, فكان أهلها أجمعين من الخاصة والعامة ينظرون إليـه بعـين المرجو والمخوف وعلى عكس ذلك فقد فتح الطريق لأصحابه مـن الكراميـة وعطـف عليهم وقربّهم إليه, فاظطهدوا أصحاب المذاهب السنية, وعـاثوا فـي الأرض فسـاداً وشككوا الناس في معتقداتهم,وقد وصف ذلك التعسف والقسوة العتبي[3]قائلاً :((...وجدت خاصته [أصحاب أبي بكر وأتباعه من الكّرامية] سوقاً للأطماع بعلة الابتداع, فاستزبنوا الناس واستفتحوا الأكياس فمن الظ مكاس رُمي بفساد معتقده أو يعطـي الجزيـة عـن يده...)).

كان من أهم ضحايا الكّرامية العلامة الأستاذ أبو بكـر بـن فـورك[4] الـذي ورد نيسابور بطلـب من أهلها ليقوم بالتدريس بها, وبنوا له مدرسة خاصة, وبفضله أحيـا الله به أنواع العلوم, ولكن الكّرامية اتهموه بالقرمطة وجعلوه يمثل أمام محكمة حضرها السلطان في مدينة غزنة, وهناك أعلن مذهبة الديني, وهو الشافعي, وبراءته, مما نُسب إليه من الافتراءات حيث كان شديد الرد على أصحاب الكّرامية, وبناءً على ذلك قـرروا

---

[1] العمادي, خراسان, ص: 275.

[2] اسم عرفت به إحدى الفرق الباطنية, التي شغلت الخلافة العباسية قرابـة قـرن مـن الزمـان, وأشاعت الإضطراب والقلق في إقليم المشرق الإسلامي, بما خلفته من أفكار ومعتقدات هدّامـة, وكلمة (قرامطة) هي الاسم الذي أطلقه أهل السنة والجماعة على هذه الفرقة الباطنية, أما الاسـم الذي كان زعمائها يطلقونه على أنفسهم فهو: ((المؤمنون المنصورون بالله والناصـرين لدينـه المصلحون في الأرض)). للاطلاع على المزيد من أخبارهم راجع: طه الوالي، القرامطـة أول حركة اشتراكية في الإسلام, دار العلم للملايين, بيروت, 1981م, ص: 25 – 26 وما بعدها.

[3] العتبي, تاريخ 312/2.

[4] أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك, الأديب النحوي, الواعظ الأصفهاني, أقام بالعراق مدة يدرس العلم, ثم توجه إلى الرّي فسعت به المبتدعة, فراسله أهل نيسابور, والتمسوا التوجه إليهم, ففعل, ولما استوطنها ظهرت بركاته مع جماعة المتفقه, وبلغت مصنفاته في أصـول الفقـه والـدين ومعاني القرآن قريباً من مائة مصنف. انظر: ابن خلكان وفيات, 4 / 72.

التخلص منه, فدسوا له السُم وهو في طريقه إلى نيسابور, فمات سنة 406هـ / 1015م, وما ذاك إلا نموذجاً واحداً لسياسة الكّرامية التعسفية ضد العلماء والفقهاء من أهل نيسابور[1].

استمرت الحال على ذلك المنوال سنين عديدة, لا مطمع لأحد في تبديل شكلها, وتحويل فادح الحال عن أهلها, إلى أن اتفق أن حج القاضي صاعد بن محمد[2] فحملّه الخليفة القادر بالله رسالة إلى السلطان محمود, فبينما كان في مجلسه إذ ورد ذكر الكّرامية, فصارحه القاضي صاعد ببعض آراءهم في التجسيم, وأن الله تعالى, له حد ونهاية من تحته, والجهة التي يلاقي منها عرشه, فاستنكر السلطان هذا, واستحضر أبا بكر وواجهه بما ذكره صاعد فأنكره[3].

لم يكتفِ السلطان محمود بمواجهة أبي بكر بن إسحاق مع صاعد بل أحالهما إلى قاضيه ابي محمد الناصحي[4], ولما مثلا بين يديه اتهم أبو بكر بن إسحاق, القاضي صاعداً بالاعتزال, لكن الناصحي كشف حقيقة الكّرامية للسلطان, وقد تدخل حينئذ, أبو المظفر نصر بن سبكتكين وشهد ببراءة القاضي صاعد مما نسب إليه, مؤكداً للحاضرين أنه ما زال رائداً للمذهب الحنفي في نيسابور, فوثق السلطان فيما قاله[5].

ونتيجة لذلك عزل السلطان أبا بكر الكّرامي عن رئاسة نيسابور, واسندها إلى أبي علي الحسن بن محمد بن العباس أحد قادته, فصادر أموال الرشا ونفى الكّرامية إلى بعض القلاع, كما أمر السلطان محمود عّماله في أنحاء البلاد القيام بتطهير المدارس والمساجد من أصحاب الكّرامية, وألا يجعلوا لهؤلاء مكاناً بينهم, إلا من تاب ورجع إلى الله, وتخلى عن أفكار بدعة الكّرامية فإنه يُخلى سبيله[6].

هكذا كانت نهاية الكَرامية، في مدينة نيسابور خاصة، وأقاليم الدولة الغزنوية عامة، حبسا وعزلا، ومصادرة أموال، بعد أن استأثروا بالسلطة في نيسابور، واستغلوا عطف السلطان عليهم فأساءوا التصرف واستبدوا ونشروا الفساد، وظلموا الناس، وحاربوا أهل المذاهب السنية، بكل ما أتيح لهم من وسائل، وهم يكتمون آراءهم، ويتظاهرون بالزهد، والورع، حتى خفي أمرهم على السلطان نفسه.

---

[1] المصدر نفسه, 4 / 272, العمادي, خراسان, ص: 276.

[2] أبو العلاء, النيسابوري, الاستوائي, نسبة إلى قرية استواء بنيسابور, تولى قضاء نيسابور مدّة, عُزل وولى مكانه أبو الهيثم عتبة, كان عالماً فاضلاً, صدوقاً, أنتهت إليه رئاسة الحنفية بخراسان في زمانه, توفي سنة 432هـ/1040م. انظر ترجمته: الخطيب البغدادي, أبو بكر أحمد بن علي, تاريخ بغداد, تح: مصطفى عبد القادر عطا, منشورات محمد علي بيضون, دار الكتب العلمية, بيروت, 1417هـ/1997م, 345/9. الزركلي، الأعلام, 187/3.

[3] العتبي, تاريخ, 2 / 314 – 318.
BOSWORTH: THE DHAZNARIDS. P:196.
العمادي, خراسان, ص: 277.

[4] عبد الله بن الحسين, قاضي القضاة, وإمام المسلمين وشيخ الحنفية في عصره, ولي القضاء, للسلطان محمود وكان له مجلس في النظر والتدريس والفتوى والتصنيف, فكان ورعاً مجتهداً, توفي سنة 447هـ / 1055م. العتبي – شرح المنيني– تاريخ, 2 / 315.

[5] العتبي, تاريخ, 321/2 – 325, العمادي, خراسان, ص : 277.

[6] العمادي, خراسان, ص: 277.

جـ- محاربته للفرق والطوائف الدينية المناوئة للمذهب السُني :

سيطرت المؤثرات الدينية على حياة السلطان محمود وسلوكه، منذ نشأته الأولى، فقد تأثر بالسلوك الجديد لوالده، تمشيا وراء رغبة الأمراء السامانيين في بلاد ما وراء النهر، الذين حرصوا على نشر الوعي الديني والثقافي في أرجاء المشرق، ويتجلى ذلك باهتمامهم في بناء المساجد والمعاهد والمدارس المختلفة لتحقيق تلك الرغبات لدى السامانيين في نشر الإسلام والوعي الديني، كل هذه التقاليد الدينية كانت وراء تأثر السلطان محمود بها، وإظهاره بمظهر ينزع إلى التدين، وقادته رغبته للعلوم والمعرفة إلى الاتصال المستمر بكل العلماء والفقهاء في زمانه، حيث أظهر حرصا شديدا للاستفادة منهم، وبحكم هذه الممارسة أصبح سلطانا عالما ومثقفا[1].

تزامن اعتلاء السلطان محمود عرش الدولة الغزنوية؛ مع تولي الخليفة القادر بالله العباسي على السلطة في بغداد، لتلتقي طموحات الزعيمين في نصرة الإسلام (السُني) ومحاربة الشيعة[2] وبقية الفرق الأخرى، كالإسماعيلية[3] والقرامطة والروافض[4]، والمعتزلة[5] والجهمية[1] وغيرها.

---

[1] الجوارنة، أحمد: جهود السلطان محمود الغزنوي في نشر الإسلام السُني في أواسط آسيا، إيران، أفغانستان، والهند، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مج11، ع2، جامعة مؤتة، ذو القعدة 1416هـ/نيسان1996م، ص: 131،128.

[2] هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه، القائلين بإمامته وخلافته نصا ووصية، وهم يعتقدون أن الإمامة لا تخرج من أولاده، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء، والأئمة، وجوبا عن الكبائر والصغائر انظر: الشهر ستاني، الملل، 169/1 وما بعدها.

[3] فرقة جعلت الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق، ثم لابنه إسماعيل، واعترضوا على انتقالها لأخيه؛ لأن الإمامة لا تنتقل من الأخ إلى أخيه، ومن معتقداتهم الرمز بالأعداد للمعاني الباطنية، ووجود الأئمة الظاهرين والمستورين وجعلوا محمد بن إسماعيل السابع التام من الظاهرين، وبه يبتدأ المستورون الذين يسيرون في البلاد سرا، ويظهر للدعاة جهرا، ثم يظهر عبد الله المهدي بعد المستورين، وينشط حتى استطاع أن يؤسس الدولة الفاطمية. لمزيد من التفاصيل راجع: الشهر ستاني، الملل، 1/ 191 وما بعدها.

[4] افترقت أصنافا كثيرة، والسبئية منهم أظهروا بدعتهم في عهد الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فاعتبروا علي هو الإله، فأحرق علي قوما منهم، وهذه الفرقة ليست من فرق أمة الإسلام،لتسميتهم عليا إلهاً.انظر البغدادي،الفرق،ص:233وما بعدها.ومن خصائص أصحاب هذا المذهب القول بالغيبة الرجعة والبدء والتناسخ،والحلول والتشبيه.الشهر ستاني,الملل،ص: 174.

[5] نشأت في العصر الأموي، لكنها شغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي ردحا طويلا من الزمن، ويختلف العلماء في وقت ظهورها، فبعضهم يرى أنها ابتدأت في قوم من أصحاب علي (رضي الله عنه) اعتزلوا السياسة وانصرفوا إلى العبادة؛ عندما تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان. والأكثرون يرون أن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري وهو صاحب مبدأ المنزلة بين المنزلتين، وسموا بهذا الاسم بعد ذلك. وهم فرق عديدة يشتركون جميعا في مبادئ خمسة هي: القول بالتوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: أبو زهرة، الإمام محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م، ص: 124-125 وما بعدها.

ونتيجة لتعدد تلك الفرق والطوائف المناوئة للمذهب السُني في إقليم المشرق شن السلطان محمود حربا على أهل البدع والأهواء جميعا، بوصفه غيورا على السُنة، بدأها بمحاربة دعاة الفاطميين في بلاد المشرق الإسلامي، ففي سنة 402هـ/1001م قدم ابن التاهرتي أحد الدعاة الفاطميين؛ بهدف دعوة السلطان سرا إلى مذهب الباطنية[2]، فلما وقف السلطان على سر ما دعاه إليه، وعلم بطلان ما أرسل من أجله أمر بقتله، وأهدى بغله الذي كان يمتطيه إلى القاضي أبي منصور محمد بن محمد الأزدي شيخ هراة، وقال : كان يركبه رأس الملحدين، فليركبه رأس الموحدين[3].

أمر السلطان محمود عماله على الأقاليم بمضايقة هؤلاء الدعاة،محاولا استئصال شأفتهم، فنكّلوا بهم وقبضوا على كبير الدعاة الفاطميين وهو أبي القاسم الحسن بن علي الملقب بـ:(دانشمند) في مدينة نيسابور وأرسلوه إلى غزنة وهناك لقي حتفه[4].

ونتيجة لهذه السياسة المتشددة تجاه دعاة الفاطميين وأنصارهم في بلاد المشرق الإسلامي،حاول الفاطميون في مصر استمالة السلطان إليهم،ودعوته إلى اعتناق مذهبهم بشتى الطرق ليخففوا من وطأته على أنصارهم من الإسماعيلية، إلا أنه رفض كل المحاولات فاتجهت الدولة الفاطمية إلى اتباع سياسة مرنة، فطفقت ترسل الوفود تترا إلى بلاط غزنة محمّلة بنفيس الهدايا والأموال الكثيرة لإغراء السلطان بها[5].

ففي سنة 403هـ/1012م أرسل الحاكم بأمر الله الفاطمي[6](386-411هـ/996-1020م كتاباً إلى السلطان محمود؛ بغية استمالته للدخول في طاعته، فلما وصل هذا الكتاب إلى يد السلطان خرقه وبصق في وسطه، ثم أرسله إلى الخليفة العباسي القادر بالله في بغداد، معلناً طاعته وولائه للخلافة العباسية، ومساندته للمذاهب السنّية في بلاد المشرق[7].

---

[1] هم أتباع جهم بن صفوان، الذي قال بالإجبار، والاضطرار في الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن الإيمان هو معرفة الله تعالى فقط، والكفر هو الجهل به فقط، وادعى أن علم الله حادث، وامتنع عن وصف الله بأنه شيء أو حي أو عالم أو مريد. راجع: البغدادي، الفرق، ص: 186.

[2] سمّوا بهذا الاسم لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنٌ، ولكل تنزيلٍ تأويل، ويُسمون أيضا؛ القرامطة، والمزدكية والتعليمية والملحدة. راجع: الشهر ستاني، الملل، 228/1-229.

[3] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 291، ابن السبكي، طبقات، 320/4، الهروي، طبقات، 28/1، بدر عبد الرحمن محمد: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1410هـ/1989م، ص: 166.

[4] البغدادي، الفرق، ص: 175 – 176.

[5] الجوارنه، جهود السلطان، ص: 132.

[6] أبو علي منصور بن العزيز بالله المعز العبيدي الفاطمي، المغربي الأصل، المصري المولد والدار والمنشأ، ثالث خلفاء العبيديين بمصر، ولد سنة 375هـ/985م، وبُويع بالخلافة بعد وفاة أبيه 386هـ/996م، استمر خليفة للفاطميين حتى وفاته سنة 411هـ/1020م. للاطلاع على المزيد من أخباره راجع: ابن تغري بردي، النجوم، 177/4-198.

[7] المصدر نفسه، 4 / 232.

كما أرسل الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي[1](411-427هـ/1020-1035م) إلى السلطان خلعه ثمينة، وكتاباً يدعوه فيه للدخول في دعوته، وإقامة الخطبة باسمه على منابر بلاده، فلما وصل الكتاب والخلعة إلى غزنة سنة 415هـ/1024م، استنكر السلطان ذلك، ورفض أن يقبلها، أو أن يدخل في طاعته، حرصاً على علاقته بدار الخلافة العباسية، وحماية لدعوة أهل السنّة والجماعة؛ لهذا قرر سنة416هـ/1025م، أن يرسل الكتاب والخلعة إلى دار الخلافة ببغداد، مظهراً براءته مما دُعي إليه، وفي بغداد جمع الخليفة القادر بالله الأشراف والجند، وبعض العلماء، وأضرم النار وألقيت الثياب فيها، وتصدّق بالمال على فقراء بني هاشم، ولمّا علم الظاهر بذلك؛ غضب غضباً شديداً، وكفَّ عن مكاتبة السلطان محمود بعدها[2].

وحينما استولى السلطان محمود على إمارة خوارزم سنة 408هـ/ 1017م، وكان بعض أهاليها قد استجابوا لدعوة الحاكم الفاطمي، قتل من وجد بها من دعاة الفاطميين. وكان القضاء على الباطنية أحد دوافع السلطان محمود لقصد بلاد الملتان في بلاد الهند، التي كانت بيد والٍ من الإسماعيلية، يدعى: أبو الفتوح، وهو من بقايا الفاتحين الأوائل الذين استقروا بالسند، وكان يعتنق المذهب الباطني، ويدعو إليه، فاستولى السلطان محمود على هذه المدينة، وأسقط دعوة الباطنية، وقتل من أصحابها عدداً كبيراً، وبذلك أعاد المُلتان إلى حظيرة المذهب السُني[3].

استخدم السلطان أيضا الجواسيس في كشف المستترين من أفراد هذه الفرق والطوائف، فقد بلغه أن قوما بخراسان ينتحلون دعوة الباطنية، المنسوبة إلى صاحب مصر، فأمر بوضع العيون عليهم، وإلصاق الطلب بهم، وعثر الجواسيس على سفير صاحب مصر، ثم توصلوا من خلاله إلى معرفة أتباعه في تلك الناحية وحملوهم إلى العاصمة غزنة وبها قتلوا[4].

وعندما استتاب الخليفة العباسي القادر بالله؛ المعتزلة سنة 408هـ/1017م، وأظهروا الرجوع، وتبرأوا من الاعتزال، ونهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض، وكل المقالات المخالفة للمذاهب السّنية، وأخذ عليهم التزامات خطّية بذلك، وأنهم متى خالفوه حلّ بهم من النكال والعقوبة، ما يتعظ به أمثالهم، أرسل إلى السلطان محمود يأمره ببث سنته هذه في جميع الأقاليم التابعة للدولة الغزنوية، فامتثل السلطان لسياسة العباسيين، القاضية بمحاربة الفرق والطوائف الدينية المناوئة لأهل السنّة والجماعة، ونكّل بالمعتزلة والرافضة والإسماعيلية والقرامطة والجهمية

[1] أبو هاشم وقيل أبو الحسن، علي بن الحاكم بأمر الله العبيدي الفاطمي، رابع خلفاء العبيد بمصر، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة 411هـ/1020م، واستمر في الحكم حتى وفاته سنة 427هـ/1035م للمزيد عن حياته وأخباره: راجع: المصدر نفسه، 4/447-454.

[2] ابن تغري بردي، النجوم، 4/251.

[3] العتبي، تاريخ، 2/72، الرفاعي، محمد عبد الحميد إبراهيم: الدولة الغزنوية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1395هـ/1975م، ص: 161.

[4] المرجع نفسه، ص: 161.

والمشبّهة[1]، وصلبهم، وحبسهم، ونفاهم، وأمر بلعنهم على منابر المسلمين، وأبعد علماء أهل البدع والأهواء، وطردهم من المدارس والمعاهد والمساجد، في كل أنحاء البلاد التابعة لسلطانه، وصار ذلك الأمر سنّة في الإسلام[2].

وفي الوقت نفسه بدأ السلطان محمود سياسة دينية متشددة إزاء الشيعة البويهيين في فارس (الري – همذان[3] – وأصبهان) والفرق والطوائف الدينية الأخرى التي اتخذت من هذه المدن مراكز لها، ففي سنة 420هـ/1029م، ضم بلاد الرّي وهمزان وأصبهان إلى أملاك دولته، ونكّل بأصحاب الأهواء المارقين على الدين الإسلامي، وصلب من أصحاب الباطنية عدداً كبيراً، ونفى المعتزلة إلى خراسان، وأحرق كتب الفلاسفة، ومذاهب الاعتزال والرفض، وأخذ إلى غزنة بعض الكتب النافعة، التي لا تتناقض وروح الإسلام الحنيف؛ بهدف الاطلاع عليها والإفادة منها[4].

وخلاصة القول، إن السلطان محموداً، بذل جهوداً واسعة؛ في سبيل نشر المذهب السنّي في إقليم المشرق الإسلامي، متخذاً لتحقيق ذلك الهدف كل الوسائل الممكنة، لقمع الفرق والطوائف من المبتدعة أصحاب الأهواء، المناوئين لمذهب أهل السنّة والجماعة، فجزاهُ الله عن الدين، والسنّة المشرفة خير الجزاء.

---

[1] تتكون من عدة فرق، وعلى العموم فان مبادؤهم صنفان: صنف يشبه ذاته بغيره من الذوات، وصنف آخر يشبه صفاته بصفات غيره، وأول من أفرط في التشبيه من هذه الأمة؛ السبئية من الروافض، الذين قالوا بألوهية الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه). راجع البغدادي، الفرق، ص: 225.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، 287/7.

[3] مدينة مشهورة من مدن الجبال. القزويني، آثار، ص: 483.

[4] الكرديزي, زين الأخبار, ص313.

الفصل الثالث

السياسة الخارجية للسلطان محمود الغزنوي:

1- علاقته مع الدولة القراخانية
2- علاقته مع البويهيين
3- علاقته مع السلاجقة
4- علاقته مع دار الخلافة العباسية

1- علاقته مع الدولة القراخانية :

من هم القراخانيون ؟

ينسب القراخانيون على الأرجح إلى قبائل القارلوق التركية[1]، التي تقيم على حدود البلاد الإسلامية؛ إلى الشرق من مدينة طراز[2]، واتخذت من هذه المدينة قاعدة لها[3].

لم يُدوّن تاريخ صحيح وواضح عن هذه الأسرة وما ذكر عنها في كتب التاريخ ضعيف وناقص ومتناقض، ولا يتفق فيه اثنان، والظاهر أنَّهم اعتنقوا الإسلام بعد أن تَمَّ اتحادهم مع قبائل الأتراك؛ في شرقي فرغانة، وذلك في مطلع القرن الرابع الهجري، واتخذوا من مدينة كاشغر[4]مقرّاً لحكمهم[5]، ويعود الفضل في اعتناقهم الإسلام إلى الحملات العسكرية التي قام بها السامانيون على تركستان الشرقية[6]، وتدل بعض المصادر على أنَّ المدارس التي كانت في خراسان وبلاد ما وراء النهر في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، لعبت دوراً مهماً في نشر الإسلام، وكانت هذه المدارس مستقلة عن تدبير الحكومات وسياساتها، بمعنى أنَّ الدعوة إلى الإسلام عبر هذه المدارس كانت أكبر نجاحاً في آسيا الوسطى منها في أيّ مكان آخر[7].

وعلى الرغم من ظهور ولايات صغيرة لهم، متفرقة في هذه المناطق، إلا أنَّ قيام دولة قراخانية قوية، بالمعنى المفهوم، إنَّما يرجع تاريخه إلى اضمحلال الدولة السامانية، والظاهر أنَّ (بغراجان)[8] كان أوّل من وحّدهم ولَمَّ شتاتهم، وهو الذي فتح بخارى سنة 383هـ/993م[9]، وقد خلفه أيلك خان[10](388-403هـ/999-1012م)، الذي قاد الحملة العسكرية القراخانية التي قضت على الدولة السامانية في ما وراء

---

[1] بارتولد، فاسيلي فلاديمير: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، مراجعة: إبراهيم صبري، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1959م، ص: 73، 76.

[2] بلد قريب من اسبيجاب من ثغور الترك. الحموي، البلدان، 27/4.

[3] النرشخي، تاريخ بخارى، ص: 123.

[4] مدينة تقع على طريق سمرقند في وسط بلاد الترك. الحموي، البلدان، 430/4.

[5] بارتولد، تاريخ الترك، ص: 73، لين بول، الدول الإسلامية، ص: 273.

[6] للإطلاع على مزيد من التفاصيل حول انتشار الإسلام داخل مناطق الدولة القراخانية انظر: الطبري، تاريخ607/5،النرشخي،تاريخ بخارى،ص:123،بارتولد:تاريخ الترك، ص: 57-59.

[7] بارتولد، المرجع نفسه، ص: 58.

[8] شهاب الدولة هارون بن سليمان ايلك المعروف بـ (بغراخان) كان يحكم من كاشغر إلى حدود الصين، بما في ذلك بلاساغون، مرض أثناء حملته على بخارى، ومات عند خروجه منها سنة 383هـ/993م، وكان ديناً خيراً عادلاً، حسن السيرة، محباً للعلماء وأهل الدين، راجع: ابن الأثير، الكامل، 460/7.

[9] ابن الأثير، الكامل، 458/7، مستوفي قزويني، تاريخ كزيده، ص: 153. القلقشندي، أحمد بن علي: مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فرج، الكويت، 1994م، 330/1.

[10] نصر بن علي بن موسى بن ساتوق عبد الكريم بغراخان، كان، شريكا مع أخيه الملك طغان خان في حكم الدولة القراخانية، وقد توفي سنة 403هـ/1013م، وكان خيرا عادلا، محباً للدين. راجع: ابن الأثير، الكامل، 189/7.

النهر سنة 389هـ/999م، وكان هذا إيذانا بحلول الدولة القراخانية مكانها في هذه المنطقة[1].

والحقيقة التي يمكن إدراكها، أن هذه الدولة لم تكن في أي وقت في يد شخص واحد، حيث يكون للدولة حاكمان في وقت واحد؛ الخان الكبير والخان الشريك، فالخان الكبير يقيم ويتولى إدارة الجزء الشرقي من الدولة، في حين يدير الخان الشريك الجزء الغربي منها[2]، وهذا ما يفسر سر الخلافات والاضطرابات التي عصفت بالدولة من حين إلى آخر، كما أن هذا الوضع ساعد الغزنويين أولا والسلاطين السلاجقة ثانيا، على مد نفوذهم إلى ممتلكات الدولة القراخانية.

عندما حلّت الدولة القراخانية محل الدولة السامانية في حكم بلاد ما وراء النهر، اعتباراً من سنة 389هـ/999م، كانت الدولة الغزنوية من أقرب الدول الإسلامية المجاورة لها، لذا فقد سعى أيلك خان إلى توثيق علاقاته السياسة بهذه الدولة وسلطانها يمين الدولة محمود، فأوفد سنة 390هـ/1000م سفارة إلى حضرة السلطان في غزنة، كانت مهمتها أولا: تقديم التهاني للسلطان محمود؛ بمناسبة اعتلائه العرش، وسيطرته على خراسان ونيل ثقة دار الخلافة واعترافها، وثانيا: العمل على توطيد العلاقة بين الطرفين الغزنوي والقراخاني، من خلال ربط الأسرتين برباط المصاهرة، وثالثا : الاتفاق على اقتسام مناطق نفوذ الدولة السامانية المنهارة بينهما؛ بحيث تكون بلاد ما وراء النهر تابعه للدولة القراخانية، وتبقى خراسان من نصيب الدولة الغزنوية، بمعنى أن نهر جيحون هو الحد الطبيعي الفاصل بين المملكتين[3].

رحب السلطان محمود بدعوة أيلك خان إلى عقد معاهدة صداقة وحسن جوار بين الطرفين (الجارين) وربطهما برباط المصاهرة، والتوقيع على اتفاقية الحدود بينهما، فبادر بإرسال وفدٍ من قبله إلى اوزكندا[4] مقر إقامة ايلك خان وقتذاك، وقد ضم هذا الوفد، أبا الطيب سهل بن محمد الصعلوكي[5] إمام أهل الحديث بنيسابور، وطغانجق والي سرخس، وحمّلهما هدايا نفيسة لا حصر لها، وصفها العتبي[6] بقوله: ((...واصحبه ما عّدا الحد، والعد؛ من سبائك العقبان، ويواقيت الهرمان، وعقائل الدر والمرجان وتخوت الوشي والحبر، ونوادر البدو والحضر، وجوافي الذهب مملؤة من بيضات العنبر، وأواني الفضة، منضودة بشمامات الكافور، وغير ذلك من شارات الهنود، وقطاع العود، وذكور النصول، وإناث الفيول... وقرن ذلك كله بأموال على سبيل الألطاف، تغمر ذوائب الألطاف)).

---

[1] العتبي، تاريخ، 350/1. الكرديزي، زين الأخبار، ص: 279.

[2] لين بول، الدول الإسلامية، ص: 273، المحيمد، علي بن صالح، العلاقات السياسية بين الدولة القراخانية والدولتين الغزنوية والسلجوقية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع20، الرياض، رمضان 1418هـ، ص: 322.

[3] العتبي، تاريخ، 26/2–27،الكرديزي، زين الأخبار، ص:281،ابن خلدون، تاريخ، 441/4. ميرخواند، روضة الصفا، ص: 136.

[4] بلد في ما وراء النهر، من نواحي فرغانة. الحموي، البلدان، 280/1.

[5] راجع ترجمته في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

[6] تاريخ، 28/2–29.

وصل الإمام أبو الطيب إلى بلاد ما وراء النهر، وبالغ الترك في تعظيمه وتبجيله، وأمضى أعضاء هذه السفارة أياماً، في أوزكند، تمكنوا خلالها من إتمام خطبة كريمة ايلك خان، التي كان السلطان محمود قد كلفهم بخطبتها نيابة عنه، ثم عاد الوفد محملاً بمجلوبات الترك من نقر المعادن، ونوافج المسك، وطرائف الصين وغير ذلك[1].

استقرت الأوضاع، وحُسنت العلاقة بين السلطان محمود وصهره أيلك خان، وظل الوفاق بينهما قائماً، حتى افسد الوشاة ذات البين، وكتم أيلك خان ما في نفسه، حتى لاحت له فرصة غزو السلطان محمود إقليم الملتان[2] سنة 396هـ/1002م، فاغتنم ايلك خان خلو خراسان من جيوش السلطان، عدا حامية بسيطة في مدينة هراة، فأقدم على توجيه حملتين عسكريتين : الأولى بقيادة سباشي تكين قائد جيشه، كانت مهمتها السيطرة على خراسان، وقد استولت على هراة ونيسابور، في حين أسند قيادة الحملة الثانية إلى أخيه جعفر تكين، ومهمتها مهاجمة بلخ العاصمة الثانية للدولة الغزنوية، ويُعدّ ذلك الحدث بداية للصدام العسكري بين الدولتين الغزنوية والقراخانية. والحق أنَّ قوات القراخانية لم تُجدِ أدنى مقاومة من الحامية الغزنوية الموجودة في هراة، بقيادة والي طوس أرسلان الجاذب؛ لأنها مأمورة بالانسحاب من قبل السلطان إلى غزنة، بهدف الدفاع عن العاصمة، وإبلاغ السلطان بأيّ طارئ، كما أن القوات القراخانية قد تلقت مساعدة من قبل بعض أعيان خراسان، وسهّلوا لهم مهمة السيطرة على المدينة[3].

كشف هذا العمل العسكري الأطماع القراخانية المبيّتة للسيطرة على خراسان، وأعطى تأكيدا بأنَّ الدولة القراخانية لم تكن أساساً مقتنعة بالاتفاق السابق، الذي أبرمته مع السلطان محمود عشية سيطرتها على بلاد ما وراء النهر، وسقوط الدولة السامانية، ويبدو أن ايلك خان جنح إلى الاتفاق بهدف إعطاء قواته قسطاً من الراحة، حتى تتمكن هذه القوات من تثبيت أقدامها في بلاد ما وراء النهر[4].

وصل خبر اجتياح القوات القراخانية لممتلكات الدولة الغزنوية إلى مسامع السلطان محمود، وهو في المراحل الأخيرة لفتح الملتان، فقرر الانسحاب بقواته على الفور، ولمَّا أقترب من غزنة فرّق الأموال على جنوده، وحرضهم على القتال، مستنفراً الأتراك الخلجية، وجهّز فرقتين من جيشه، تولى قيادة إحداهما وأسند قيادة الاخرى إلى واليه على طوس أرسلان الجاذب، ثم سار نحو بلخ وبها جعفر تكين، فهرب منه الأخير إلى ترمذ، واستعاد السلطان سيطرته على بلخ، وأرسل قائده ارسلان الجاذب لطرد سباشي تكين من هراة، وعندما اقتربت الجيوش الغزنوية منه، لاذ بالفرار إلى مرو فقاتله التركمان فهزمهم، لكنه سار عنها إلى ابيورد، فتبعه ارسلان الجاذب، فخرج منها قاصداً جرجان، ولم يستطع دخولها، فعدل عنها قاطعاً المفازة نحو مرو، وكان السلطان قد انحدر إلى طوس، منتظراً ما ستسفر عنه مطاردته، وعندئذ أمر السلطان؛ محمد بن

---

[1] المصدر نفسه، 30/2-31.ابن خلدون، تاريخ، 441/4، ميرخواند: روضة الصفا، ص: 136. بارتولد، تركستان، ص: 411.

[2] إحدى ولايات بلاد الهند، على سمت غزنة. الحموي، البلدان، 227/5.

[3] العتبي، تاريخ، 76/2-77، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 287، ابن الأثير، الكامل، 542/7-543، المحيمد، علاقات، ص: 327.

[4] المحيمد، علاقات، ص: 327.

إبراهيم الطائي زعيم العرب وأحد كبار قادته، بأن يعترض طريق سباش تكين، وفعلاً أحاطت الجيوش الغزنوية به، فدخل معهم في معركة شرسة، انتهت بانتصار حاسم للقوات الغزنوية التي تمكنت من أسر أخي القائد القراخاني سباشي تكين، بالإضافة إلى (700) من كبار رجاله، وسيق الأسرى إلى غزنة، في حين عبر سباشي تكين مع عدد قليل من أتباعه نهر جيحون[1].

لم يستقر لأيلك خان – مع ذلك – قرار فأرسل رسالة استغاثة إلى قدرخان (ت : 423هـ/1032م) ملك الختن، طالباً منه المساعدة، فاستدعى قدرخان جيشه من أقصى الممالك[2]، وبذلك اجتمع جيشا تركستان وما وراء النهر، واجتمع الزعيمان، وقررا محاربة السلطان محمود،فتقدما نحو خراسان بجيش وصفه العتبي[3] بقوله:((... عراض الوجوه، خزر العيون، فطس الأنوف، خفاف الشعور، حداد السيوف، سود الثياب من حلق الدروع، يحملون جعاباً كخراطيم الفيول ...)).

استعد السلطان محمود للدفاع عن ممتلكاته، فطفق يجمع الجيوش من الترك والهنود والخلج والأفغانية، وكان تقسيم جيشه على النحو التالي : أسند مهمة القلب إلى أخيه نصر بن سبكتكين، وأبي نصر الفريغوني حاكم الجوزجاني وأبي محمد بن إبراهيم عبد الله الطائي، وولّى أمر الميمنة حاجبه الكبير القونتاش؛ وجعل على الميسرة إلى أرسلان الجاذب، وقد حصّن الصفوف بنحو خمسمائة فيل.

أما تقسيم الجيش القراخاني، فقد وقف ايلك خان بنفسه على قلب جيشه، وعين قدر خان ملك الختن على ميمنته، وأعطى الميسرة لأخيه جعفر تكين، والتقى الجمعان في موضع يعرف بـ (قنطرة جرخيان) بالقرب من بلخ سنة 397هـ/1007م[4]، واشتبك الطرفان في معركة قوية وحاسمة، أبدى فيها القراخانيون شجاعة فائقة، وكادوا يحرزون النصر على القوات الغزنوية، حتى ليقال إنَّ السلطان محمود من هُول تلك المعركة؛ نزل عن دابته وعفّر وجهه في التراب تواضعاً لله تعالى، وسأله النصر والظفر، ودعا أن يحرس ملكه من الأعداء، ثُمَّ حمل بنفسه ومعه مجموعة كبيرة على قلب أيلك خان، فأزاحه عن مكانه وفرّق جمعه، وشاعت الهزيمة في صفوفه، وتبعهم أصحاب السلطان يقتلون ويأسرون ويغنمون، إلى أن عبروا نهر جيحون، يجرون أذيال

---

[1] العتبي، تاريخ، 2/77–81، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 287، ابن الأثير، الكامل، 7/543، النويري، نهاية الأرب، 42/26، ميرخواند: روضة الصفا، ص: 137–138.

[2] ابن الأثير، الكامل، 7/545.

[3] تاريخ، 2/83–84.

[4] العتبي، تاريخ، 2/84، 85، 216. ابن الأثير، الكامل، 7/545، ابن خلدون، 4/442، ميرخواند، روضة الصفا، ص: 139. غير أن الكرديزي قد اختلف مع هؤلاء في تحديد زمان ومكان حدوث تلك المعركة، حيث أشار إلى أنها وقعت في 22 ربيع الآخر سنة 398هـ/16 يناير 1008م، وذلك في صحراء كتر ولم يحدد بشكل دقيق موقع هذه الصحراء. _زين الأخبار، ص: 288.

الهزيمة، وقد أسهب المؤرخون[1] في وصف تلك الحرب، وأكثر الشـعراء فـي تهنئـة السلطان محمـود بهـذا النصر الكبير الحاسم، منهم الشاعر أبو القاسم الحسن بن عبد الله المستوفي، الذي انشد قصيدة طويلة كان مطلعها[2]:

ظهـر الحـق ثابـت الأركـان	**سـاعد النجم عالـي البيـان**
وهو للردى ذو والنكث والبغى	**وأهـل الضـلالة والطغيـان**
ما الذي غرّكم بمحمود المحمود	**أنحـاءه بكـل مكـان**
بأبي القاسم المعظم ظـل الله	**في الأرض صـفوة المنّـان**

تُعد هذه المعركة من المعارك الفاصلة في تاريخ الصراع بين الدولتين الغزنوية والقراخانية، فقد وضعت حداً للأطماع القراخانية في خراسان على أقل تقدير خلال عهد السلطان محمود، كما نبّهت هذه المعركة السلطان محموداً إلى ضرورة أخذ الحيطة والحذر، وعدم الوثوق في جيرانه، وأدرك بفضلها أنَّ عليه ترك قوة عسكرية كبيرة من جيشه ترابط في خراسان، مهمتها الدفاع عن الحدود الغربية للدولة. وفي الوقت نفسه فقد أحدثت هذه الحرب انقساما كبيرا في صفوف القراخانيين، تجسّد ذلك عندما اعترض الملك أحمد طغان خان[3] (388-408هـ/998-1012م) على سياسة أخيه أيلك خان العدائية تجاه السلطان محمود الغزنوي[4].

أرسل الملك طغان خان الرسل،، وسلمهم كتابا إلى السلطان محمود، أكّد فيه عـدم ارتياحه، وبراءته مما فعله أخوه، من نقض الصلح المبرم ومهاجمة أمـلاك السـلطان محمود، مُقدِّماً اعتذاره عما بدر من أخيه، وأعلن أنّه على العهد والوفاء الذي قطعه[5].

غضب أيلك خان من موالاة أخيه طغان للسلطان، وقرر الانتقام منه، فسار نحـوه سنة 410هـ/1011م في جيوش كبيرة، فلما بلغ حدود اوزكند، تساقطت الثلوج علـى جيشه، فأجبرته على التراجع عما نواه إلى مقر حكمه في سمرقند[6].

وعندما ذابت الثلوج في فصل الربيع من العام نفسه، خرج أيلك خان وأشياعه من سمرقند عازما تأديب أخيه، ونشب القتال مرة أخرى بين الأخوين، وبعـث كـل منهمـا سفيرا إلى غزنة؛ بهدف كسب تأييد السلطان محمود، فلما وصل الرسولان إلى غزنـة،

---

[1] راجع: العتبي، تاريخ، 84/2-86، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 283-289، ابـن الأثيـر، الكامل، 545/7، ابن خلدون، تاريخ، 441/4-442، النـويري، نهايـة الأرب، 43/26-44، ميرخواند، روضة الصفا، ص: 139.

[2] العتبي، تاريخ، 87/2-90.

[3] طغان خان احمد بن علي بن موسى بن عبد الكريم ساتوق بغراجان، انفرد فـي حكـم الدولـة القراخانية بعد وفاة أخيه أيلك خان سنة 403هـ/1012م، وظـل يحكـم حتـى وفاتـه سـنة 408هـ/1017م، وكان عادلا خيرا، دينا، محباً للعلم وأهله، حيث كان يصلهم ويقـربهم إلـى مجلسه. ابن الأثير، الكامل، 442/7-443.

[4] المصدر نفسه، 571/7.

[5] العتبي، تاريخ، 128/2، ابن خلدون، تاريخ، 444/4. ميرخواند، روضة الصفا، ص: 143.

[6] العتبي، نفسه، 19/2، ابن الأثير، الكامل، 571/7، أبو الفدا، المختصـر، 139/1. المحيمـد، علاقات، ص: 328.

أمر السلطان بأن يجهزوا محفلا لم ير مثله في أيّ زمان، بهدف إظهار قوة السلطان، وعظمة بلاطه، وفي اليوم التالي، استقبل السلطان السفيرين، على هيئة مهيبة، يحيط به حرسه في زي أنيق ومع أن مصلحة السلطان محمود كانت تقتضي وقتذاك استمرار حالة عدم الوفاق القائمة بينهما، إلا أنَّه حرص على تهدئة الموقف، ولزم الحياد بينهما، بل إنَّه أرسل إلى الأخوين رسالة قال فيها: ((إنَّ المحبة الأخوية تقتضي أن تغمدوا سيف الانتقام في غمده، وتقتنعا بما قدره الله لكما من المُلك والمال)) وعندئذ عملا بأمر السلطان، وتصالح الطرفان[1].

حقيقة لم يجد هذا الموقف الإيجابي للسلطان محمود تقديراً من قبل أيلك خان، الذي يبدو أن هزيمته الأخيرة على يد قوات السلطان، ظلت هاجساً مسيطراً عليه، فقد حاول السيطرة على خراسان مرة أخرى، واستعد لذلك سنة 403هـ/1013م، وتحقيقا لذلك الحلم، ضم إليه أخاه طغان خان، واستنجد بابن عمه (قدرخان) حاكم ولاية ختن، وضم إلى جانبه ملك ولاية قصدار – الذي أعلن تمرده وعصيانه – وفي خضم تجهيزاته لتلك الحملة، نزل عليه الحق، وفاضت روحه إلى بارئها وحال ذلك دون مضي قواته إلى خراسان[2].

تولى طغان خان عرش الدولة القراخانية، خلفا لايلك خان، وأتخذ سياسة تختلف عن سياسة أخيه المناوئة للسلطان محمود، حيث أرسل إلى غزنة يعرض الصلح، ويجدد الاتفاقية السابقة، قائلاً: ((المصلحة للإسلام والمسلمين أن تشتغل أنت بغزو الهند، واشتغل أنا بغزو بلاد الترك وان يترك بعضنا بعضا))، فرحب السلطان بذلك، وبذلك خفت حدة التوتر بين الدولتين التي كانت سائدة آنذاك[3]. إلا أن طغان خان حليف محمود المخلص لم يلبث أن توفي سنة 408هـ/1017م، وذلك بعد فترة وجيزة من انتصاره على جيش كبير من الكفار يربو عدده على مائة ألف خركاه (خيمة) انحدروا من بلاد الصين[4].

اعتلى عرش الدولة القراخانية أبو المظفر ارسلان خان الملقب : شرف الدولة[5]، الذي عرُف بتدينه الشديد، وقد سعى هو الآخر – بحسب رواية العتبي[6]– منذ توليه الحكم إلى تحسين العلاقة مع السلطان محمود، مقتفيا أثر أخيه طغان خان، وتجسدت

---

[1] العتبي، نفسه، 129/2–130 وما بعدهما، ميرخواند، روضة الصفا، ص: 144.

[2] ابن الأثير، الكامل، 589/7، الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث 401–410هـ، ص: 18، ابن كثير، البداية، 401/11، المحيمد، علاقات، ص: 329.

[3] ابن الأثير، الكامل، 589/7، مستوفي قزويني، تاريخ كزيده، ص: 398، ابن خلدون، تاريخ، 444/4–445.

[4] العتبي، تاريخ، 219/2–220، الكتبي، أبو عبد الله بن محمد بن شاكر، عيون التواريخ، مخطوط، دار الكتب المصرية، القاهرة، نسخة ميكرو فيلم برقم (345)،50/13.

[5] أبو منصور الأصم قال عنه العتبي: ((ثبت المقام في دين الإسلام، لا تعرف له جاهلية ولا تتقم منه عنجهية ولا عجرفية يقيم الصلوات جماعة ويفترض العدل سمعاً وطاعة)). انظر: تاريخ، 227/2–228.

[6] المصدر نفسه، 228/2 – 129.

علاقة الود والاحترام بينهما، بزواج الأمير مسعود بن السلطان محمود من كريمة الملك ارسلان خان.

على أن ابن الأثير[1] ذكر رواية مخالفة لرواية العتبي، مفادها: أن قدرخان يوسف بن بغراخان ملك بخارى، الذي كان يحكم سمرقند باسم طغان خان، شق عصا الطاعة على ارسلان خان، وأرسل إلى السلطان محمود طالبا منه مَدْ يَدْ العون، وزعم ابن الأثير أنَّ السلطان محمود عبر نهر جيحون على جسر عقده من السفن، إلا أنَّ الخوف قد تملك نفس السلطان، وخشي على نفسه، فقرر الانسحاب من بلاد ما وراء النهر، ثم ما لبث ارسلان خان أن تصالح مع قدرخان، وعقدا بينهما حلفا يهدف إلى مهاجمة أملاك الدولة الغزنوية، وقررا غزو بلخ، فعلم بذلك السلطان محمود واستعد لهما، فدارت بين الطرفين معركة انهزم فيها القراخانيون شر هزيمة، وعبروا جيحون فكان من غرق منهم أكثر ممن نجأ.

وعلى الرغم من هذه التفاصيل التي أوردها ابن الأثير، فإنَّه يمكن القول – على الأرجح– بأنَّ حملة السلطان محمود على ما وراء النهر، والمعركة التي تلت ذلك في بلخ لم تحدث ألبتّة، وإلاَّ فمن العسير تفسير الصمت التام للعتبي (ت : 427هـ) والكرديزي (ت : 444هـ) وهما مؤرخان معاصران لأحداث عصر السلطان محمود هذا فضلا عن أنَّ الأول كان من رجال الديوان والمؤرخ الرسمي للبلاط الغزنوي في عهده، وما يؤخذ أيضا على رواية ابن الأثير أنَّه ساق أحداث عدة سنوات خاصة بالقراخانية بصورة مجتمعة بعضها مع بعض ضمن حوادث سنة 408هـ/1018م، وغدت كأنها حادثة واحدة وقعت جميعها في ذلك العام، ناهيك أنَّه قد ذكر أنَّ يوسف قدرخان كان ملكاً على بخارى، وهذا ليس صحيحاً، لأنَّ بخارى كانت تحت حكم علي تكين،ويبدو أنَّه التبس عليه الأمر، فخلط بينه وبين قدرخان الذي كان ملكا على الختن[2].

وبناء على ذلك فإنَّ الرواية التي سجّلها العتبي عن طبيعة العلاقة بين السلطان محمود الغزنوي والملك القراخاني ارسلان خان هي الأقرب إلى الواقع.

توقفت أطماع القراخانيين – بعد ذلك – في أملاك الدولة الغزنوية الواقعة جنوب نهر جيحون، نتيجة هزائمهم المتكررة، وخسائرهم الفادحة، فقد استولى السلطان محمود على بعض الولايات الواقعة على نهر جيحون أو شماله، مثل : ولاية خوارزم وترمذ وختلان والصغانيان، فقد كان أمله أن يُعترف به حاكما على المشرق الإسلامي كله، وألا يتصل القراخانيون بالخليفة إلا بواسطته[3]، بدليل أنَّه استاء حينما علم أن الخليفة العباسي القادر بالله منح يوسف قدرخان ملك الترك؛ ثلاثة ألقاب، هي : (ظهير الدولة، ومعين خليفة الله، وملك الشرق والصين)، فغبطه على ذلك، وأخذته الغيرة، فطلب من الخليفة مساواته بقدر خان، ومنحه مزيدا من الألقاب، لكن الخليفة لم يجبه إلى طلبه، معللا ذلك بأنه منح الخان ذلك؛ لقلة علمه، ورعاية لشرفه، وأنَّ مكانة

---

[1] الكامل، 643/7.

[2] عن نقد رواية ابن الأثير راجع:بارتولد،تركستان،ص:421،المحيمد،علاقات، ص: 330-331.

[3] بارتولد، تاريخ الترك، ص: 86.

السلطان محمود أرفع، وأنه أكبر من أن يطلب لقباً يجري على ألسنة الناس، فلما سمع السلطان هذا الجواب أسقط في يده، ويقال إنَّه أرسل إلى الخليفة يلتمس عذره[1].

وبينما كان السلطان محمود يقضي شتاء سنة 415هـ/1025م[2] في مدينة بلخ، كان يأتي إليه طوال فترة إقامته المتظلمون من بلاد ما وراء النهر، يشكون إليه ظلم علي تكين حاكم بخارى، الذي ارتكب بحقهم كثيرا من المظالم، وألحق الأذى بكثير من الرعية، فكانت أعمال علي تكين السيئة وظلمه الجائر؛ سببا في حملة عسكرية ضخمة، قام بها السلطان محمود على بلاد ما وراء النهر، بهدف تخليص المسلمين من شر هذا الرجل، وقد صادف ذلك أن السلطان محمود كان حاقداً على هذا الأمير القراخاني؛ لقيامه بقطع الطريق على سفرائه أثناء انتقالهم إلى بعض حكام الدولة القراخانية، وكان علي تكين – في الوقت نفسه – حانقا على السلطان محمود إلى جانب حنقه مع حكام تركستان، فقد كان يضمر العداء للسلطان محمود، لأنه فيما يبدو أعان يوسف قدرخان ضده وضد أسرته، إذ يقول البيهقي[3]: ((إنَّ أخاه طغان خان حُرم من حكومة بلا سوغون[4] بأمر من السلطان الماضي [محمود]))، بالإضافة إلى أن السلطان محمود كان يحتفي بقدر خان، مما أدى إلى ضياع هيبة إمارة علي تكين في تركستان[5]، وهذه الأسباب مجتمعة هي التي دفعت السلطان محمود إلى عبور نهر جيحون بعد أن أقام عليه جسرا من السفن المربوطة بالسلاسل[6].

عندما اجتاز السلطان عبور النهر، ارتجف أهل هذه الديار، وحار ملوكها، وتسابق بعض أمراء بلاد ما وراء النهر كأمير صغانيان مع كل جيشه ومعداته عارضا عليه خدماته، وتلاه الحاجب الكبير التونتاش والي خوارزم مع عسكره، وقد ضرب السلطان محمود معسكراً كبيرا لجيوشه، فأمر ببناء فسطاط كبير يتسع لعشرة آلاف فارس، وخيمة أخرى خاصة به من الديباج الششتري الأحمر وستائر من الديباج المنسوج، ثم أمر فعبأ الجيش، وصف الميمنة والميسرة والقلب والجناحين، وأمر أن تكون صناعة الأسلحة خلف الجيش،(بمثابة دائرة الإمداد اليوم) وأوقف الفيلة بدروعها وسروجها، وأمر بقرع الطبول والأبواق، والدبابات دفعة واحدة، ودقوا الدفوف حتى أصمّوا الآذان، وأدهشوا الناس، واغتم كل من حضر هذا المعسكر من التركستان أو ما وراء النهر[7].

في الوقت ذاته حرص قدرخان يوسف، الذي تولى حكم الدولة القراخانية بعد وفاة ارسلان خان سنة 410هـ/1020م، على مقابلة السلطان قادما من عاصمته كاشغر إلى سمرقند، فلما بلغ بالقرب منها على بعد فرسخ (5 كم) من معسكر السلطان محمود، نزل

---

[1] الطوسي، سياست نامه، ص: 192-193.

[2] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 301، الهروي، طبقات، 32/1. إلا أن الذهبي اختلف مع هؤلاء في تاريخ عبور السلطان نهر جيحون لمحاربة علي تكين، حيث ذكر أن ذلك حدث سنة 418هـ/1027م. انظر: الذهبي، السير، 317/13.

[3] تاريخ، ص: 93-94.

[4] بلد في ثغور الترك، وراء نهر سيحون قريب من كاشغر. الحموي، البلدان، 79/1.

[5] البيهقي، تاريخ، ص: 357.

[6] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 301، بارتولد، تركستان، ص: 423.

[7] المصدر نفسه، ص: 301-302، المرجع نفسه، ص: 423.

وأمر غلمانه فبنوا له خيمة، وأرسل الرسل إلى السلطان طالبا عقد اتفاقية صلح وصداقة وحسن جوار[1].

رحّب السلطان محمود بمجيء قدرخان واشتياقه لرؤيته، فرد على دعوته جوابا كريما، وحدّد مكانا يلتقيان فيه، وقدِم كل منهما يصحبه عدد قليل من فرسانه، وقد انفرد الكرديزي عن غيره من المؤرخين المعاصرين بتقديم تفاصيل دقيقة للمراسيم المتبعة آنذاك عند التقاء حاكمين مستقلين قويين فقال[2]: ((وترّجل كل منهما حينما رأى الآخر، وأعطى الأمير محمود درّة ثمينة في منديل للخازن، وأمره أن يقدمها إلى قدرخان، وأحضر قدرخان كذلك مثل هذه الجواهر، ولكنه نسي أن يقدمها للأمير؛ لفرط ما لحق به من الرعب والفزع وحينما عاد من عند محمود، تذكر فأرسلها مع أحد رجاله، واعتذر ورجع)).

وفي اليوم التالي أمر السلطان محمود، فضربوا خيمة عظيمة، منسوجة من الديباج وهيّأوا الأمر للضيافة، وأرسل رسولا لدعوة قدرخان، وعندما وصل الأخير أمر السلطان بإعداد مائدة كاملة البهاء والجمال، وأكلا معا، وحينما فرغا من مائدة الطعام، ذهبا إلى مجلس الأنس والطرب، الذي كان مزيّناً بأندر الزهور والورود والرياحين، والجواهر النفيسة، وتحلى المجلس بصنوف الكؤوس الذهبية والبلورية وغير ذلك، فاندهش قدرخان وتعجب، وجلسا، واستمعا إلى الموسيقى بعض الوقت، ثم نهض قدرخان وهنا أمر السلطان محمود فأحضروا ما وجب من الهدايا والنثار، من الأواني الذهبية والفضية والجواهر النفيسة، وبعض الثياب والطرائف البغدادية، والأسلحة القيمة والجياد الغالية بسروجها الذهبية، وأعمدة مرصعة بالأحجار الكريمة، وهوادج من الديباج، وسجاجيد ثمينة، ومصنوعات نادرة من طبرستان، وسيوف هندية، وصنوف أخرى من الهدايا يعجز عنها الوصف، ثم عاد قدرخان معززا مكرما[3].

وبالمقابل أرسل قدرخان من معسكره مكافأة على هذه الهدايا، فأمر خازنه أن يفتح أبواب الخزائن، وأخرج كثيرا من الأموال والأمتعة، وأرسلها إلى السلطان محمود، ثم رحل كل منهما عن الآخر، مفعما بالرضا وروح المصالحة، وحسن النية[4].

أما فيما يتعلق بالنتائج السياسية لهذا اللقاء، فقد اتفقا على توحيد قواتهما؛ لانتزاع بخارى من يد علي تكين، وإعطائها الابن الثاني لقدرخان المدعو (بغراتكين)، كما اتفقا على عقد مصاهرة بين الأسرتين، حيث يُعقد لبغراتكين ابن قدرخان على السيدة زينب ابنة السلطان محمود، ويعقد قدرخان للأمير محمد بن السلطان محمود على ابنته[5].

أشار المحيمد[6] إلى الأهداف السياسية التي انطوت عليها هاتين المصاهرتين، وذكر أن قدرخان لم يكن وقتئذ منفردا بحكم بلاد ما وراء النهر، حيث كانت تنازعه قوى سياسية أخرى، كقوة علي تكين في بخارى وأسرة آل مأمون في خوارزم، لهذا فقد

---

[1] المصدر نفسه، ص: 303، المرجع نفسه، ص: 424، المحيمد، علاقات، ص: 331.

[2] زين الأخبار، ص: 303.

[3] نفسه، ص: 303-304.

[4] نفسه، ص: 304.

[5] البيهقي،تاريخ، ص:211، بارتولد، تركستان، ص: 425-426، المحيمد: علاقات، ص: 332.

[6] علاقات، ص: 332.

حرص قدرخان على ربط علاقة ودّيـــة مع السلطان محمود؛ بوصفه قوة كبيرة في إقليم المشرق الإسلامي، أما السلطان محمود فكان يهمه هو الآخر استقرار الأحوال السياسية في بلاد ما وراء النهر، وضمان ولاء بعض القوى السياسية فيها، يضاف إلى ذلك أن السلطان قرر أن يعهد بولاية العهد إلى ابنه محمد بدلا من ابنه مسعود (الأكبر) فأراد بهذا الزواج أن يضمن قوة سياسية مؤازرة لابنه محمد.

وتجدر الإشارة إلى أن المحيمد قد أغفل أن أسرة آل مأمون لم تعد تنازع قدرخان في ما وراء النهر؛ لأنّ ممتلكاتهم آلت إلى السلطان محمود، وصارت ضمن أملاك الدولة الغزنوية منذ سنة 408هـ/1018م، يتولاها حاجبه الكبير التونتاش[1]. كما أن مسألة استقرار الأوضاع السياسية في بلاد ما وراء النهر – كما يبدو – ليست في مصلحة السلطان محمود، لأنّ استقرار الأوضاع السياسية يجعل أمراءها يفكرون في مدّ نفوذهم إلى بعض ممتلكات الدولة الغزنوية، كما كان ذلك سجالا فيما سبق، وخصوصا أن السلطان محمود كان في معظم الوقت مشغولا بفتوحاته المظفرة في شبه القارة الهندية، وأغفل المحيمد أن قدرخان كان يخشى على ملكه من بطش السلطان، فخاف أن تدور الدائرة عليه، عُقيب الانتهاء من العمليات العسكرية ضد علي تكين، فأسرع إلى كسب ود السلطان محمود وتأييده لضمان عدم اعتدائه على أملاكه.

بعد ذلك اتجه السلطان إلى بخارى، بهدف تأديب علي تكين وتخليص المسلمين من ظلمه، فلما سمع بنبأ قدومه، تخلى عن بخارى وسمرقند، وفر هاربا إلى الصحراء، فبعث السلطـــان عيونـــه فأخبـــروه أن ارسلان بن سلجوق[2] قد أخفاه، فلجأ أتباع السلطان إلى أسر زوجة علي تكين وأبنائه ومصادرة أمواله في محاولة لإجباره على الاستسلام[3]، وعلى الرغم من كل هذه المحاولات، لم يظفر السلطان محمود بالأمير علي تكين، لكنه تمكن من إخضاع بخارى وسمرقند لسيطرته[4]، ولم يكف عن سمرقند، حتى ضمن له أهلها ألف غلام[5].

قفل السلطان محمود عائدا إلى بلخ، دون أن يتخذ من الإجراءات ما يؤّمن حلفاءه، ومن الواضح أنَّه لم يكن في نيته القضاء على أحد الفرعين الرئيسين القراخانيين، فيفسح بهذا المجال لقدرخان ليصبح الحاكم المطلق على جميع تركستان، بدليل أن الأمير (بغراخان) بن قدرخان عندما وصل إلى بلخ قاصدا غزنة بهدف إتمام مراسيم زواجه من الأميرة زينب ابنة السلطان محمود، ثم الاستيلاء على بخارى وسمرقند

---

[1] عن فتح خوارزم، وسقوط إمارة آل مأمون، انظر: الكرديزي، زين الأخبار، ص: 293–294، البيهقي، تاريخ، ص: 736–746، ابن الأثير، الكامل، 7/611–612، وكذلك انظـــر: الفصـــل الثاني من دراستنا.

[2] هو الأمير بيغو ارسلان، المدعو اسرائيل بن سلجوق وبن دقاق، شقيق ميكائيل وموسى، أســـره السلطان محمود وأرسله إلى غزنة، ومنها أرسل إلى سجن بإحدى قلاع الهند. للمزيـــد راجـــع: الكرديزي، زين الأخبار، ص: 306، الحسيني، تاريخ الدولة، ص: 1–2، ابن الأثير، الكامـــل، 7/715، وسنفصل في هذا الموضوع لاحقا.

[3] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 306.

[4] الطوسي، سياست نامه، ص: 192. المحيمد، علاقات، ص: 333.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، 8/53.

بمعاونة صهره، رجاه السلطان محمود بان يعود من حيث أتى، بحجة انه مشغول بإعداد جيشه لفتح مدينة سومنات الشهيرة ببلاد الهند، وانه واثق من أن الأمير بغراخان سيفلح خلال ذلك في هزيمة منافسيه فـــي تركستان، مما يسهل عليه في المستقبل إخضاع بلاد ما وراء النهر، وقد أدرك الأمير المغزى الحقيقي لهذه الإجابة، وغادر بلخ، وفي نفسه شيء من الوحشة، هذا وقد كانت بلاد ما وراء النهر مسرحا لعمليات حربية كثيرة، ولكن لا علم لنا عن تفاصيلها، إلا أنها انتهت بتسوية سلمية، وعلى أية حال فقد بقي علي تكين حاكما على بخارى وسمرقند[1].

وصل إلى غزنة سنة 417هـ/1026م سفيرا قتاخان ويغرخان، الذين يبدو من أسميهما أنَّهما من خانات الترك، وأحضرا معهما رسائل الود والصداقة، وأعلنا طاعتهما للسلطـــان محمـــود، والتمســـا عقـــد مصاهرة مع الأسرة الغزنوية، فأنزلهما السلطان منزلاً كريماً ورد رسائلهما قائلاً : ((إننا مسلمون، وانتم كفّار، ولا يجوز لنا أن نزوّجكم أخواتنا أو بناتنا، فإذا اسلمتم فإنَّه يتحقق هذا الأمر)) وعاد الرسولان معززين مكّرمين إلى بلادهما[2]. ويفهم من كلام السلطان أن هذين السفيرين من خانات الترك غير المسلمين.

خلاصة القول، أن العلاقة بين السلطان محمود الغزنوي والدولة القراخانية، بدأت في مرحلتها الأولى، بالود والصداقة والاحترام المتبادل، وتجسّد ذلك عندما وقع الطرفان معاهدة صداقة وحسن جوار، وارتبطت الأسرتان الغزنوية والقراخانية برباط المصاهرة، فضلا عن ترسيم الحدود بين المملكتين، واعتبار نهر جيحون الحد الطبيعي الفاصل بينهما. إلا أن علاقة الود والصداقة بين الدولتين لم تستمر طويلا على هذا المنوال، فقد بادر ايلك خان بشن عدة حملات عسكرية على أملاك السلطان محمود؛ بغية السيطرة على إقليم خراسان الاستراتيجي المهم، وعلى الرغم من فشله الذريع في تحقيق أهدافه، فانه يمكن القول أن العلاقة بين الطرفين، خرجت من طور الود والصداقة إلى طور العداء وفرض النفوذ. وبعد وفاة ايلك خان سنة 403هـ/1013م، أخذت العلاقة بين الطرفين تتأرجح بين الود والصداقة وتبادل الهدايا والسفارات تارة، والحرب والعداء وفرض النفوذ تارة أخرى.

---

[1] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 306، بارتولد، تركستان، ص: 426-427.
[2] المصدر نفسه، ص: 309.

2- علاقته مع البويهيين :

قبل الحديث عن علاقة السلطان محمود بالبويهيين، يجدر بنا إعطاء لمحة سريعة عن نشأة هذه الأسرة، ودورها في إقليم المشرق الإسلامي.

اختلف الباحثون وأصحاب السير في نسب بني بويه، فمنهم من يقول إنَّهم من سلالة الملك الساساني بهرام جور بن يزدجرد[1]، ويرى بعضهم أن نسبهم يرجع إلى باسل بن ضبّة بن ادد[2]، ويرُجّح أحد المؤرخين المحدثين أن يكون نسب البويهيين من الديلم[3].

لكن الذي يبدو أن الرأي الثاني والثالث غير صحيحين، ولعل البويهيين هم الذين ادعوا صلتهم بالعرب، وفي وقت كان للعرب حضارة مزدهرة، وراقية، ومن العزّة والرفعة لشعوب بلاد فارس كلها أن تنسب لهذا الأصل الشريف، بدليل أن عضد الدولة البويهي كان قد كلّف الصابي (ت:448هـ/1056م) بتأليف كتاب عن أخبار الدولة البويهية، وأمره أن يضع لهم نسباً عربياً، فوافق الصابي الذي كان مسجوناً، فنسب البويهيين إلى بني ضبة[4]، إحدى القبائل العربية التي كانت تسكن الجزء الشمالي من نجد والتي هاجرت إلى بلاد الديلم، إثر قيام نزاع بينهم وبين بعض القبائل الأخرى المجاورة لهم. كما أنَّه من غير الصواب نسبهم إلى الديلم، بدليل ما أورده ابن طباطبا[5] حيث قال:((... وهم ليسوا من الديلم، وإنما سُمّوا بالديلم؛ لأنهم سكنوا بلاد الديلم)).

وبناءً على ذلك فمن المُرجح أن البويهيين ينحدرون من اصل فارسي، استقروا في بلاد الديلم.

كان بويه بن فناخسرو، من أسرة فقيرة، تقطن قرية كياكيس ببلاد الديلم، يتعيش من صيد السمك، ويعينه أولاده: (علي[6] والحسن[7] وأحمد[8])، بالقيام بأعمال ضئيلة يتكسبون منها، وقد كان أحمد بن بويه، بعد ملك البلاد يعترف بنعمة الله تعالى فيقول :

---

[1] ابن الأثير، الكامل، 5/7، ابن خلكان، وفيات، 174/1، ابن العبري، مختصر الدول، ص: 279، ابن طباطبا، الفخري، ص: 277.

[2] المسعودي، مروج، 308/4، الاصطخري، المسالك، ص: 121.

[3] الكروي، البويهيون، ص: 82.

[4] خطاب، علاقات، ص: 58، نقلا عن: الصابي، المنتزع من كتاب التاجي في أخبار الدولة البويهية، ص: 38.

[5] الفخري، ص: 277.

[6] عماد الدولة، أبو الحسن علي بن بويه بن فناخسرو، صاحب بلاد فارس، ولد سنة 279هـ/891م تقريبا، وتوفي سنة 338هـ/949م. للمزيد عن أخباره راجع: ابن الأثير، الكامل، 5/7، ابن خلكان، وفيات، 174/1-176، الكروي، البويهيون، ص: 85.

[7] انظر ترجمته في الفصل الأول من دراستنا.

[8] معز الدولة، أبو الحسين أحمد بن بويه بن فناخسرو، صاحب بلاد العراق والأهواز، ولد سنة 303هـ/915م، وتوفي سنة 356هـ/966م. للمزيد عن أخباره راجع: ابن الأثير، الكامل، 153/7، 175، 182، 221، 232، 248، 267، ابن خلكان، وفيات، 174/1-175، الكروي/ البويهيون، ص: 85.

((كنت أحتطبُ، الحطب على رأسي[1])) كما أن قصة بويه وأولاده مع المنجم، تدل بما لا يدع مجالاً للشك، بأنهم عاشوا في مطلع حياتهم في فقر شديد، وأنهّم كانوا من عامة الناس وبسطائهم، يتضح ذلك من قول أبو شجاع بويه للمنجم الذي تنبأ بالمُلك العريض والجاه الطويل، والمال الكثير لهذه الأسرة:((والله ما أملك إلا الثياب التي على جسدي، فان أخذتها بقيت عرياناً، فقال المنجم : فعشرة دنانير، فقال : والله ما املك ديناراً فكيف عشرة...))[2].

أما ديانة أهل الديلم، فكانوا وثنّيين ومجوس[3]، وانهم كانوا في دار كفر قبل دخول الإسلام بلادهم[4].

ويذكر أن استجابة الديلم للدعوة الإسلامية، كانت في أيام الحسن بن علي الاطروش، الذي ظهر في بلاد الديلم وطبرستان سنة 301هـ/913م، وأقام بينهم يدعوهم إلى الإسلام، وفعلاً تمكن من نشر الإسلام في صفوف الكثير منهم[5].

أما من الناحية السياسية فقد برز بنو بويه في كنف الدولة الزيارية التي حكمت بلاد الديلم سنة 314هـ/926م، إذ كانوا جنودا مغامرين، عرفوا بالدهاء والمكر، وقد ازداد نفوذهم يوما بعد يوم[6]، وخصوصا بعد ما فارقوا (ماكان بن كالي)، وانحازوا إلى مرداويج بن زيار قائلين له: ((إنَّ الأصلح لك مفارقتنا إيّاك، لتخف عنك مؤونتنا... فإذا تمكنت عاودناك))، فأذن لهم واقتدى بهم جماعة من القادة، وذهبوا إلى مرداويج بطبرستان، فقبلهم وأكرمهم، وولى كل واحد منهم ناحية من نواحي بلاد الجبل، فكان نصيب علي بن بويه ولاية الكرج[7]، وقد اظهر كفاءة نادرة في شؤونها، وأحسن معاملة أهلها، فأحبوه، ووقفوا إلى جانبه[8].

ثم أخذ علي بن بويه يوسع نفوذه جنوبا، فدخل أصفهان واستولى عليها مدة، فقوي شأنه بذلك، وعندما خاف علي بن بويه على نفسه من مرداويج سار إلى ارجان[9] التي غادرها صاحبها ابوبكر بن ياقوت، فدخلها سنة 321هـ/933م، ثم استولى على نوبندجان[10] في ربيع الآخر من نفس السنة، بعد أن استدعاه واليها فدخلها دون قتال[11]. ثم سيّر أخاه الحسن بن بويه إلى كازرون[12] وغيرها من أعمال فارس، واستولى عليها،

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، 270/6، ابن طباطبا، الفخري، ص: 277.

[2] ابن الأثير، الكامل، 6/7–7.

[3] المسعودي، مروج، 308/4.

[4] الاصطخري، المسالك، ص: 121.

[5] المسعودي، مروج، 308/4، خطاب، علاقات، ص: 61.

[6] سرور، تاريخ الحضارة، ص: 49 وما بعدها.

[7] مدينة بين همذان واصبهان. الحموي، البلدان، 446/4.

[8] مسكويه، أبو علي احمد بن محمد، تجارب الأمم، اعتنى بنسخة وتصحيحه: هـ.ف. امدروز، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (لا.ت)، 277/1، ابن الأثير، الكامل، 7/7–8.

[9] مدينة كبيرة، كثيرة الخيرات، من بلاد فارس. الأصطخري، المسالك، ص / 78.

[10] مدينة من ارض فارس، تقع في منتصف الطريق بين ارجان وشيراز.الحموي،البلدان،307/5.

[11]مسكويه، تجارب، 296/1، ابن الأثير، الكامل، 7/10.

[12] مدينة بفارس بين البحر وشيراز. الحموي، البلدان، 429/4.

ورجع بأموال كثيرة[1]، كما تمكن علي بن بويه من الاستيلاء على شيراز[2] سنة 322هـ/933م، واتخذها مقرا لحكمه، وبهذا تحققت أهدافه، وكثر أتباعه، وزادت قوته[3].

بعد أن أمّن علي بن بويه لنفسه حكم شيراز، لجأ إلى أسلوب يدل على عُمق سياسته وبُعد نظره؛ وهو الحصول من الخليفة العباسي على تقليد بحكم المناطق التي استولى عليها، فكتب إلى الخليفة الراضي بالله[4]، معلناً طاعته وولاءه لدار الخلافة، وطلب أن يقرّه على ما تحت يده من البلاد مقابل أن يدفع ثمانية ملايين درهم سنوياً لخزانة الخليفة، فوافق الأخير على طلبه وأرسل إليه رسولاً حاملاً الخلعة واللواء، وأمره بأخذ المال المقرر قبل إعطائه الخلعة واللواء، غير أن علياً بن بويه رفض ذلك بعد أن استلم الخلعة واللواء[5].

في الوقت نفسه تمكن أخوه أحمد بن بويه من الاستيلاء على ولاية كرمان، ثم تقدم في زحفه نحو الأهواز[6] وسيطر عليها سنة 326هـ/937م[7]، وبدا يتطلع إلى السيطرة على دار الخلافة في بغداد، بعد ما رأى ما آلت إليه أحوالها، وان الأمور قد تمهدت أمامه للسيطرة عليها، فتقدم نحو العراق، وعندما وصل إلى باجسري[8]، ارتبك الناس وزاد اضطرابهم، واختفى الخليفة العباسي المستكفي بالله. وفي 11 جمادى الآخرة سنة 334هـ/ 19 يناير 946م؛ دخل أحمد بن بويه بغداد، وظهر الخليفة المستكفي من جديد من مخبائه، ورحّب بقدومه، وخلع عليه، فبايعه أحمد بن بويه، وعقد له الخليفة لواء إمرة الأمراء، وخلع عليه وعلى إخوته الألقاب الفخرية، فلقب أحمد بن بويه بـ (معز الدولة) ولقب أخاه علياً بـ : (عماد الدولة)، وأخاه الحسن بـ : (ركن الدولة) وأمر بأن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم[9].

---

[1] ابن العبري، مختصر الدول، ص: 280.

[2] عاصمة إقليم فارس كلها، تقع في وسط الإقليم، تبعد عن نيسابور بنحو (220) فرسخاً. الحموي، البلدان، 380/3.

[3] مسكويه، تجارب، 297/1، ابن الأثير، الكامل، 14/7-15.

[4] أبو العباس احمد بن المقتدر، ولي الخلافة بعد أن خُلع الخليفة القاهر بالله في جمادى الأولى سنة 322هـ/ أبريل 933م، واستمر خليفة حتى توفي في ربيع الأول سنة 329هـ/ ديسمبر 940م. ابن الأثير، الكامل، 19/7، 20، 89.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، 271/6، ابن الأثير، نفسه، 17/7، ابن طباطبا، الفخري، ص: 279، حسن أحمد محمود والشريف، أحمد إبراهيم العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط3، دار الفكر العربي، 1977م، ص: 509-510.

[6] جمع هوز واصله حوز، ناحية بين البصرة وفارس يقال لها: خوزستان. انظر: القزويني، آثار، ص: 152.

[7] ابن الأثير، الكامل، 16/7، 67.

[8] بليدة شرقي بغداد، بينها وبين حلوان عشرة فراسخ من بغداد. الحموي، البلدان، 313/1.

[9] مسكويه، تجارب، 84/2-85، ابن الجوزي، المنتظم، 340/6، ابن الأثير، الكامل، 157/7،ابن خلكان، وفيات، 174/1. القرماني، تاريخ الدول، 447/2.

بدخول معز الدولة بغداد، دخلت الخلافة العباسية طوراً جديدا؛ سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، فكان يوم دخولهم وسيطرتهم على الخلافة يوم تحوّل في تاريخ الخلافة العربية، فقد اضطربت أحوالها، ولم يبق لها رونق ولا وزارة، فعزلوا الخلفاء وولوهم، واستوزروا الوزراء وصرفوهم[1]، واستأثروا بمقدرات الخلافة، واصبح الخلفاء العباسيّون آلة بأيديهم[2].

كانت القوة الثانية المنافسة للدولة الغزنوية في المشرق – بعد الدولة القراخانية في ما وراء النهر – هي قوة البويهيون الذين يجاورون الغزنويين من الغرب والجنوب الغربي.

بدأت علاقة الدولة الغزنوية بالبويهيين منذ عهد الأمير سبكتكين والد السلطان محمود، وكان يغلب عليها في ذلك الوقت الرغبة المشتركة في الود والصداقة، إذ لم يكن الغزنويين قد أعلنوا الرغبة في الاستيلاء على أملاك البويهيين، وقد عبّر الطرفان عن رغبتهما هذه؛ بتبادل الهدايا، فأرسل فخر الدولة[3](صاحب همذان[4] والري[5] وما بينهما) إلى الأمير سبكتكين أثناء إقامته في بلخ، جملة من المبار والنثار من الذهب والفضة، فرد عليه الهدية بأحسن منها، وزاد عليها ثلاثة من الفيلة الخفاف، أرسلها مع أحد ثقاته المدعو عبد الله الكاتب، ومن جهة أخرى فإنَّ هذه الهدايا كانت سبباً في توتر العلاقة بين الطرفين، حيث فسّر فخر الدولة إرسال هذه الهدية بأنّ الغرض منها أن يتجسس رسول الأمير سبكتكين على عدد قواته ومعرفة المسالك المؤدية إلى بلاده، فكتب فخر الدولة معاتباً الأمير ناصر الدين سبكتكين، بكلمات لا تخلو من الغلظة مما أدى إلى تعكير صفو العلاقة بينهما[6].

عمل فخر الدولة على إصلاح ما أفسده، فأرسل إلى الأمير ناصر الدين سبكتكين، أبا القاسم أحد كبار حجابه، وأظهر رغبته في استمرار العلاقة الودية بين الطرفين، وطلب أيضا أن ترتبط الأسرتان برباط المصاهرة، فأجابه سبكتكين إلى مطلبه، وصَفَتْ الحال بينهما[7].

وحينما دخل الغزنويّون حلبة الصراع حول وراثة أملاك الدولة السامانية، لم يشترك البويهيون في الصراع بطريقة مباشرة، فنجد مثلا أن فخر الدولة بن بويه ساند أبا علي وفائق ضد السامانيين والغزنويين، وبعد اندحارهما توجها إلى فخر الدولة

---

[1] ابن طباطبا، الفخري، ص: 177.

[2] لين بول، الدول الإسلامية، ص: 284، احمد محمود والشريف، العالم الإسلامي، ص: 521 وما بعدها.

[3] أبو الحسن علي بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه، تولى الحكم بعد وفاة مؤيد الدولة سنة 373هـ/983م، واستمر في الحكم حتى وفاته سنة 387هـ/997م. للمزيد عن أخباره راجع: ابن الأثير، 490/7، وميرخواند، روضة الصفا، ص: 193-195.

[4] مدينة مشهورة من مدن إقليم الجبال. القزويني، آثار، ص: 483.

[5] مدينة مشهورة من أمهات البلاد، وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات، وعاصمة إقليم الجبال، تبعد عن نيسابور بنحو (160) فرسخاً. الحموي، البلدان، 116/3.

[6] انظر: العتبي، تاريخ، 247/1-148، خطاب، علاقات، ص: 99.

[7] المصدر نفسه، 248/1-249.المرجع نفسه، ص: 99.

بجرجان فتلقاهما بالأموال والهدايا والتحف، وعلى الرغم من ذلك استمرت العلاقة الحسنة بين الطرفين حتى عهد السلطان محمود[1].

وبناء على ذلك، فإنَّ العلاقة بين الأسرتين الغزنوية والبويهية في عهد الأمير ناصر الدين سبكتكين والأمير فخر الدولة؛ كانت وطيدة نوعا ما، ولم يحدث بينهما من الصراع المسلح ما يعكر صفو العلاقة بينهما.

وعندما اعتلى السلطان محمود عرش الدولة الغزنوية، تغيرت العلاقة بين الأسرتين – في معظم مراحلها – حيث انتهج سياسة التوسع على حساب البلاد المجاورة لمملكته، بما في ذلك أملاك البويهيين، بعد سيطرته على إقليم خراسان الاستراتيجي وانهيار الدولة السامانية.

وعلى الرغم من ذلك فقد شهدت العلاقة – بين السلطان محمود والبويهيين – جانبا من الود وحسن الجوار في بعض مراحلها، ظهر ذلك جليا عقيب سيطرة السلطان محمود على خراسان سنة 389هـ/999م، وهزيمته للسامانيين وقادتهم المتغلبين، وإعلان نفسه سلطانا مستقلا – كما ذكرنا مسبقاً – فقد راسل بهاء الدولة البويهي[2]وبعث إليه أبا عمر البسطامي[3]، محملاً بنفيس الهدايا وخمسة من الفيلة، وسأله التوسط عند الخليفة القادر بالله، في توليته والاعتراف بشرعية حكمه فبعث بهاء الدولة برسوله إلى فخر الملك أبي غالب، وأمره أن يقصد دار الخلافة، ويسأل الخليفة تلبية طلب السلطان محمود الغزنوي إلا أن بهاء الدولة قد توفي قبل إتمام السفارة لمهمتها سنة 403هـ/1013م، لكن وساطته كانت قد أثمرت، فأجاب الخليفة السلطان محمود إلى طلبه، وأرسل إليه الخلع وأنعم عليه بالألقاب في شعبان سنة 404هـ/ فبراير 1013م.[4].

وعندما سيطر السلطان على سجستان، وأقصى خلف بن أحمد عنها سنة 393هـ/1003م، واتصلت حدود مملكته بحدود مملكة بهاء الدولة البويهي في كرمان، راسل الأخير السلطان محمود طالبا خطبة إحدى بنات السلطان، فأجابه إلى ذلك، ولكن الزواج لم يتم[5]؛ لوفاة بهاء الدولة سنة 403هـ/1013م، كما أسلفنا.

وعندما تولى الحكم سلطان الدولة[6] خلفا لوالده بهاء الدولة، دخل في صراع مسلح مع أخيه أبي الفوارس في نهاية سنة 403هـ/913م، فحاول السلطان محمود الاستفادة

---

[1] ابن الأثير، الكامل، 463/7، ابن خلدون، تاريخ، 435/4.

[2] أبي نصر بن عضد الدولة، تولى الحكم في بغداد بعد وفاة مشرف الدولة أبي الفوارس شيدزيل بن عضد الدولة، سنة 379هـ/989م، واستمر في الحكم حتى وفاته سنة 403هـ/1012م. للمزيد عن أخباره راجع:ابن الأثير،الكامل،426/7- 427.ميرخواند، روضة الصفا، ص: 197- 199.

[3] أحد كبار الفقهاء، وشيخ الحديث، قال عنه العتبي: ((... وهو النبيه الوجيه محلاً، والإمام علماً وتحقيقاً، والحسام لساناً فصيحاً ورأيا وثيقاً...)) راجع: تاريخ، 202/2.

[4] العتبي، تاريخ، 202/2–204. ابن الجوزي، المنتظم، 52/8.

[5] العتبي، نفسه، 201/2–202.

[6] أبو شجاع بن بهاء الدولة، تولى الحكم بعد وفاة أبيه، سنة 403هـ/1013م، وقد جرت بينه وبين أخيه شرف الدولة حروب وخطوب يطول شرحها، انتهت بعقد صلح بينهما، بموجبه يتولى شرف الدولة إدارة شؤون العراق العجمي.، بينما تولى سلطان الدولة بلاد فارس وكرمان.

من الخلافات التي دبّت داخل البيت البويهي، وقد أتيحت له الفرصة عندما طرد سلطان الدولة أخاه أبا الفوارس من ولاية كرمان، ولجأ الأخير إلى بلاط السلطان بغزنة، طالبا مساعدته وردّه إلى ولايته، فلما وصل أبو الفوارس بالغ السلطان في إكرامه، وأمر أخاه الأمير نصر بن سبكتكين بالقيام بخدمة استقباله، فقام بواجب الضيافة وأحسن استقباله[1].

أقام الأمير أبا الفوارس في بلاط غزنة قرابة ثلاثة أشهر ضيفا لا يتميز عنده عن ذوي قرابته وأرحامه في الإكرام والشفقة، حتى إذا ما رغب في العودة لاسترداد ملكه، أعطاه السلطان فوق رضاه أموالا، وسيّر معه أبا سعيد عبد الرحمن بن محمد الطائي أحد مشايخ بلاطه، وأفاضل كتّابه في جيش كبير، وتوجه الأمير أبو الفوارس بهؤلاء قاصدا كرمان، فلما اقترب منها جلا عنها من كان واليا عليها؛ لعجزه عن المقاومة، فدخلها معززا منصورا، وأقام أبا سعيد الطائي إلى أن استقرت لأبي الفوارس الأمور، وعندئذ عادت الجيوش الغزنوية[2]، ومن جهة أخرى واصل أبو الفوارس تقدمه إلى بلاد فارس، قادما من بغداد وهناك التقى الفريقان، ودارت بينهما معارك قوية، أسفرت عن هزيمة أبي الفوارس وأنصاره، واستعاد سلطان الدولة سيطرته على بلاد فارس، في حين هرب أبو الفوارس سنة 408هـ/1017م إلى كرمان، ولحقت به جيوش أخيه وأبعدته عنها، ولم يتمكن من العودة إلى بلاط غزنة ليطلب المساعدة العسكرية؛ لأنه أساء السيرة مع القائد الغزنوي أبي سعيد الطائي[3].

بدأ السلطان محمود منذ سنة 420هـ/1029م، مرحلة جديدة من علاقاته مع البويهيين، وأعلن صراحة عن آماله في السيطرة على ممتلكاتهم وتصفية الوجود البويهي – على أقلّ تقدير في العراق العجمي – وقد أتيحت له فرصة لتحقيق أهدافه وغاياته التي طالما انتظرها؛ عندما كتب لـه مجد الدولة البويهي[4] يشكو إليه جنده، ويسأله التدخل لوضع حد لذلك[5]. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الأمير كان طوال فترة حكمه مشغولا بالنساء ومطالعة الكتب ونسخها، وكانت والدته تدير شؤون مملكته، وعندما وصلت كتبه إلى بلاط غزنة، ووقف السلطان على جلية أحواله، قرر الزحف على بلاد الري؛ بهدف السيطرة عليها، والقبض على مجد الدولة وتصفية أنصاره[6].

للمزيد من التفاصيل راجع: ابن الأثير، الكامل، 7/589–679، ميرخواند، روضة الصفا، ص: 201–203.

[1] العتبي، تاريخ، 2/206–207، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 291، الهروي، طبقات، 1/28.

[2] العتبي، نفسه، 2/209–213، ابن الأثير، الكامل، 7/638.

[3] العتبي، نفسه، 2/213–215، ابن الأثير، الكامل، 7/638–639.

[4] ابن فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه، تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة 387هـ/997م، وعمره وقتذاك أربع سنوات، فقامت والدته بتدبير شؤون المُلك، وكانت امرأة عاقلة خبيرة في مجال الحكم، فحافظت على كيان دولته حتى توفيت، وعندئذ اضطربت أحوال مملكته وشاعت الفوضى في ربوعها، ولم يستطع السيطرة على مجريات الأمور. راجع:ابن الأثير، الكامل، 7/490–491، ميرخواند، روضة الصفا، ص: 199–200.

[5] ابن الأثير، نفسه، 7/710.

[6] المصدر نفسه، 7/710، ميرخواند، روضة الصفا، ص: 200.

ومن الدوافع المهمة أيضا لاحتلال بلاد الري؛ أن السلطان محمود قد أدرك الأهمية الاستراتيجية لهذه الولاية، الواقعة في المنطقة الخصبة بين الجبال والصحراء، وهي المنطقة التي كانت منذ أقدم الأزمنة على طريق المواصلات بين غرب إيران وشرقها، كما أنها تتحكم بالطرق التجارية المارة بها، مثل: طرق مازندان الري عن طرفها الشمالي؛ بدليل أن البويهيين عندما أحكموا سيطرتهم على هذه الولاية، أوقعوا السامانيين تحت سيطرتهم الذين ضموا التجارة الشمالية إلى ممتلكاتهم، ومن ثم مُنيت سياستهم التجارية بالفشل الذريع. هذا فضلاً عن استخدام الري؛ نقطة انطلاق للجيوش الغزنوية للسيطرة على المناطق الواقعة تحت سيادة البويهيين[1].

وهكذا يبدو أن هذه الولاية (الري) كانت ذات موقع استراتيجي مهم، والتنافس شديد عليها من قبل أمراء المشرق، فالسامانيون وجدوا أنفسهم بحاجة إلى السيطرة عليها، كذلك حاول الزياريون الاستيلاء عليها، غير أنها أصبحت في النهاية – بفضل جهود علي بن بويه – من نصيب البويهيين[2].

وهناك من يذكر أن حروب السلطان محمود ضد آل بويه؛ ناتجة عن دافعين، الأول ما وصل إليه أمرهم من تسلط واستبداد بالسلطة في بغداد، نتج عنه ضعف الخلافة العباسية إلى درجة أن أصبح الخليفة في هذا العصر، ألعوبة في أيديهم، ليس له من الأمر سوى ذكر اسمه في الخطبة، ونقش اسمه على السكة، ومن أخطر مظاهر التسلط البويهي إقامتهم علاقات وثيقة مع الفاطميين؛ أدى إلى اعتراف عضد الدولة البويهي بالعزيز بالله الفاطمي كخليفة للمسلمين. أما الدافع الثاني : فهو ظهور الفساد العقائدي والفكري والسياسي في دولة بني بويه[3]. وقد وصف ابن دحية[4] ما آلت إليه أحوال دولتهم من فساد عقائدي وفكري بقوله: ((وكانت الديالمة قد عظم أمرها وتفاقم، وكُبر قدرها وتعاظم؛ وذلك بإسناد الباطنية إليهم، وإفساد الاعتقادات عليهم؛ لأنهم أدخلوهم في تلك الاعتقادات الفاسدة... وتبعهم في ذلك المنجمون القائلون بتأثيرات الأفلاك، والزنادقة والرافضة المعطلة ... وعظمت شوكتهم وكبرت، واتسعت دائرتهم وانتشرت...)).

ومن المؤرخين من ذكر أن السبب المباشر في احتلال بلاد الري؛ رفض البويهيين إقامة الخطبة باسم السلطان محمود في الولاية، وكذلك نقش اسمه على السكة[5].

ويغْلب على الظن أن هذه الدوافع كلها مجتمعة؛ كانت السبب وراء حملة السلطان محمود العسكرية على بلاد الري وإقليم الجبال سنة 420هـ/1029م، وانتهاجه سياسة أكثر تشددا تجاه البويهيين.

وبناءً على طلب الأمير مجد الدولة من السلطان محمود التدخل عسكرياً لوضع حد للاضطرابات التي عصفت بدولته، فقد استجاب لذلك بإرسال حملة عسكرية اسند قيادتها إلى ثلاثة من ثقاته، وهم: يكوتكين الحاجب، وغازي الحاجب، وعلي الحاجب، فلما وصلت طلائع الجيش الغزنوي بالقرب من الري خرج أميرها مجد الدولة ظناً منه أن

---

[1] سوردال. تومين،(مادة: الري)،دائرة المعارف الإسلامية،85/10. خطاب،علاقات، ص: 100.

[2] سوردال، المرجع نفسه، 288/10-289.

[3] الجوارنة، جهود السلطان، ص: 129.

[4] النبراس، ص: 120.

[5] خطاب، علاقات، ص: 101، نقلا عن: عنصر المعالي، قابوس نامه، ص: 153.

السلطان محمود قد قدم بنفسه، فخرج مع مائة فارس من حشمه والمقربين إليه وعدد من المترجلين من حاملي الدروع والحراب وما شابه ذلك، فلما رآه علي الحاجب أرسل إليه وقال: ((يجب أن تنزل حتى أفضي إليك بالرسالة التي معي))[1].

وفي الحال وصل مجد الدولة، وضربوا الخيام ونزلوا، وأمر علي الحاجب فسيطروا على أبواب المدينة، وقبض علي الحاجب على الأمير مجد الدولة في هذه الخيمة وأخذ أسلحته التي أحضرها معه، وبقي فيها على هذا الحال أربعة أيام[2].

أرسل علي الحاجب رسالة إلى السلطان محمود، الذي كان وقتذاك بجرجان، وأطلعه على الأمر، فكتب السلطان إليه يأمره بإرسال مجد الدولة وابنه أبي دلف ومن كان معهم من حاشيته إليه، ثم أمر السلطان بنقلهم من جرجان إلى غزنة وظلوا هناك حتى آخر العهد[3].

أتى السلطان محمود – بعد ذلك – بنفسه إلى الري، فوصلها أواخر جمادى الأول[4] من السنة نفسها، واستولى على المدينة دون تعب أو نصب، وأخذ من الأموال مليون دينار، ومن الجواهر ما قيمته خمسمائة ألف دينار، ومن الثياب ستة آلاف ثوب، ومن الآلات وغيرها ما لا يحصى، وقد صلب من أصحاب الباطنية والقرامطة عددا كبيرا، ونفى المعتزلة إلى خراسان، واحرق كتب الفلسفة ومذهب الاعتزال المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، واخذ ما سواها من الكتب فكانت مائة حمل[5]، ثم كتب إلى الخليفة القادر بالله كتابا شرح له فيه أسباب حملته العسكرية على بلاد الري، جاء في مطلعه: ((... فان كتاب العبد صدر من معسكره بظاهر الري غرة جمادى الآخرة سنة عشرين [وأربعمائة] وقد أزال الله عن هذه البقعة أيدي الظلمة، وطهرها من دعوة الباطنية الكفرة والمبتدعة الفجرة...)) وختمه بقوله : ((... فخلت هذه البقعة من دعاة الباطنية، وأعيان المعتزلة، والروافض، وانتصرت السنة، فطالع العبد ما يسره الله تعالى لانتصار الدولة القاهرة))[6].

يتضح لنا من سياق هذا الكتاب؛ أن السلطان لم يظهر جميع الأسباب التي دفعته للزحف على أملاك البويهيين في بلاد الري، وإنما اكتفى بذكر السبب الديني، لإدراكه الموقف المتشدد للخلافة، تجاه المذاهب والفرق المناوئة لمذهب الخلافة السني، ليظهر

---

[1] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 312، ابن الأثير، الكامل، 710/7.

[2] الكرديزي،/ نفسه، ص: 313. ابن الأثير، نفس المصدر والصفحة.

[3] الكرديزي، نفسه، ص: 313.

[4] ذكر ابن الأثير أن السلطان محمود وصل إلى الري في ربيع الآخر سنة 420هـ، وهذا غير صحيح، فيبدو انه قد وقع في لبس، أو ربما حدث تصحيف من قبل النسّاخ بدليل ما جاء في كتاب السلطان المرسل إلى الخليفة القادر بالله، فقد ذكر أن الحملة العسكرية التي أرسلها السلطان محمود لفتح بلاد الري، وصلت يوم الاثنين 16 جمادى الأولى، بمعنى أن وصول السلطان محمود إلى الري كان بعد 16 جمادى الأولى. انظر: الكامل، 710/7، ونص الكتاب المرسل للخليفة عند: ابن الجوزي، المنتظم، 8/38-40.

[5] ابن الأثير، نفسه، 710/7.

Nazim, The Life and times, p: 82

[6] انظر نص كتاب السلطان محمود المرسل إلى الخليفة العباسي القادر بالله عند: ابن الجوزي، المنتظم، 8/38-40.

أمام الخليفة العباسي بمظهر المدافع عن المذهب السُني في بلاد المشرق الإسلامي؛ بهدف نيل ثقته وتأييد سياسته.

وفعلا بارك الخليفة القادر بالله سياسة السلطان محمود، وكتب إليه عهدا، تولى بموجبه إقليم خراسان وبلاد الجبل بما فيها الري،والسند والهند وطبرستان وسجستان[1].

بعد أن أحكم السلطان محمود سيطرته على الري، اتجه إلى قزوين[2] وقلاعها واستولى عليها، ثم زحف إلى ساوة[3] واية[4] ويافث وقبض على صاحبها (ولكين بن ندرين) وأرسله إلى خراسان، كما استولى الأمير مسعود بن محمود على فرنجان وابهر[5]، وخطب له علاء الدولة كاكويه في أصبهان[6].

عاد السلطان محمود إلى الري، ونظّم شؤونها، وعيّن العمال، وأودع مقاليد ولاية الري وأصبهان إلى الأمير مسعود، وقفل عائدا إلى غزنة عليلا بعد أن ظهرت عليه أعراض مرض الرّبو[7].

وفي مطلع سنة 421هـ/1030م هاجم الأمير مسعود ولاية همذان، واستطاع ضمها إلى أملاك أبيه، ثم اتجه منها إلى أصبهان بهدف السيطرة عليها، وفعلاً تمكن من انتزاعها من يد البويهيين، وبينما كان مشغولاً بتنظيم شؤون همذان وأصبهان أتاه خبر وفاة أبيه محمود، فعاد مسرعاً إلى خراسان، وعندئذ أسرع علاء الدولة إلى أصبهان واستولى عليها مرة أخرى[8].

والجدير بالذكر أن السلطان محمود لما عاد عليلا إلى غزنة، اشتد عليه مرض الرّبو وقيل : السُل، ولعله السُل الرئوي، مصحوبا بانطلاق البطن، ففقد السوائل، وانهارت صحته، وهدم المرض جسمه، فلم يستطع المقاومة، وفي 23 ربيع الثاني سنة 421هـ/29 يونيو 1030م، انتقل السلطان محمود الغزنوي إلى جوار ربه، وبذلك كانت حملته على بلاد الري وإقليم الجبال خاتمـــه أعمالـــه العسكرية، فرحل مخلفا وراءه إمبراطورية غزنوية قوية ومترامية الأطراف، شملت : البنجاب وأجزاء من السند، فضلا عن سلسلة الدويلات الهندوكية في وادي الجانج (التي دخلت تحت سيادته)، وبلوخستان

---

[1] ابن العماد، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري، شذرات الذهب في أخبـــار مـــن ذهب، إشراف: عبد القادر الارناؤوط، إعداد وتقديم: محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، 1416هـ/1989م، 4/469-470.

[2] مدينة مشهورة، تبعد عن الري بحوالي (27) فرسخاً. الحموي، البلدان، 342/4.

[3] مدينة حسنة بين الري وهمذان. المصدر نفسه، 179/3.

[4] مدينة من أعمال الري. المصدر نفسه، 297/1.

5 مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبال. المصدر نفسه، 82/1.

[6] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 313.

[7] ابن الأثير، الكامل، 729/7.

Nazim, The Life and times, p. 82

[8] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 314، ابن الجوزي، المنـــتظم، 54/8، ابـــن الأثيـــر، الكامـــل، 731/7، أبو الفدا، المختصر، 157/2، الذهبي، السير، 318/13، ابن كثير، البدايـــة، 38/12، مستوفي قزويني، تاريخ كزيده، ص: 400، الجوزجاني، طبقات، 230/1، عباس إقبال، تاريخ إيران، ص: 181.

وأفغانستان بما فيها غزنة، وغرجستان وبلاد الغور وسجستان وخراسان وبلاد فارس حتى إقليم الجبال، وطخارستان وبعض المناطق الحدودية على نهر جيحون[1].

[1] سبيلر، موجز دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى المترجمة، مركز الشارقة للإبداع الفكري،1419هـ/1998م، 7609/24.

3- علاقته مع السلاجقة :

الواقع أن المعلومات التي بين أيدينا عن أصل السلاجقة وحياتهم – قبل أن تذكر كتب التاريخ أخبارهم في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي – قليلة جداً, ولا تكفي لإعطاء فكرة دقيقة عنهم, فكل ما نعرفه أنهم مجموعة من القبائل التركية عرفوا باسم:(الغُز)[1]، كانت تسكن الهضاب القريبة من بحيرة خوارزم (بحر آرال) بالقرب من السواحل الشرقية لبحر القزوين, وفي الهضاب المحيطة بنهري سيحون وجيحون[2].

أطلق على هذه القبائل التركية أسم (السلاجقة)، نسبة إلى رجل منها, تزعمها وهو:(سلجوق بن دقاق[3]), الذي استطاع – بفضل كفاءته وحنكته ورجاحة عقله – أن يجمع شمل هذه القبائل, ويوحّد صفوفها تحت زعامته, إذ كان لا يعرف لها اسم خاص قبل توليه زعامتها[4].

أما عن أسباب هجرة هذه القبائل عن موطنها الأصلي, فيذكر بعض المؤرخين[5] أن خلافا قد دب بين بيغو ملك الخزر, وسلجوق بن دقاق الذي كان يتولى قيادة جيشه, بسبب ازدياد نفوذ الأخير, وارتفاع شانه بين الجنود؛ اضطر على أثره سلجوق وأسرته وأفراد قبيلته إلى ترك ديارهم, والهجرة نحو ديار الإسلام سنة 375 هـ / 985م. إلا أن الراوندي[6] أشار إلى أن السلاجقة أضطروا إلى الهجرة من موطنهم الأصلي, بسبب ازدحام ديارهم, وضيق مراعيهم, دون الإشارة إلى ذلك الخلاف.

---

[1] كانت هذه القبائل تسمى(الاوغوز) ثم خُففت هذه الكلمة فصارت (الغز), انظر: عبد النعيم حسنين, دولة السلاجقة, ص: 17 هامش رقم (1), ثم بعد دخولهم الإسلام دُعوا بالتركمان. انظر: بروكلمان, تاريخ الشعوب, ص:272.

[2] ابن طباطبا, الفخري, ص:22, المقريزي, تقي الدين أحمد بن علي, السلوك لمعرفة دول الملوك, صححه ووضع حواشية: محمد مصطفى زيادة, القاهرة, 1956م, 1 / 30 فامبري, تاريخ بخارى, ص: 127, عبد النعيم حسنين, دولة السلاجقة, ص: 18 العبادي, في التاريخ, ص: 180.

[3] (دقاق): باللغة التركية: القوس من الحديد, كان رجلاً شهماً, صاحب رأي وتدبير, وكان ملك الترك قد قربّه إليه وفوّض إليه أمره, حتى اصبح مستشاره الأول. انظر الحسيني، صدر الدين بن علي: أخبار الدولة السلجوقية، أعتنى بتصحيحه: محمد أقبال، مراجعة: لجنة التراث العربي، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، 1404هـ/1984م، ص: 1.

[4] الحسيني، أخبار الدولة، ص: 2، الراوندي، محمد بن علي بن سليمان، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي وآخرون، القاهرة، 1379هـ/1960م، ص: 145، القرماني، أخبار الدول, 51/2, المقريزي, السلوك, 30/1, لين بول, طبقات سلاطين الإسلام, ترجمه عن الفارسية مكّي طاهر الكعبي, حققه وقابله: علي البصري, دار منشورات البصري, 1388هـ/1968م, ص: 141. حسن محمود والشريف, العالم الإسلامي, ص: 542.

[5] الحسيني, أخبار الدول, ص: 2, ابن طباطبا, الفخري, ص: 292, المقريزي, السلوك, 30/1, الفقي, تاريخ الإسلام, ص: 109.

[6] راحة الصدور, ص: 145.

وأياً كان السبب الذي دفع قبائل الغز إلى الهجرة من أقصى التركستان إلى إقليمي ما وراء النهر وخراسان,فان المصادر تشير إلى أن سلجوق أخذ معه في هجرته ألف فارس وألف بعير, وخمسين ألف رأس من الماشية, فنزل عند المشارف الجنوبية للصحراء إلى جوار جند[1] فاعتنق اتباعه الإسلام ليكون المسلمون لهم عوناً, ويمكنوهم من المراعي والمساكن[2].

ولعل دخولهم الإسلام, لم يحدث إلا بعد أن نشأت الصلات, وتوطدت العلاقات بين أفراد هذه القبائل المهاجرة, وبين المسلمين أصحاب البلاد, ويذهب بعض المؤرخين, إلى أن السلاجقة دخلوا الإسلام بعد أن اعتنقوا المسيحية مستشهدين ببعض الأسماء التي سُمي بها أولادهم وهي من الأسماء التي وردت في الكتاب المقدّس[3].

يسّر اعتناق السلاجقة للإسلام فرصة التقرب من حكام المسلمين المجاورين لهم, والتدخل – أحيانا – في المنازعات التي كانت تثور بينهم, وقد أظهر السلاجقة نشاطاً ملحوظاً في الجهات التي هاجروا إليها, فقاموا بالذود عنها من خطر كفار الترك – بني جلدتهم –, واشترك السلاجقة في الصراع المرير الذي حدث بين السامانيين والقراخانيين, حول السيادة على إقليم ما وراء النهر, وانضموا إلى جانب السامانيين, وتمكن سلجوق من خلال هذا الصراع السيطرة على منطقة خصيبة في بلاد ما وراء النهر وضمها إلى أراضي إمارته الناشئة[4].

وهكذا أخذ السلاجقة – منذ أواخر القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي – يجنحون إلى الاستقرار بالقرب من موارد المياه, حيث توجد الأراضي الخصبة, وتكثر المراعي اللازمة, لدوابهم, فكانت منازلهم في الشتاء حول نور بخارى, وفي الصيف حول (صغد)[5] بالقرب من سمرقند[6].

توفي سلجوق بن دقاق بعد أن جاوز من العمر السنة السابعة بعد المائة وله من الأولاد ميكائيل وموسى, وارسلان المدعو اسرائيل[7], ويونس[8], وقد حقق سلجوق – خلال زعامته – جملة من الإنجازات, كانت لها انعكاساتها المهمة على تاريخهم فيما بعد, يمكن إيجازها فيما يلي[9]:

---

[1] فامبري, تاريخ بخارى, ص: 128.
[2] ابن طباطبا, الفخري, ص: 292.
[3] ايوار, (مادة: السلاجقة), دائرة المعارف الإسلامية, 24/12 – 25, الفقي، تاريخ الإسلام, ص: 109.
[4] فامبري, تاريخ بخارى, ص: 128 – 129, عبد النعيم حسنين, دولة السلاجقة, ص: 18, لين بول، طبقات سلاطين الإسلام, ص: 141.
[5] كورة عجيبة, كثيرة الأشجار, غزيرة الأنهار, عاصمتها سمرقند. الحموي, البلدان, 409/3.
[6] الراوندي, راحة الصدور, ص: 145, عبد النعيم حسنين, دولة السلاجقة, ص: 19.
[7] الحسيني, أخبار الدولة, ص: 2.
[8] الراوندي, راحة الصدور, ص: 145.
[9] فاروق عمر والنقيب، تاريخ إيران, ص: 162.

1- إيجاد مأوى جديد للسلاجقة بالقرب من جند وسمرقند – كما ذكرنا- بعد تهديد ملك الترك بيغو لسلجوق, وقد وفر هذا الملجأ الجديد لهم الكلأ والعشب الذي يعتمد عليه حياةُ هذه القبائل وبقاؤها.

2- نقل السلاجقة من عالم الكفر والوثنية إلى عالم الإسلام وتوحيد الخالق, بعد احتكاك جماعته بالمسلمين من حولهم.

3- إيجاد محل للسلاجقة في التحالفات التي تحدث على مستوى السياسة المحلية بين الأطراف المتناحرة, محاولاً الاستفادة منها لخدمة السلاجقة.

كان السلاجقة عنصراً جديداً في هذه البلاد, يختلفون عن عنصر السامانيين, في أنَّهم لم يألفوا حياة المدن والاستقرار من قبل, بل عاشوا عيشة تغلب عليها سمات البداوة؛ من ميل إلى التنقل والارتحال؛ طلباً للرزق وانتجاعاً لمواطن الكلأ, فكانت جذور الحياة القبلية راسخة في أعماق نفوسهم, الأمر الذي صبغ دولتهم بهذه الصبغة, وكان له أثر كبير في حاضرهم ومستقبلهم, فقد اعتمد سلاطين السلاجقة على القبائل التركية اعتماداً كبيراً, وكوّنوا من رجالها جيوشهم, لذلك شجعوا القبائل السلجوقية على الوفود إلى إيران وغيرها من المدن والأقاليم الإسلامية[1].

ظلَّ أمر السلاجقة في صعود في بلاد ما وراء النهر, واستمروا في تعاونهم مع الدولة السامانية ضد أعدائها, حتى إذا ما انهارت هذه الدولة سنة 389هـ / 999م, وحلت محلها الدولة القراخانية في ما وراء النهر, والدولة الغزنوية في إقليم خراسان, دخلت حياة السلاجقة طوراً جديداً, فقد خشيهم القراخانيون وحقدوا عليهم وحاولوا الإيقاع بينهم, للتخلص من خطرهم المتوقع وعوّلوا على التخلص منهم, فلجأ السلاجقة إلى بغراخان – ملك تركستان – فأذن لهم بالمقام في مملكته. إلا أنَّه ما لبث أن توجس منهم خيفةً, فحاول اعتقال بعض زعمائهم, فآثروا العودة إلى بلاد ما وراء النهر[2].

تحالف السلاجقة بقيادة ارسلان بن سلجوق مع علي تكين- أمير بخارى – فسمح لهم بالإقامة في نور بخارى, فقوى أمرهم وتحسنت أوضاعهم المعيشية والاجتماعية[3],وقد وصف أحوالهم البنداري[4] قائلاً : ((... وما زالوا في أنصر شيعة وأنضر عيشة, وهم في الرعي يكلئون الكــلأ, وفي الريع يملئون الملأ, لا يذعرهم ذاعر, ولا يردعهم داعر, والسلاطين يرعونهم للملمات ولا يروعونهم, ويدعونهم للمهمات ولا يدعونهم)).

وبذلك، أصبح للسلاجقة قوّة لا يستهان بها, وبدأ جيرانهم من القراخانيين, والغزنويين يشعرون بوجودهم وقوتهم, منذ أوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي, فبدأت صفحة جديدة من تاريخ السلاجقة, وأخذوا يظهرون على مسرح التاريخ, وبدأت تلوح في الأفق إرهاصات ميلاد دولتهم.

---

[1] عبد النعيم حسنين, دولة السلاجقة, ص: 19, حسن محمود والشريف, العــالم الإســلامي, ص: 546 – 547.

[2] بروكلمان, تاريخ الشعوب, ص: 272, لين بول, طبقات سلاطين, ص: 141.

[3] الكرديزي, زين الأخبار, ص: 306.

[4] الفتح بن علي بن محمد, تاريخ دولة آل سلجوق, ط3, تح: لجنة إحياء التراث العربي, منشورات دار الآفاق الجديدة, بيروت, 1404هــ / 1984م, ص: 7.

بدأت علاقة السلطان محمود الغزنوي مع السلاجقة, عندما عبر نهر جيحون سنة 415هـ / 1014م, قاصداً بخارى ؛ بهدف تأديب الأمير القراخاني علي تكين – الذي أفرط في ظلم المسلمين – ومساعدة حليفه قدر خان ملك الختن – كما أسلفنا – ففي أثناء حملته تلك أبلغه حليفه قدر خان بما وصل إليه السلاجقة من قوّة وثراء ؛ وحذره من خطرهم, قائلاً: ((منذ سنوات وفد على ولايتي أقوام من التركستان, فاستولوا على المراعي الموجودة في نور بخارى وصغد سمرقند, وجيوشهم كثيرة وجنودهم وفيرة, وعددهم خارج عن الحصر والعد, ورئيسهم وهو المقدم عليهم هو سلجوق بن [دقاق] وله أربعة أولاد, وهو محترم الجانب بين فرسانه... وقد تهيّأت له أسباب المُلك بما وهبه الله من فرسان أقوياء,وعدد كثير من الجند لا يبلغه إحصاء, وإنّي أرى ألاّ يمكنك أن تأمن جانبهم إذا نهضت في وقت من الأوقات وقصدت بلاد الهند, وأخشى أن يحدثوا فساداً؛ طلباً لولية أو رغبة في الاستيلاء على إحدى النواحي, أو طمعاً في المُلك, فمن الواجب عليك أن تستظهر بهم, وأن تطلب المعونة منهم))[1].

وحين استطلع خبرهم, وعلم بعظمة قوتهم, واستكثر حاشيتهم, واستعظم ماشيتهم, وخاف مضرتهم, خشي أن يفكروا في تكوين دولة تصير شوكة في ظهره, وخطراً يهدد دولته, بينما هو يواصل غزواته في بلاد الهند, وممّا زاد من مخاوفه, أن السلاجقة قد أخذوا يغيرون على المناطق المجاورة لهم ويحاولون توسيع ممتلكاتهم, فكان طبيعياً أن يدرك السلطان محمود – بتجاربه الخاصة وعقليته الراجحة – كيف تتجمع القبائل وتكوّن الجيوش ثم تقيم الدول, وأخذ يفكر في أنجح الوسائل للقضاء على قوتهم, وفل شوكتهم والتخلص من شرّهم[2].

وتأسيساً على ذلك فضل السلطان محمود الاستعانة بالحيلة والدهاء في كسر شوكتهم, وإضعاف شأنهم, فارسل إلى السلاجقة من طرفه رسولاً, وحمله رسالة, قال فيها:((إنّني لفي عجب من تدبيركم وعقلكم, ولكنكم حتى الآن, وبحكم الجوار لن تطلبوا منّا طلباً أو تلتمسوا منّا ملتمساً, وإنّني لشديد الرغبة في مصادقتكم, واستمداد المعونة منكم, ولست في غنى على الإطلاق عن معاونتكم, فإذا لم يستطع الإخوة الحضور إلّي, فليختاروا واحداً منهم, يفد إلى مقري, ولقد أتخذت مقامي على شاطئ النهر, حتى تقصر المسافة بيني وبينكم, فإذا جاءني واحد منكم عقدت معه العهد ووثقت معه المواثيق))[3].

أخذ السلاجقة بما جاء في رسالة السلطان مأخذ الجد واعتمدوا على الوفاء الإسلامي, وعلى صفاء الظاهر والباطن, فاختاروا أن يرسلوا إليه زعيمهم ارسلان, وسار هذا للقاء السلطان محمود في جيش كبير, لكن السلطان كان يدبر في نفسه أمرا, هو القبض على زعيم السلاجقة ومن معه من وجوه قومه وكبار قيادته؛ لذلك أرسل إلى ارسلان رسولاً يستقبله, ويقول لـه: ((لسنا الآن في حاجة إلى الاستمداد بجيشك وإنما جملة مقصودنا,أن ننعم برؤيتك والاستظهار بك, فاترك الجيش في مكانه, وتعال أنت مع خواصك وأعيان رجالك)), فانخدع ارسلان بن سلجوق بملاطفة السلطان, لذا ترك جيشه

---

[1] الراوندي, راحة الصدور, ص: 147.

[2] الحسيني, أخبار الدولة, ص: 3. عبد النعيم حسنين, دولة السلاجقة, ص: 23.

[3] الراوندي, راحة الصدور, ص: 147 – 148.

وسار في خاصة قادته, وفعلاً نفذ السلطان مؤامرته, وقبض على ارسلان السلجوقي وعلى وجوه خاصته وكبار قادته, وألقاهم في غياهب السجون, وسيق ارسلان إلى قلعة كالنجار في بلاد الهند فقضى فيها سبع سنوات إلى أن توفي سنة422هـ / 1030م[1].

كان لفعل السلطان محمود أثره الكبير على السلاجقة وعلى الدولة الغزنوية نفسها, أما أثره على السلاجقة، فإنَّ هذا العمل الذي يتنافى مع التقاليد الإسلامية, شجّعهم وجعلهم يُصمّمون على الثأر لزعيمهم ورجاله, ولكن في أناة ودهاء, فقد علّمهم هذا الحادث الحذر والحيطة وعدم الأمان لجيرانهم, فرسموا خطتهم على مصانعة السلطان والمكر به حتى يسمح لهم بالانتقال إلى خراسان ليبعدوا عن دسائس القراخانيين, حتى إذا ما وصلوا إلى هذا الإقليم, وثبتوا أقدامهم, سعوا إلى الانقضاض على الغزنويين والأخذ بالثأر منهم, أما أثر هذا العمل على السلطان محمود فإنّه اعتقد أنَّه كسر شوكة السلاجقة وأزال خطرهم, لذلك فارقته الحيطة والحذر, فوقع في كيد السلاجقة الذين أوقعهم من قبل في كيده[2].

تولى ميكائيل بن سلجوق أخو ارسلان, زعامة السلاجقة بعده, فكان قائداً ماهراً حكيماً, حسن التدبير والتفكير, أعَدَّ خطة محكمة تهدف إلى الانتقال بالسلاجقة إلى إقليم خراسان[3], فأرسل لذلك وفداً من وجوه قومه إلى مقر السلطان (على شاطئ نهر جيحون) وأمرهم بأن يشكوا إليه ما آلت إليه ظروفهم المعيشية من ضيق ونكد, وما لحق بهم من ظلم وجور, فلما وصل الوفد إلى مقر السلطان أبلغوا حجابه قائلين:((إنّنا أربعة آلاف أسرة, فلو يأمر الملك ويقبل أن نعبر النهر، ونتخذ من خراسان وطناً لنا, فسيكون من امرنا في راحة وستكون ولايته بنا في سعة, فنحن رعاة, ولدينا أغنام كثيرة وسيكون في جيشه منا الكثير))[4].

عندئذ سمح السلطان محمود بعبور السلاجقة إلى إقليم خراسان, وبناءً على أوامره عبر النهر أربعة آلاف أسرة كاملة بين رجل وامرأة وطفل ومتاع وخروف وجمل وحصان ودواب ونزلوا في صحراء سرخس, وصحراء فراوة[5] وباورد, ونصبوا خيامهم, واستقروا هناك[6], على الرغم من تحذير حاكم طوس ارسلان الجاذب للسلطان, وتبصيره بالخطورة التي تهدد دولته في المستقبل, بإقامة هؤلاء السلاجقة في خراسان, حيث أشار عليه بأن يقتلهم جميعاً, أو أن يأذن السلطان له بقطع أصابع أيدي رجالهم,

---

[1] المصدر نفسه، ص: 148 وما بعدها, ابن الأثير, الكامل, 715/7, المقريزي – السلوك, 31/1, بارتولد, تركستان, ص: 426, عبد النعيم حسنين, دولة السلاجقة, ص: 24. إلا أن الحسيني قد خالف ما رواه هؤلاء قائلاً: ((... واستدعى مقدمها ميكائيل بن سلجوق وندبه إلى الخروج في أهله وقبيلته إلى إقليم خراسان, فاظهر الأمير ميكائيل الامتناع من الانتقال, فغاظ ذلك السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين, فامر به فقبض عليه وعلى جماعة من أعيان قومه واعتقلهم, وامر بترحيل الأحياء مجبورين...)). انظر الدولة السلجوقية, ص: 3, وتبعه في ذلك البنداري, دولة آل سلجوق,ص:7. وما أثبتناه في المتن هو القول الراجح في الأعم الأغلب.

[2] حسن محمود والشريف, العالم الإسلامي, ص:553 – 554.

[3] الحسيني, أخبار الدولة, ص: 3. عبد النعيم حسنين, دولة السلاجقة, ص: 25.

[4] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 307.

[5] بليدة من أعمال نسا الحموي، البلدان, 245/4.

[6] الكرديزي, زين الأخبار, ص: 307.

حتى لا يستطيعوا رمي السهام, إلا أن السلطان لم يأبه بهذا التحذير[1], اعتقاداً منه بأنه قد أضعف قوّة السلاجقة بعد قبضه على زعيمهم ارسلان وكبار قادته العسكريين, وأسكنهم في نواحي خراسان, واعتبرهم رعاياه, وفرض عليهم الخراج[2].

كانت هذه الخطوة نذير شؤم على الدولة الغزنوية، واعتبر بعض المؤرخين[3]هذا الإجراء – الذي أقدم عليه السلطان محمود – من أكبر الأخطاء التي ارتكبها في حق الدولة الغزنوية, لأنَّ هؤلاء الجند الذين استقروا في خراسان أخذوا في النهب والسلب, وأصبح من الصعب إخضاعهم ؛ لأنَّ الفصائل الجديدة آلاتية من جهة نهر جيحون كانت تنضّم إليهم بين الحين والآخر, فزادت قوتهم وكثر عددهم, وأخذوا يستعدون للمواجهة العسكرية مع الجيوش الغزنوية, بهدف تحقيق حلمهم المنشود المتمثّل بإقامة لهم دولة تجمع شتاتهم.

يُعد انتقال السلاجقة إلى إقليم خراسان الاستراتيجي المهم, بداية المرحلة جديدة من مراحل الهجرة السلجوقية, بل هو في الحقيقة أهم مراحل الكفاح السلجوقي للقيام بدور في تاريخ الإسلام, كما كان لهذا الانتقال أثره الموجه لمستقبل إيران وما جاورها.

ما أن استقر السلاجقة في إقليم خراسان, حتى أخذوا يدعمون قوّتهم, وينتشروا في الأرجاء المجاورة لهم, وهم بذلك يتحينون الفرصة للانقضاض على الدولة الغزنوية, واقتلاعها من جذورها, وكان أول عمل قاموا به في سبيل ذلك, هو التقرب إلى عميد خراسان أبي سهل أحمد بن الحسن الحمدوني, فأهدوا إليه ثلاثة أفراس ختلية, وسبعة جمال بختية, وثلاثمائة راس غنم تركية, وهداه إقبالهم إلى قبول الهدية, ثم سألوه أن ينزلهم مرجاً من مروج خراسان, فأنزلهم مرج دندانقان[4]فاستقروا فيه[5].

قاد السلاجقة في مرحلتهم الجديدة, أبناء ميكائيل: جغري بك أبو سليمان داود, وطغرلبك أبو طالب محمد, وكانا يتمتعان بنفوذ كبير بين الجند ورجال القبائل, وهما اللذان واجها القوات الغزنوية, وقادا صراع السلاجقة المرير في خراسان[6].

ازدادت قوّة السلاجقة, وانتشر فسادهم في مدن إقليم خراسان, وامتدّت أيديهم إلى الرعية؛ لذا جاء أهل نسا وباورد وفراوه في سنة 418هـ / 1027م إلى بلاط السلطان محمود, يشكون إليه فساد السلاجقة (التركمان) ومن طول أيديهم, على هذه الديار, فأصدر السلطان محمود أوامره إلى أمير طوس ارسلان الجاذب أن يؤدّب هؤلاء السلاجقة ويكف أيديهم عن الرعية, وبناءً على ذلك دخل معهم أمير طوس في معارك طاحنة, استطاع السلاجقة أن ينتصروا عليه, ويهزموه هزائم متعددة, فلما علم السلطان بذلك, كتب إليه يعنفه, ويلومه, ونسب العجز إليه, فرد عليه أمير طوس رداً قال فيه : ((إنَّ التركمان قد زادت شوكتهم وقوي شأنهم, وليس من المستطاع تدارك فسادهم, إلا

---

[1] نفس المصدر والصفحة,الحسيني أخبار الدولة, ص: 3، الراوندي, راحة الصدور, ص: 153 - 154.

[2] حسن محمود والشريف, العالم الإسلامي, ص: 554.

[3] انظر: الجوزجاني, طبقات, 231/1, بارتولد, تركستان, ص: 426,

[4] بلدة من نواحي مرو الشاهجان, تبعد عنها بنحو عشرة فراسخ, الحموي, البلدان, 477/2.

[5] الحسيني، أخبار الدولة، ص: 3، البنداري، تاريخ آل سلجوق, ص: 7, عبد النعيم حسنين, دولة السلاجقة، ص:26.

[6] الراوندي, راحة الصدور, ص: 154, حسن محمود والشريف، العالم الإسلامي، ص: 555.

تحت رايتك وركابك الخاص, وإذا لم ياتِ السلطان بنفسه, لتلافي هذا الفساد, فسوف يصيرون أكثر قوّة, ويصبح تدارك الأمر أكثر صعوبة))[1].

ولّما قرأ السلطان محمود هذا الرد؛ ضاق صدره, ولم يقر له قرار, وخرج من غزنة على رأس جيش جرّار سنة 419هـ / 1028م, وذهب إلى بُست ومن هناك إلى طوس, ثم أمر السلطان بإعداد فوج كبير من الجيش بكامل العتاد العسكري, مع عدد من القادة الشجعان, وأسند قيادته إلى أمير طوس, وامرهم بمحاربة السلاجقة والقضاء على فسادهم, فلما وصل الجيش بالقرب من رباط فراوة التقى مع السلاجقة,فدارت هناك معركة عنيفة, استطاع فيها الجيش الغزنوي, أن يتفوّق على السلاجقة ويلحق بهم هزيمة ساحقة، فقتل منهم أربعة آلاف فارس, وأسر منهم العديد, ولاذ الباقون يجرّون أذيال الهزيمة, فدخلوا بلخان[2] ودهستان[3], وبذلك يمكن القول إنَّ السلطان قد حدّ من فسادهم في هذه النواحي, وكسر شوكتهم وأضعف قوّتهم,ولكنه لم يستطع طردهم بشكل نهائي من خراسان.

وعلى الرغم مما لحق بالسلاجقة من قتل وتشريد, على يد السلطان محمود وجيشه, إلا أن خطرهم ظل قائماً, فهو كالبركان ما أن يهدأ حتى يثور, فقد عادوا من جديد إلى عمليات النهب والسلب, وعاثوا في الأرض فساداً, وعمد السلطان – إزاء ذلك – إلى تطبيق خطة جديدة, تهدف إلى الحد من فسادهم والقضاء على نفوذهم المتزايد, وهذه الخطة تقضي بأن يتم توزيع تجمعات السلاجقة في نواحي البلاد, في محاولة لتشتيت شملهم واضعاف قوتهم, ومنعهم من التكتل بأعداد هائلة. فأرسل لذلك جيشاً كبيراً سنة 420هـ / 1029م وأمرهم بتنفيذ خطته المرسومة, وفعلاً استطاع هذا الجيش أن يفرّق شملهم, ويجلي الكثير منهم عن إقليم خراسان, فسار منهم حوالي ألفين عائلة نحو أصبهان, فكتب السلطان إلى حاكمها علاء الدولة أن يرسلهم أو يبعث برؤوسهم إليه, فدخل معهم حاكم أصبهان في حروب طاحنة أجبرت السلاجقة على الرحيل من أصبهان باتجاه أذربيجان[4], فدخلوا مراغة[5] وأحرقوا جامعها وقتلوا من سكانها مقتلة عظيمة[6].

وعلى الرغم من ذلك بقي من السلاجقة في خراسان أكثر ممن قصد أصبهان, فأتــوا جبــل بلجان[7]عند خوارزم القديمة, فنزل كثير منهم من الجبل إلى البلاد, ونهبوا وخرّبوا وقتلوا العديد من سكانها, فجّرد السلطان محمود إليهم ارسلان الجاذب أمير

---

[1] الكرديزي, زين الأخبار, ص: 311.

[2] مدينة خلف ابيورد. الحموي, البلدان, 479/1.

[3] الكرديزي, زين الأخبار, ص: 311 – 312. ودهستان: بلد مشهور في طرف مازندان قــرب خوارزم وجرجان. انظر: الحموي, البلدان, 492/2.

[4] إقليم واسع تتصل حدوده شرقاً بــ: (برذعة) وغرباً بــ: (ارزنجان),ومن الشمال يتّصل بــبلاد والجيل, وبه عدد من المدن الكبيرة المشهورة, اهلها مدينة (تبريز) عاصمة الإقليم واكبر مدينة. راجع: الحموي، البلدان, 128/1.

[5] بلدة مشهورة عظيمة, من اعظم واشهر بلاد أذربيجان, الحموي, البلدان, 93/5.

[6] ابن الأثير, الكامل, 715/7, ابن العبري, مختصر الدول, ص: 314 – 315.

[7] من قرى مرو. الحموي, البلدان, 479/1.

طوس فسار إليهم ولم يزل يتتبعهم من ناحية إلى أخرى نحو سنتين, فاضطر السلطان محمود أن يذهب إلى خراسان بسببهم فسار يطلبهم إلى دهستان, ورحلوا إلى جرجان. ثم عاد السلطان, وكلّف ابنه مسعود بمتابعة أمرهم[1].

وصفوة القول, أن السلطان محمود – بما امتلكه من شخصية قوّية, وجيش ضخم, مدرب ومنظم ومسلح بأعتى الأسلحة المعروفة وقتذاك – استطاع أن يحد من خطر السلاجقة, ويفل شوكتهم, ويفرق جمعهم, ولم يترك لهم الفرصة, للنيل من سيادة دولته واستقلالها, خلال مدّة حكمه الممتدة من 387 – 421هـ / 997 – 1030م. مع أنَّه ارتكب خطأً سياسياً كبيراً عندما سمح لهؤلاء السلاجقة بعبور نهر جيحون, واستقرارهم في إقليم خراسان, ؛ لأنَّ ذلك الإجراء تسبب في متاعب كبيرة للدولة الغزنوية, وأنهك قواها, وكلفها الكثير من الخسائر المادية والبشرية, أدّت في النهاية إلى انهيارها وسقوط خراسان بيد السلاجقة سنة 431هـ / 1039م إثرَ معركة داندانقان الشهيرة[2].

---

[1] ابن الأثير, الكامل, 716/7.

[2] وقعت هذه المعركة بعد وفاة السلطان محمود, وهي خارج نطاق دراستنا ويمكن الرجوع لمعرفة تفاصيلها إلى: الكرديزي, زين الأخبار, ص: 331 وما بعدها, البيهقي, تاريخ, ص: 663, وما بعدها, الحسيني, أخبار الدولة, ص: 11 – 12.

4- علاقته مع دار الخلافة العباسية :

ضعفت الدولة العباسية منذ بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ؛ بسبب ازدياد نفوذ الأتراك, وانفرادهم بالسلطة والنفوذ دون الخلفاء, حتى أن سلطان الدولة العباسية لم يتجاوز بغداد وضواحيها,وفي غضون ذلك ارتفع شأن بني بويه, ودخل الحسن بن بويه بغداد في عهد الخليفة العباسي المستكفي سنة 334هـ / 945م, حيث أكرم الخليفة وفادته, ولقبه:(معز الدولة)[1], ولم يلبث هذا الأمير أن استأثر بالنفوذ في الحاضرة العباسية دون الخليفة, وعن ذلك ذكر البيروني[2] أن الدولة والملك قد انتقل من آل العباس إلى آل بويه.

كان لظهور الدولة الغزنوية في بلاد المشرق الإسلامي أثره على الخلافة العباسية التي كانت تعاني من سيطرة بني بويه الشيعة وسطوتهم, خاصة إذا ما علمنا أن الغزنويين كانوا من أهل السنّة الملتزمين, فقد أعطى الغزنويّون بولائهم للخلافة العباسية دفعة قوية أعانتها على مقاومة التغلب البويهي, فضلاً عن أن فتوحات السلطان محمود الغزنوي في شبه القارة الهندية ساعدت على مَدْ نفوذ الخلافة العباسية إلى مناطق لم تكن لتبلغها إلا بفضل ولاء السلطان محمود الغزنوي لها[3].

وهذا يعني أخيرا بعث الأمل في نفس الخليفة العباسي, بعد أن تجاوزه الأمراء, وأذلّه الشيعة البويهيون, ونازعه الفاطميون الخلافة, لكن ظهور السلطان محمود بقوته وسنيته وإقراره بسلطة الخليفة الروحية, فوّتت على الطامعين فرصة الانقضاض على الخلافة[4].

ومن الجدير بالذكر أن حكام الدويلات التي نشأت في إقليم المشرق الإسلامي لم يكن بإمكانهم الاستغناء عن الاعتراف بسيادة الخلافة؛ لأنها وسيلة في أيديهم لدفع غضب المسلمين وثوراتهم, ولأن اعتراف سلطة الخلافة الاسلامية هي أساس الحكم في الدول الإسلامية, فكانت رمزاً لوحدة العالم الإسلامي؛ الوحدة التي كانت موطن الحُب والتقدير من كل المسلمين, بدليل أن الخليفة عُد – حتى في دور ضعف الخلافة – نظرياً زعيماً روحياً للدولة الإسلامية, فكان الحكام المستقلون يجدون من الحكمة الحصول على اعتراف الخلافة بسلطتهم[5].

---

[1] انظر: ابن الأثير, الكامل, 157/7, سرور, تاريخ الحضارة, ص: 4.

[2] البيروني, أبو ريحان محمد بن أحمد, الآثار الباقية عن القرون الخالية, تح: ادوارد سخاو, مطبعة لايبزج, 1923م, ص: 132.

[3] بدر عبد الرحمن، رسوم, ص: 15.

[4] الشابي, الأدب الفارسي, ص: 19.

[5] خطاب, علاقات, ص: 119.

كان السلطان محمود يطمح – منذ أن تولى عرش الدولة الغزنوية سنة 388هـ / 998م – إلى انتزاع اعتراف الخلافة العباسية بشرعية حكمه ؛ ليظهر عظمة دولته في المجالين السياسي والعسكري, وأنَّه حريص على حماية ونشر الإسلام, وصون مكتسباته الحضارية في المشرق, ومن هذا المنطلق قام محمود بتوثيق علاقته مع دار الخلافة العباسية, وحكامها, يومئذ القادر بالله؛ حرصاً منه على صبغ حكمه بالصبغة الشرعية, وكان ذلك لا يتم إلا إذا أرسل الخليفة القادر بالله تقليداً للسلطان الجديد بالحكم[1].

توطدّت العلاقة بين السلطان محمود والخليفة العباسي القادر بالله, يتضح ذلك من خلال كتاب السلطان محمود الذي بعثه إلى الخليفة العباسي, عُقيب فتح خراسان وانهيار الدولة السامانية, فقد أعلن من خلاله طاعته وولاءه لدار الخلافة العباسية, معتبراً ذلك الفتح فتحاً للخلافة العباسية, طالباً من الله أن يواصل للخليفة الفتوح, قرباً وبُعداً وغوراً ونجداً وبراً وبحراً, كما تعهد بخدمة الخليفة والدفاع عن عاصمته, وفعلاً استطاع من خلال هذا الكتاب المهم أن يكسب عطف الخليفة, وتأييده الروحي, وبذلك يتجلى انصياع السلطان محمود وخضوعه لدار الخلافة العباسية على أقلّ تقدير من الناحية الروحية[2].

بادر الخليفة العباسي القادر بالله بالاعتراف بالدولة الغزنوية وشرعية حكم السلطان محمود, وجرت العادة أن يصدر البلاط العباسي مرسوماً رسمياً بهذا الأمر, اعترافاً منها بمكانة الدولة الغزنوية وحاكمها السلطان محمود, وحمايته للمشرق الإسلامي, ودرءاً للخطر المحدّق بالخلافة من قبل البويهيين وتسلطهم على دار الخلافة[3].

ومما أدىّ إلى ترسيخ العلاقة وتوطيدها بين الطرفين ؛ أن السلطان محموداً كان من العاملين على نشر الدين الإسلامي, من خلال فتوحاته المظفرة في شبه القارة الهندية, إلى جانب محاربته للفرق والمذاهب الدينية المناوئة للمذهب السُني في بلاد المشرق,كما أنَّه اتّبع سياسة متشددة تجاه الفاطميين أصحاب الفكر الإسماعيلي, ووقف بقوة للحد من أطماعهم السياسية والدينية, متخذاً في سبيل ذلك كل الوسائل الممكنة, حرصاً على بقاء العلاقة ودّية مع دار الخلافة العباسية السنّية[4].

ومن عوامل ترسيخ العلاقة بين الطرفين أيضا ؛ أن السلطان محمود لم يكن مغتصباً للأقاليم التي انضوت تحت سيطرته, عن طريق التمرد والعصيان على سلطة الخلافة, بل كان قد انتزعها من الدولة السامانية التي كانت لا تعترف بشرعية خلافة

---

[1] الجوارنة, جهود السلطان, ص: 128.

[2] انظر نص كتاب السلطان محمود المرُسل للخليفة القادر بالله:الصابي,تاريخ,ص: 341 – 345.

[3] انظر: العتبي: تاريخ, /317, الكرديزي, زين الأخبار, ص: 281.
ميرخواند, روضة الصفا, ص: 136.

[4] ابن الجوزي، المنتظم, 287/7. وانظر: عن دور السلطان محمود في نشر المذهب السُني في إقليم المشرق, ومحاربته للدعاة الفاطميين وفكرهم الاسماعيلي.الفصل الثاني من هذه الدراسة.

القادر بالله[1]. كما أن السلطان محمود لم يحاول أن يتجه بأطماعه إلى البلاد الداخلية من العالم الإسلامي, إلا حينما كان يريد إعادة السيادة والنفوذ العباسي إلى تلك البلاد, كما حدث بالنسبة لسيطرته على خراسان وانتزاعها من يد السامانيين.

تجلى خضوع السلطان محمود الغزنوي لتعاليم الخلافة العباسية الدينية في سنة 408هـ / 1018م, حينما استتاب الخليفة القادر بالله فقهاء المعتزلة وأظهروا البراءة من الإعتزال, واستن السلطان محمود بسنته ونكّل بأصحاب الأهواء من الفرق والطوائف الدينية المناوئة للمذهب السُني في بلاد المشرق[2].

أعلن السلطان محمود أن فتوحاته في بلاد الهند إنما هي – أيضا – تجري بمشيئة الخليفة العباسي, وأنَّه يدافع عن نفوذ الخلافة ويحفظ هيبتها في الشرق الإسلامي, أكدّ ذلك في رسالة للخليفة العباسي. القادر بالله قال فيها:((...وانتدب العبد[يقصد نفسه] تنفيذ أوامره العالية ومراسمه السامية, وتابع الوقائع على كفار السند والهند...))[3].

ويبدو أن طابع العلاقة السائدة بين السلطان محمود ودار الخلافة العباسية, كان قائماً على أساس المودة والاحترام المتبادل, والولاء والطاعة المطلقة, وأنَّ السلطان محمود لم يحارب للانتقاص من هيبة الخلافة واقتطاع أجزاء من ممتلكاتها, بل سعى إلى توسيع نفوذ ورقعة الدولة العباسية, لهذا فان الخليفة العباسي في بغداد كان يجد بعض العزاء عما ضاع من سلطانه, بسبب تحكم البويهيين بمقدرات دار الخلافة, حين رأى أن محموداً الغزنوي الذي أخذ نجمه في الصعود, يظهر له هذا الإحترام الكبير ويوقفه على انتصاراته[4].

ارتبطت علاقة السلطان محمود بدار الخلافة ببعض مظاهر التبعية الاسمية منها: الخطبة: وهي ذكر اسم الخليفة العباسي مقترناً باسم السلطان محمود في خطبة صلاة الجمعة على جميع منابر البلاد التابعة لسيادته وأصلهُا أن الخلفاء كانوا يتولون إمامة الصلاة بأنفسهم فكانوا يختمون فروض الصلاة بالدعاء للنبي (ص) والرضا عن الصحابة, فلما فتح المسلمون البلدان كان الولاة يقومون بامامة الصلاة في ولاياتهم[5], وكان الخلفاء ينفردون بميزة ذكر أسمائهم في الخطبة دون غيرهم من الناس, لأنها من أهم شارات الخلافة وتمثّل سلطة الخليفة السياسية الروحية[6].

غير أن هذا الرَسَم تغير حينما ظهرت الحركات الانفصالية في ولايات الدولة العباسية, إذ أخذ حكّام هذه الولايات يشاركون الخليفة في الخطبة؛ بذكر أسمائهم بعد

---

[1] النرشخي, تاريخ بخارى, ص: 117, الروذراوري, أبو شجاع محمد بن الحسن الملقب: (ظهير الدين), ذيل تجارب الأمم, اعتنى بالنسخ والتصحيح: هــ.ف. آمدروز، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، (لا. ت), ص: 332. خطاب, علاقات, ص: 123.

[2] ابن الجوزي, المنتظم, 287/7.

[3] المصدر نفسه, 292/7.

[4] خطاب, علاقات, ص: 123.

[5] ابن خلدون, تاريخ, 169/1.

[6] سرور, تاريخ الحضارة, ص: 56.

اسم الخليفة, وبلغ الأمر ببعض الدول أن اقتصرت على ذكر العباسي تقليداً في ذلك لما سلف من الأمر بدون تعيينه والتصريح باسمه[1].

وتجدر الإشارة أن السلطان محموداً الغزنوي – الذي كان من أقوى الأمراء في أيامه في الشرق وعلى الرغم من عدم حاجته إلى مؤيد لسلطته غير جيوشه الخاصة – حرص على إظهار الولاء والاعتراف بسلطة الخليفة التي تمثل سلطة الشرع الإسلامي المهابة, فكان يقيم الخطبة باسم الخليفة العباسي القادر بالله, لهذا يُعدّ أوّل من أقام هذا الرسم بإسم الخليفة، من أمراء الدولة الغزنويّة وسلاطينها؛ وبسبب عدم وجود إشارات إلى إقامتها قبل هذه الفترة؛ وقد يعود السبب إلى أن الدولة الغزنوية (قبل تولي السلطان محمود العرش) كانت تابعة من الناحية الاسمية للدولة السامانية, وربما يقيمون الخطبة للأمراء السامانيين[2].

بدأ السلطان محمود الغزنوي هذا الرسم منذ أن انتزع إقليم خراسان من يد الدولة السامانية,وأعلن استقلاله بصورة نهائية عنهم سنة 389هـ / 999م, بدليل ما أورده في كتابه الذي بعثه للخليفة العباسي القادر بالله, إذ قال: ((... وكتابي هذا وقد فتح الله تعالى لمولانا أمير المؤمنين بلاد خراسان قاطبة, وجعل منابرها تذكر سمه متباهية...))[3].

ومن مظاهر الولاء والتبعية – إلى جانب الخطبة – للخليفة العباسي, نقش اسم الخليفة على العملة لان السّكة تُعَد من اهم شارات الدولة, ولها اتصال وثيق بسيادة الدولة واقتصادها, ويمكن اعتبار نقش اسم الخليفة على السكة من قبل حاكم ولاية ما, مظهراً من مظاهر الخلافة, الذي يرمز إلى الوحدة, بين بلاد الخلافة الإسلامية,كما يعني بقاء سيادة الخليفة وسلطته على تلك الأقاليم أو الدولة ولو من الناحية الاسمية[4].

من جهة اخرى كان نقش اسم الخليفة العباسي على السّكة,من قبل الأمراء الانفصاليين يدعّم الدول المستقلة ويجعلها تحصل على رضا الناس الذين اعتادوا على أنَّ طاعة الخليفة واجبة, لهذا التزم السلطان محمود بنقش اسم الخليفة على نقوده طيلة عهده, بعد أن كان الأمراء الغزنويون السابقين ينقشون اسم الامير الساماني إلى جانب أسمائهم, فأمر بأن يكتب على النقود في البلاد التي كانت تحت نفوذه, اسم الخليفة القادر بالله, وينقش معه اسمه مقترناً بالألقاب التي منحها إيّاه الخليفة, ولمّا قلّد الخليفة القادر بالله ابنه أبا الفضل[5] ولاية العهد, كاتب السلطان محمود في هذا الشأن, فألحق

---

[1] ابن خلدون, تاريخ, 170/1, خطاب, علاقات, ص: 125.

[2] راجع: الصابي, تاريخ, ص: 344, خطاب, علاقات, ص: 126.

[3] انظر: نص كتاب السلطان محمود عند الصابي, تاريخ, ص: 341 – 345.

[4] خطاب, علاقات, ص: 129.

[5] محمد بن القادر بالله, كان ابوه قد رشحّه للخلافة, وجعله ولي عهده ولقبّه الغالـــب بـــالله,ونقش اسمه على السكة ودُعي له في الخطبة بولاية العهد له بعده ثم أدركه اجله في شهر رمضان سنة 409هـــ / 1010م ودفن بالرضافة. انظر: ابن الجوزي, المنتظم, 292/7.

اسم ولي العهد, باسم أبيه في الخطبة والسكة, فصارت الخطبة تقام باسميهما, وينقش اسماهما على الدنانير والدراهم الغزنوية[1].

وهكذا تتضح لنا تبعية السلطان محمود الاسمية وذلك بكتابة اسم الخليفة على نقوده بجانب اسمه, وكان يلتزم بذلك الرسم بمحض اختياره؛ ليبرهن على ولائه وتبعيته لدار الخلافة العباسية, على العكس تماماً من الأمراء البويهيين الذين ما أن دخلوا بغداد حتى أمروا بكتابة أسمائهم على النقود بجانب اسم الخليفة العباسي, ولم يكتفوا بهذا فحسب بل بلغ بهم الغرور والتجبّر أن قاموا بحذف لقب أمير المؤمنين من العملة واكتفوا بذكر اسمه مجرداً من هذا اللقب, في حين حرصوا على ذكر أسمائهم وكناهم على العملة في بغداد[2].

من جهة اخرى فإن الخلافة العباسية, كانت هي الأخرى تقدّر احترام السلطان محمود والتزامه بالتبعية الاسمية لها, وفي مقابل ذلك بادر الخليفة القادر بالله بإرسال عهود التولية (التقليد) إلى بلاط غزنة, معترفاً بشرعية حكم السلطان محمود لجميع المدن والأقاليم الواقعة تحت سيطرته[3], فكان لهذا التفويض أهمية بالغة في نظر المسلمين على اعتبار أن سلطته أصبحت مستمدة من دار الخلافة.

وهكذا يبدو أنَّه لم يكن باستطاعة السلطان محمود الاستغناء عن تأييد الخلافة له, لهذا حرص على نيل عهود التولية من قبل الخليفة القادر بالله, فما أن استولى على إقليم خراسان حتى لجأ إلى الخليفة العباسي يلتمس منه تفويضاً رسمياً بحكم البلاد التي سيطر عليها, وكانت الخلافة مضطرة إلى إصدار عهود التولية مقابل التزامه ببعض مظاهر التبعية؛ بسبب عدم قدرتها – في الغالب – على مواجهته, فبعث الخليفة القادر بالله منشوراً رسمياً يتقلّد السلطان محمود بموجبه حكم البلاد المفتوحة في نفس العام الذي فتح فيه خراسان.

وكانت طريقة التقليد, وكتابة عهود التولية من قبل الخلفاء العباسيين, تفتح بلفظ: ((هذا ما عهد به عبد الله ووليه فلان بن فلان الإمام الفلاني إلى فلان الفلاني حين عرف منه. ويذكر بعض صفاته... ثم يقال فقلده كذا وكذا, ويأتي بما يناسب من الوصايا, ثم يقال: فتقلد كذا وكذا، ثم يقال: هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته عليك أو نحو ذلك ولا يأتي فيه بتحميد في اول العهد))[4].

وفي بعض الأحيان كان اعتراف الخليفة العباسي أمراً ضرورياً يحرص عليه السلطان محمود، ويبذل الجهد والمال في سبيل الحصول عليه, وقد بعث السلطان محمود بالهدايا الكثيرة إلى بهاء الدولة البويهي – كما ذكرنا سابقاً – ليتوسط له لدى الخليفة القادر بالله ليقرّه على ما بيده من البلاد المفتوحة وعلى الرغم من وفاة بهاء

---

[1] انظر: العتبي, تاريخ, 112/2, النجرامي, محمد يوسف, العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية دار العلوم, جامعة القاهرة, 1395 هـ / 1975 م, ص: 137.

[2] سرور, تاريخ الحضارة, ص: 56 – 57.

[3] العتبي, تاريخ, 111/2.

[4] انظر: القلقشندي, صبح الأعشى, 242/1 – 343.

الدولة سنة 403هـ / 1013م, فقد نجحت مساعيه, وحصل على مرسوم من الخليفة في شعبان سنة 404 هـ / 1013م[1].

والى جانب عهود التولية التي حرصت دار الخلافة على إرسالها للسلطان محمود, فقد أنعمت عليه بعدد كبير من ألقاب التشريف والتضخيم ذات الدلالات الدينية والسياسية, كان أولها وأهمّها ذلك اللقب الذي عُرف به السلطان محمود وهو (يمين الدولة وأمين الملة) الذي أطلقه عليه الخليفة القادر عُقيب فتح خراسان سنة 389 هـ / 999م[2]. وقد علّق العتبي[3]على ذلك اللّقب المهم قائلا:((... ولقبه في كتابه بيمين الدولة وأمين الملة, لقباً كان مصوناً في صدف الشرف, لم تنله أيدي الغاصبة قط على كثرة الطلاب, وتنافس الملوك في الألقاب...)), بمعنى أنّه أفرده بلقب مهم لم ينله غيره, له دلالاته الدينية والسياسية.

مُنح السلطان من قبل الخليفة العباسي القادر بالله، بأكبر لقب ظل له شأن كبير عند الأجيال التالية وهو لقب:(سلطان)، حيث أشارت بعض المصادر[4] إلى أن محموداً الغزنوي أولّ من تلقب بـ:(سلطان) في الإسلام، ولم يتلقب به أحد قبله، غير أن هذا اللقب الذي نُسب إلى محمود الغزنوي لم يؤيده العتبي؛ لأنَّه لم يذكر ذلك عندما عدد الألقاب التي منحها إيّاه الخليفة، مع أنّه كان دائماً يطلق على محمود لقب: (سلطان) ويقول في تفسير ذلك أن محموداً قد اصبح حاكماً مستقلاً. ومع ذلك فان كلمة (سلطان) لم تكن في نظر العتبي قد غدت لقباً رسمياً، لأنّ هذا اللقب كان يطلق حتى على الخليفة نفسه[5]، كما أن هذا اللقب لم يظهر على سكة السلطان محمود، ولا على سكة الذين خلفوه مباشرة، ويرى البعض[6] أن هذا اللقب لم يكن معروفاً في أيامه، وأنَّ أوّل من تلقب به في الإسلام هو (طغربك)[7] السلجوقي، ثم لقب به ملوك غزنة، ونُقش لأول مرة على سكة إبراهيم بن مسعود[8] الغزنوي الذي تولى العرش سنة 451هـ/1059م.

---

[1] ابن الجوزي, المنتظم, 52/8, بدر عبد الرحمن, الحياة السياسية, ص: 190.

[2] انظر: العتبي, 317/1, الكرديزي, زين الأخبار, ص: 281, الطوسي: سياست نامه, ص: 192, ابن الجوزي, المنتظم, 53/8.

[3] تاريخ, 317/1.

[4] ابن الأثير، الكامل، 489/7، النويري، نهاية الأرب، 34/26، ابن خلدون، تاريخ، 436/4، الجوزجاني، طبقات، 228/1، شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية) ط5، المكتب الإسلامي، بيروت، 1411هـ/1991م، 190/6.

[5] العتبي، تاريخ، 311/1، كرامرز، (مادة: سلطان)، دائرة المعارف الإسلامية، 83/12.

[6] كرامرز، المرجع نفسه، 84/12، كنجويرث ديمز، (مادة: أفغانستان)، دائرة المعارف الإسلامية، 291/2-292.

[7] محمد بن ميكائيل بن سلجوق أبو طالب (السلطان) اول سلاطين السلاجقة والمؤسس الفعلي لدولتهم، دخل بغداد سنة 447هـ/1055م، وازال عنها نفوذ بني بويه، وسيطر على زمام الأمور طوال عهده، توفي بالري سنة 455هـ/1063م. للمزيد عنه راجع: ابن الجوزي، المنتظم، 233/8-134، حسن محمود والشريف، العالم الإسلامي، ص: 556 وما بعدها.

[8] كان سلطاناً عادلاً زاهداً، صاحب دولة، تولى الحكم بعد وفاة أخيه فرخ زاد بن مسعود بحدود سنة 451هـ/1059، تصالح مع السلاجقة على ألا يتعرض أي منهما لولاية الآخر،وفتح=

ويرى بارتولد[1] أن كلمة (سلطان) استعملت كلقب سياسي عُرف به محمود الغزنوي على أقلّ تقدير داخل دوائر البلاط الغزنوي، من قبل مؤرخي البلاط وشعرائه، وكذلك فيما يغلب الظن كتّاب الإنشاء.

درج السلطان محمود على إذاعة أنباء انتصاراته وفتوحاته في شبه القارة الهندية إلى دار الخلافة، وفي مقابل ذلك بعثت إليه الخلافة ألقاب التشريف والتفخيم، تشجيعاً له على الفتح ومحاربة الكفار، فعندما عاد يمين الدولة محمود من فتح نارين[2] في الهند سنة 404هـ/1015م، ظافرا منصورا، طلب من الخليفة منشورا يقلده ولاية خراسان، وما بيده من الممالك المفتوحة، فكتب الخليفة القادر بالله له بذلك، ولقبه في كتابه بـ: (نظام الدين ناصر الحق)[3]، وفي سنة 417هـ/1026م كتب الخليفة القادر بالله إلى السلطان محمود، وقلده لواء خراسان وهندوستان وسجستان وخوارزم، ولقبه بـ: (كهف الدولة والإسلام) ولقب ابنه مسعود بـ: (شهاب الدولة وجمال الملة) وابنه الثاني محمد بـ:(جلال الدولة وجمال الملة)، واخوه يوسف بـ: (عضد الدولة ومؤيد الملة)[4]، ونال السلطان محمود من الخليفة أيضا لقب: (ولي أمير المؤمنين)[5] ولقب: (الغازي)[6] و (نصير أمير المؤمنين)[7] و (ناصر الحق) و (مكسر الأصنام)[8].

يبدو أن السلطان محمود كان حريصا على نيل المزيد من الألقاب؛ إدراكا منه لأهميتها في تعزيز موقفه في الداخل والخارج، وفي رفع شأنه وتثبيت حكمه، فعلى سبيل المثال، بعد أن استولى على ولاية سجستان وخراسان وولايات لا حصر لها في بلاد الهند وحطّم صنم سومنات، واستولى على سمرقند وخوارزم وبلاد الري والجبل وأصبهان وطبرستان، بعث إلى الخليفة القادر بالله يطالبه بمزيد من الألقاب، وعندما لم يجبه الخليفة إلى مطلبه، استاء السلطان، وعندئذ أرسل إليه بكتاب يقول فيه: ((لقد فتحت في بلاد الهند الفتوح، ووطدت عز الإسلام في الهند وخراسان والعراق [يقصد العراق العجمي]، واستوليت على ما وراء النهر، وكنت أحارب بالسيف باسمك. أن الخاقان – وهو الآن من مطيعيّ وعمالي – يمُنح ثلاثة ألقاب، في حين أمنح أنا لقباً واحداً بعد كثير من الهدايا والالتماسات))، فأجابه الخليفة بقوله: ((... إنَّ الخاقان لقليل علمه، وهو تركي من أمراء الأطراف، ولقد أجبناه لطلبته؛ لقلة علمه ورعاية لشرفه، أما أنت فعلى معرفة بكل علم، ومنا قريب، أن رأينا فيك، وثقتنا بك واعتمادنا عليك وتيقننا من تدينك؛ لأفضل وأرفع وأكثر من أن تطلب الينا لقباً...) فاسقط بيد محمود لما

=الأماكن في بلاد الهند، توفي سنة 481هـ/1088م. للمزيد راجع: ميرخواند: روضة الصفا، ص: 168-169.

[1] تركستان، ص: 410.

[2] هي بلفظ النار التي هي واحدة النيران،مدينة من ديار الهند.العتبي – المنيني–، تاريخ، 120/2.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، 53/8.

[4] الهروي، طبقات اكبري، 33/1.

[5] القلقشندي، صبح الأعشى، 493/5.

[6] الجوزجاني، طبقات، 228/1.

[7] ابن العمراني، الأنباء، ص: 185

[8] لين بول، سلاطين الإسلام، ص: 266.

سمع هذا الجواب، ويقال إنَّ السلطان ندم على ذلك، وأرسل إلى الخليفة مقدماً اعتذاره عمّا بدر منه، ثم عادت العلاقات بين الرجلين إلى ما كانت عليه من الود والولاء[1]، وهناك من يذكر أن محموداً كان قد هدد الخليفة بدخول بغداد عسكريا، بعد امتناع الخليفة عن منحه ألقاباً إضافية[2].

نستنتج من النص السابق، أن السلطان محمود كان يسعى بمختلف الوسائل الممكنة في سبيل الحصول على مزيد من الألقاب التشريفية؛ لأنَّه لم يكن بإمكانه الاستغناء عن دار الخلافة في ذلك، لهذا يمكن اعتبار منح الألقاب من قبل دار الخلافة العباسية للسلطان محمود عاملا مساعداً في توثيـق عُـرى الصداقة والمودة بين الطرفين من جهة, وفي تدعيم شرعية حكمه في نظر المسلمين من جهة آخرى.

وتأسيسا على ما سبق ذكره، يمكن القول إن العلاقات السياسية بين السلطان محمود الغزنوي ودار الخلافة العباسية في بغداد، كانت في معظم أطوارها ومراحلها علاقة وُدْ وصداقة واحترام متبادل، نابع من قدسّية الخلافة في نفوس امراء وملوك وسلاطين الإسلام عامة والغزنويين خاصة، الذين يرون في الخلافة الرمز الديني والروحي لوحدة العالم الإسلامي.

---

[1] انظر: الطوسي، سياست نامه، ص: 192-193.

[2] خطاب، علاقات، ص: 143, نقلا عن: عنصر المعالي: قابوس نامه، ص: 202.

الفصل الرابع

دور السلطان محمود الغزنوي في نشر الإسلام في شبة القارة الهندية:

1-الإسلام في الهند قبل الفتح الغزنوي
2- أحوال الهند السياسية والاجتماعية والدينية قبل الفتح الغزنوي
3- اسباب (دوافع) فتوح السلطان محمود في شبه القارة الهندية
4-حملات السلطان محمود وفتوحاته في شبه القارة الهندية
5-الآثار الحضارية لفتوح السلطان محمود على شبة القارة الهندية

158

1- الاسلام في الهند قبل الفتح الغزنوي:

كان العرب في أسفارهم البحرية قبل الإسلام في المحيط الهندي, قد اقاموا مستوطنات تجارية على الساحل الجنوبي لبلاد الهند, واصبحوا بذلك واسطة مقايضات التجارة الهندية, ماورد منها برّاً عن طريق بلاد فارس, فتولاه المناذرة والغساسنة ليبلغوا به موانئ الشام, أو بحراً عن طريق المحيط الهندي والبحر الاحمر, فحملة اليمنيون من أبناء سبأ, ومنه ما كان من نصيب مصر ليقايضوا عليه تجار الرومان والاغريق بموانئهم على ربح طائل وفير[1].

هكذا كان العرب على معرفة كافية ببلاد الهند واحوالها, عن طريق تجّارهم الذين سكنوا السواحل الغربية من هذه البلاد, كما حمل هؤلاء العرب إلى بلاد الهند أسلوبهم نفسه في الحياة, فضلاً عن عاداتهم وتقاليدهم القبلية العدنانية والقحطانية[2].

لا بُدّ أن هذه المستوطنات قد دخلت في الإسلام بعد توطيده في جزيرة العرب, وبدأ انتشاره في الشام والعراق, وبلاد فارس, فاخذت هذه الجاليات تلعب دوراً مهماً كمراكز تبليغ للدعوة الاسلامية, بطريقة غير مباشرة؛ مما أدىّ إلى وصول الاسلام الى سواحل مالابار, وسواحل اقليم السند مبكراً[3].

أما اهتمام المسلمين عسكرياً ببلاد الهند, فيعود إلى عهد الخلفاء الراشدين, فقد تعرضت إمارة داهر في اقليم السند لسلسلة من الغارات الثغرية منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (13-23هـ, 634-644م) حتى عهد الوليد بن عبد الملك الاموي (86-96هـ/705-715م) وهذه الغارات الثغرية وأساليبها, وتفاصيلها تكاد تجعل معركة فتح اقليم السند اقرب شبهاً بمعركة أفريقيا والمغرب, من حيث اشتراك القوات البرية والبحرية معاً في عمليات عسكرية واحدة, فقد كانت الغارات الثغرية على اقليم السند قد اتخذت جانبين بري وبحري, حتى اذا تم التحوّل الى الفتح المنظم اشتركت القوتان معاً في احراز النصر[4], على كل حال اشتبكت البحرية العربية بقيادة المغيرة بن ابي العاص بالبحرية الهندية قبالة الديبل[5], واحرزت انتصاراً كبيراً ترك أثرا في ظهور

---

[1] النمر, عبد المنعم, تاريخ الإسلام في الهند, ط3, الهيئة العامة المصرية للكتاب, القاهرة, 1990م، ص: 60, ارنولد, سير توماس.و., الدعوة إلى الإسلام, ترجمة: حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي ط3, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, 1970م، ص: 296, المصري، حاضر العالم، ص: 384, الطرازي, عبد الله مبشر, موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب,عالم المعرفة, جدّة, 1403هـ / 1983م، ص 384. الساداتي, تاريخ المسلمين, ص: 47.

[2] الساداتي, تاريخ المسلمين, ص: 47.

[3] النمر, تاريخ الإسلام, ص: 60, المصري, حاضر العالم, ص : 384.

[4] الفقي, عصام الدين عبد الرؤوف, بلاد الهند في العصر الإسلامي, عالم الكتب, القاهرة، 1980م, ص: 9, حسن محمود, الإسلام والحضارة, ص: 164.

[5] ولاية مشهورة على سحال بحر الهند, وهي فرضة إليها تفضي مياه لاهور وملتان فتصب في البحر. الحموي, البلدان, 2 / 495.

القوات البحرية الاسلامية وفي نموّها, الامر الذي جعل هذا النصر اشبه بنصر المسلمين في معركة ذات الصواري[1] في حوض البحر المتوسط على أن غارات عهد عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)لم تكن فتحاً عربياً, انما كانت غارات خاطفة تمهد لتطور كبير[2].

وعندما تولى عثمان بن عفان الخلافة (23-35هـ/644-656م) اسند ولاية العراق إلى عبد الله بن عامر بن كريز, وكتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند رجلاً على علم ودراية بهذه البلاد, ليعد له تقريراً عن احوالها, فارسل لهذه المهمة حكيم بن جبلة, ولما رجع من بلاد الهند, اوفده ابن كريز الى دار الخلافة, فسأله الخليفة عثمان (رضي الله عنه) عن احوال هذه البلاد, فقال: يا امير المؤمنين قد عرفتها وتنخرتها, قال: فصفها لي, قال: ماؤها وشل, وثمرها دقل, ولصّها بطل, إن قل الجيش فيها ضاعوا, وان كثروا فيها جاعوا, فقال له عثمان, اخابر ام ساجع ؟, فصرف المسلمين عن غزوها, ولم تنته خلافة عثمان على كل حال حتى كان المسلمون قد فتحوا كابل وانتشروا على حدود السند يستطلعون أخباره وأحواله جنوباً حتى البحر[3].

وفي سنة 38 هـ / 658 م, أرسل الحليفة علي بن ابي طلب (رضي الله عنه) (35-40هـ/644-656م) الى ثغر الهند الحارث بن مرّة العبدي, فظفر وأصاب مغنماً, وقسم في كل يوم الف فارس, الا انه قُتل بأرض القيقان[4].سنة 42هـ / 662م، وحملاته أشبه بحملات عبد الله بن سعد في برقة[5] في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه)[6].

تلا ذلك غزوات المهلب بن ابي صفرة ايام معاوية بن أبي سفيان (40-60هـ/660-680م), فقد غزا سنة 44هـ / 664م، بنّة ولاهور[7], واشتبك مع العدو في معركة خاطفة, ولقي المهلب في بلاد القيقان ثمانية عشر فارساً تركياً فقاتلوه فقتلهم, فقال المهلب ما جعل هؤلاء الاعاجم أولى بالتشمير منّا, فحذف الخيل, فكان أول من حذفها من المسلمين, وفي بنّة يقول الازدي[8].

الم تر أن الازد ليلة بيّتوا ... ببنّة كانوا خير جيش المهلب ؟

---

[1] تُعد من أهم المعارك الحربية للأسطول العربي الإسلامي, وفيها أنتصر المسلمين إنتصاراً حاسماً, ثبّت لهم السيطرة في البحر المتوسط والتقوق على البيزنطيين, وقد حدثت هذه المعركة سنة 23هـ/643م. انظر: أحمد مختار والعبادي والسيد عبد العزيز سالم, تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط, مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية (لا.ت), 18/2-19.

[2] حسن محمود, الإسلام والحضارة, ص: 164.

[3] البلاذري, فتوح, ص: 607.

[4] من بلاد السند مما يلي خراسان, البلاذري, نفسه, ص: 607 – 608.

[5] مدينة صغيرة وسط المغرب. الأصطخري, المسالك, ص: 33. وتقع حالياً في ليبيا.

[6] البلاذري, فتوح, ص 607 – 608.

[7] مدينتان تقعان بين الملتان وكابل. البلاذري، فتوح،, ص: 608.

[8] المصدر نفسه والصفحة.

وفي هذا العهد نفسه أيضا, كانت غارة عبد الله بن سوار العبدي الذي وُلي ثغر السند, فغزا القيقان, وغنم غنائم هائلة, ثم وفد الى معاوية وأهداه خيلاً قيقانية, وتحدث البلاذري[1] عن تحالف بين الهنود وبين الاتراك, فدخل عبد الله بن سوار معهم في معركة قويّة استشهد فيها وتلاحقت حملات معاوية, فاغار سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي, فاتى ثغر السند ففتح مكران عنوة, ومصّرها, واقام بها وضبط البلاد.

لم تنطلق هذه الحملات الثغرية من جنوب ايران فحسب, انما كانت تغزو الهند من سجستان في الشمال احيانا, مثل: غزوة عُباد بن زياد. ويظهر أن عهد يزيد بن معاوية (60-64هـ/680-684م) هو عصر اشتداد الغارات الثغرية حقاً, فقد ولىّ المنذر بن الجارود العبدي ثغر الهند, فغزا البوقان[2] والقيقان, فظفر المسلمون وغنموا, وبث السرايا في بلادهم, وفتح قصدار وسبابها, وكانت قد فتُحت من قبل إلا أن أهلها قد انتفضوا, ثم تولى أمر السند بعد ابن الجارود, عبد الله بن زياد الباهلي, ففتح الله على يديه تلك البلاد[3].

ظلّت الحملات الثغرية مستمرة حتى عهد الحجاج بن يوسف[4] (75-95هـ/694-713م), وطوال ايام عبد الملك بن مروان (65-66هـ/684-685م), ففي مطلع ولاية الحجاج على العراق اسند ثغر السند إلى سعيد بن اسلم بن زرعة الكلابي, فخرج عليه معاوية ومحمد إبني الحارث العلافي, فقتلاه, اذ كانا من الخارجين على سلطان الامويين في هذه الجهات, وكانا قد لقيا عند الملك داهر – ملك السند – البرهمي كل ترحيب, وغلب العلافيان على الثغر, ثم ولي مجاعة بن

سعد التميمي هذا الثغر, فغزا اجزاء من قندابيل[5], حتى إذا كان عهد الوليد بن عبد الملك كان التحوّل العظيم الى الفتح المنظم[6].

يمكن القول إن هذه الحملات الثغرية المتتابعة والخاطفة قد اكسبت العرب خبرة واسعة ودراية كبيرة, باوضاع الهند (السند) السياسية والاقتصادية وحتى الاجتماعية, وهذا ما كان له ابلغ الاثر على نجاح الفتح المنظم لاقليم السند الهندي فيما بعد.

---

[1] فتوح, ص: 608.

[2] بلد بارض السند, الحموي, البلدان, 1 / 510.

[3] البلاذري, فتوح, ص: 610.

[4] أبو محمد الحجاج بن يوسف بن عقيل بن مسعود الثقفي, عامل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان, وابنه الوليد, للمزيد من التفاصيل عن أخباره,انظر:ابن خلكان, وفيات, 2 / 29 – 54.

[5] مدينة بالسند, عاصمة ولاية النّدهة تبعد عن قصدار بنحو (5) فراسخ (25كم) انظر: الحموي, البلدان،402/4.

[6] البلاذري, فتوح, ص: 611, المولوي, أحمد بن لطف الله, جامع الدول, مخطوط ميكر وفيلم, برقم(195 / ج 1 تاريخ) مخطوط بعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية, القاهرة. و: 212 أ. حسن محمود, الإسلام والحضارة, ص: 166.

- الفتح المنظم لثغر السند:

قدر لهذه الغارات الثغرية على إقليم السند أن تتحول إلى فتح منظم, كما تحولت الغارات الثغرية في مختلف ميادين التوسع الاسلامي, فقد اكتسبت الدولة العربية وحدتها الكاملة في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد, وبدأ الحجاج بن يوسف عاملهما على العراق وخراسان, في هذا الميدان الشرقي وقد سيطر على زمام الامور سيطرة كاملة, فإذا به يوجّه القوات العربية الى غاياتها توجيه القائد الماهر.

كانت اجراءات تسليح قاعدة الزحف واعدادها للتحول الكبير قد تمّت واكتملت, فاصبح ثغر مكران قاعدة عربية إسلامية لتجمع القوات العربية المقاتلة من جند الشام والبصرة, والكوفة, ومخزناً للعتاد وتكديس الاسلحة, وقد حرص الحجاج على أن يهيئ للقوات العربية كل ما تحتاجه[1].

صحب ذلك تطور في الاستراتيجية العربية, فقد سُلّحت القوات الأموية بنوع جديد من المجانيق لم يعرفه العرب من قبل، إذّ يتحدث البلاذري[2] عن استخدام محمد بن القاسم الثقفي لنوع منها يعمل فيه نحو خمسمائة جندي في وقت واحد, والجدير ذكره ان هذا النوع من الأسلحة لم تعرفه الهند من قبل, وقد تسبب في ايقاع الذعر في القوات المدافعة عن ثغر الديبل.

وشمل هذا التطور الجانب البحري أيضا, واذا بالسفن في عهد الوليد بن عبد الملك تتسم بالجرأة, والاقدام, وتتخذ دور المبادأة بالهجوم, وليس معنى ذلك الا ان العرب قد استفادوا من حملاتهم البحرية السابقة ومن احتكاكهم ببحرية الهند[3].

علم الحجاج بن يوسف بما حدث لسعيد بن اسلم على يد ابني الحارث العلافي، فسأل الخليفة الوليد بن عبد الملك الاذن بتسيير حملة عسكرية الى السند،التي غدت ملجأ للخارجين على الدولة, لكن الوليد لم يجبه الى طلبه, حتى اذا ما تعرض قراصنة من ميد الديبل, لسفن كانت قادمة من جزيرة الياقوت (سيلان)[4] وفيها بنات وارامل لتجار من المسلمين وافاهم الاجل هناك, ومعهم هدية من ملك هذه الجزيرة للخليفة, لذلك أرسل الحجاج الى داهر ملك السند يساله تخليص نساء المسلمين من الاسر, فاعتذر الاخير بحجة أنهّن أسرنّ من قبل لصوص البحر, ولا قدرة له عليهم, فكان ذلك من اهم البواعث التي دفعت الحجاج إلى أن يلح على الخليفة ؛ ليثأر لهذا العدوان

---

[1] البلاذري, توح،613،حسن محمود, الإسلام والحضارة, ص: 167, الساداتي, تاريخ المسلمين, ص50.

[2] المصدر نفسه والصفحة.

[3] حسن محمود, الإسلام والحضارة, ص 167.

[4] جزيرة عظيمة متوسطة بين الهند والصين, فيها عقاقير لا توجد في غيرها, وقيل ان فيها معادن الجوهر. انظر: الحموي, البلدان, 3 / 298.

ويؤمّن طريق التجارة وحدود البلاد الاسلامية من غارات المعتدين[1], فأرسل لذلك عبد الله بن نبهان الى الديبل على راس جيش انتهى امره الى الهزيمة والقتل, ولقي بُديل بن طرفة البجلي نفس المصير, حين خرج من عمان بامر الحجاج للغرض ذاته[2].

هنالك تبدّى للحجاج مدى الاهانة التي تحلق بهيبة المسلمين وخطورتها إن هو سكت على هذا الامر, فما زال يلح على الخليفة حتى أذن له بتجهيز حملة عسكرية لفتح اقليم السند, في الوقت الذي كانت فيه جيوش المسلين تتوغل في بلاد الاندلس وجهتها بلاد الفرنجة[3].

اختار الحجاج بن يوسف ابن أخيه محمد بن القاسم الثقفي أميراً على الحملة السندية, فطفق قائد هذه الحملة – الذي كان وقتذاك بشيراز – يعد لها العّدة طوال ستّة شهور, وعُني الحجاج بن يوسف بالاشراف بنفسه على تزويد الجند بكل ما يحتاجون اليه من الذخائر والمؤن حتى الخيوط والمسال, والقطن المحلوج المنقوع في الخل[4].

احتشدت القوات الاسلامية في شيراز, وزحفت الى ثغر مكران فاقام فيه أياماً, ثم اتى قنزبور[5], فسار عنها الى أرمئيل[6] وفتحها, ثم اتجه جنوباً الى الديبل, وانضمت الى المسلمين جموع كثيرة من الميد والجات, الذين تسميهم المصادر العربية الزط[7], فقوى شأن المسلمين بهؤلاء, واتجهوا إلى الديبل واشتبك الجيش العربي مع داهر – ملك السند – في معكرة عنيفة, استخدم المسلمون فيها اسلحة قوية من بينها منجنيقاً يسمى: (العروس) يديره خمسمائة جندي, وانتهت المعركة بهزيمة داهر, واستولى المسلمون على الديبل, واقام بها محمد بن القاسم مسجداً وترك بها حامية تتكون من اربعة الاف جندي, واصبحت الديبل اول مدينة عربية في الهند[8].

كان الحجاج عليماً باحوال البلاد مسيطراً على القوات العربية يحركها كما يشاء, وكان يتدخل في كل صغيرة وكبيرة, ويرسم الخطط, ويصدر الأوامر بالقتال, وكانت

---

[1] البلاذري, فتوح، ص: 612, شلبي, أحمد, موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – الإسلام والدول الإسلامية غير العربية بآسيا – مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, 1983م، ص: 263-264.

[2] البلاذري, فتوح, ص 612, الساداتي, تاريخ المسلمين, ص: 49.

[3] الساداتي, المرجع نفسه الوصفحة.

[4] البلاذري, فتوح, ص: 612 – 613.

[5] اكبر مدن مكران. انظر: الأصطخري, المسالك, ص: 105.

[6] مدينة كبيرة بين مكران والديبل من ارض السند تعبد عن البحر بنصف فرسخ (2.5 كم)، الحموي، البلدان،159/1.

[7] وهما قبيلتان سنديتان هجرت ديارها فراراً من بطش وجور الحكومة البرهمية التي كانت تعدّهم في عداد المنبوذين, وتحرم عليهم امتطاء الدواب, أو أرتداء الملابس الراقية ولا يمارسون إلاّ أحط (أدنى) المهن، انظر: الساداتي, تاريخ المسلمين, ص: 50، الفقي, بلاد الهند، ص: 9.

[8] البلاذري, فتوح, ص:613،ابن الأثير،18،19/4.الفقي, بلاد الهند، ص: 9.

الرسائل ترد اليه في مقر قيادته كل ثلاثة ايام تحمل انباء القتال, وبلغ من تدخلـه فـي حملة السند انه كان يوجه القادة العرب الى افضل الطرق لاستخدام المجانيق الكبيرة[1].

على أن داهراً لم يستسلم للهزيمة, بل عوّل على مقاومة الزحف الاسلامي, فاتجه الى الداخل, وأعد العّدة لاستئناف القتال في موضع يقع شرق مصب نهر السند, ظناً منه أن النهر سيعرقل عبور المسلمين اليه , وفي الوقت نفسه واصَلَ محمد بن القاسم زحفه على مدن السند, وبلغ مدينة نيروز[2]على الضفة الغربية للسند, ففتحها صلحاً, وجعل لا يمر بمدينة الا فتحها, حتى عبر نهر مهران[3], فأتاه أهل سربيدس فصـالحوه, وفـرض عليهم الخراج, وترك لهم حرية العبادة, واتجه الى سبهان ففتحها[4], ثم سار عنها قاصداً داهر, فاحتال محمد بن القاسم لعبور النهر وقد نجح في ذلك, وداهر مشغول عنه فلمـا شعر داهر باقتراب القوات الاسلامية لجأ إلى حصن الرور[5] فباغته المسـلمون, وعلـى الرغم من استخدام الهنود لسلاح الفيلة والنبال والنفط إلا انهم هُزموا شرّ هزيمة وقتـل داهر واستولى المسلمون على الرور في رمضان سنة 93هـ/711م[6], وتقدم محمد بـن القاسم صوب الشمال, وتمكنت قواته من الاستيلاء على مدينة (برهمناباد) فـي السـنة نفسها, وواصل المسلمون زحفهم واستولوا على المدن الواقعة في طريقهم حتى بلغـوا الملتان, واستولوا عليها قهراً بعد معركة قوية, وغنموا منها غنائم كثيرة[7], وفيها أقبـل الأعيان والتجار وأصحاب الحرف في عدد كبير من سكان الأقاليم المجاورة مـن رجـال الميد والجات الذين كانوا يعانون من ظلم البراهمة, بعد أن بلغهم الكثير عن تسامح هذا القائد العربي وكرمه, وكفه لأيدي رجاله عن السلب والنهب فاعلنوا جميعاً ولاءهم على انفسهم واموالهم [8].

ومن الجدير بالذكر ان المسلمين غنموا من هذه الحملات امـوالاً طائلـة, وكـان الحجاج بن يوسف قد انفق على حملة محمد بن القاسم الثقفي(60) مليون درهم, وبلـغ

---

[1] البلاذري, فتوح, ص: 613، حسن محمود,, الإسلام والحضارة, ص: 169.

[2] مدينة من نواحي السند, تقع بين الديبل والمنصورة ولعلها إلى الأخيرة اقرب, انظر: الحمـوي, البلدان, 331/5.

[3] نهر يقبل من الشرق اخذا على جهة الجنوب متجها إلى جهة المغرب حتى يقع في أسفل السـند, ويصب في بحر فارس. انظر: المصدر نفسه, 232/5. ويسمى اليوم نهر السند.

[4] البلاذري, فتوح, ص: 614 – 615.

[5] ناحية من نواحي السند, قريبة من الملتان في المساحة, عليها سوران, وتقع تحديداً على شـاطئ نهر مهران. الحموي, البلدان, 79/3.

[6] لمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة الحاسمة,انظر:هندشاه, تاريخ فرشته, ص: 606 – 608.

Lane –pool, medieval Nadia under mahammdan, London, 1951.

[7] البلاذري, فتوح,ص: 616 – 617,ابن الاثير,الكامل,20/4,هندوشاه,تاريخ فرشته,ص: 608.

[8] الساداتي, تاريخ المسلمين, ص: 53.

ما حمل اليه من الغنائم(120) مليون درهم, فقال يومها:((ربحنا ستين مليون, وادركنا ثارنا, ورأس داهر))[1].

كان لحميد مسلك محمد بن القاسم من الاهلين في حسن معاملته لهم, وتامينهم على اموالهم وانفسهم, واطلاق حرية العبادة لهم, ابعد الاثر في نفوس القوم, مما ساعد كثيراً على توطيد مركز المسلمين هناك.

عوّل محمد بن القاسم بعد إقرار الأمور في البلاد المفتوحة وتنظيم شؤونها المالية والعسكرية والمذهبية, على فتح مملكة قنوج – اعظم إمارات الهند – لكن مشروعه لم يقدر له ان يتحقق, ذلك ان الحجاج توفى سنة 95هـ/714م, وبعد ذلك بقليل توفى الخليفة الوليد بن عبد الملك, وخلفه اخوه سليمان بن عبد الملك (96 – 99هـ / 715-718م) الذي كان يعارض سياسة سلفه, فعهد بحكم العراق إلى صالح بن عبد الرحمن, وعزل محمد بن القاسم عن السند, وولى مكانه يزيد بن ابي كبشة, وامره بالقبض عليه. وإرساله إليه, وسيق فاتح السند مقيداً بالسلاسل إلى واسط, حيث أودع في السجن, ولقي حتفه بعد ذلك بقليل[2].

وقد بكت شعوب شبه القارة الهندية محمد بن القاسم؛ تقديراً لبطولاته, وبمقتله توقف الفتح, وفقد العالم الاسلامي قائداً مسلماً شجاعاً, استطاع أن يفتح بلاد السند كلها في أقل من ثلاث سنوات, وترك بصماته البيضاء عليها متمثلة في بناء المساجد الكبيرة في المدن الإسلامية[3].

مما لا شك فيه أن عزل محمد بن القاسم عن السند كان خسارة كبيرة, اصابت مركز المسلمين في هذه البلاد, ذلك أن الأحوال السياسية للبلاد التي دخلت في حوزة المسلمين قد اضطربت وتدهورت أوضاعها، حيث قامت الفتن والثورات ضد العرب،ولم يقم معظم ولاة العرب ببلاد السند بأعمال تذكر، وخرجت مناطق عديدة من أيدي العرب، وانشغل الولاة الأمويون في المحافظة على ممتلكات المسلمين في السند، بدلاً من انطلاقهم في الفتح, وإكمال ما رسمه لهم محمد بن القاسم[4].

استمرت الأحوال على هذا المنوال حتى خلافة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-719م) الذي أراد أن يُهّدئ الفتنة ويدعو الهنود إلى الإسلام, فكتب إلى الملوك الهنادكة يدعوهم إلى الإسلام فاذا ضمن إسلامهم وولاءهم احتفظوا بسلطانهم كاملاً, ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.

ويشير إبن الأثير[5] إلى أن قوماً كثيرين استجابوا لنداء الخليفة عمر ودخلوا الإسلام, وعاشت ولاية السند مزيداً من الاستقرار؛ فتمكن عاملها عمر بن مسلم الباهلي من معاودة الفتح والقضاء على الفتن الباقية.

---

[1] إبن الأثير، الكامل،, 20/4.

[2] المصدر نفسه، 62/4, المولوي, جامع الدول, ص: 217 ب, الفقي, بلاد الهند، ص: 10.

[3] محمد مهنا, إنتشار الإسلام, ص: 154 – 155.

[4] Lane - pool, mdievl India, p: 150

[5] الكامل, 63/4.

ولما تولى يزيد الثاني[1](101-105هـ/719-723م) الخلافة حدثت في عهده موجات عنيفة من الفتن, واستطاع حبيب بن المهلب أن يهرب من السجن, - وكان متهماً بالتامر على الخلافة - واستولى على الولايات الشرقية التابعة للدولة الأموية كما غزا بجيشه مكران ومدينة قندابيل لكنه قتل مع اخيه يزيد في حربه ضد الخليفة في البصرة[2].

وفي عهد هشام بن عبد الملك (105-125هـ/723-743م) صار أمر السند إلى الجنيد بن عبد الرحمن المري, وكان حاكماً حازماً, استرد امارة برهمناباد من أيدي جاك سنك بن داهر, بعد ان قتله, كما سيّر جنده في حملات ناجحة بلغت أزين ومالوه وكجرات وغيرها من مدن إقليم السند, وغنم من ذلك اموالا هائلة, واقام الجنيد في السند اربع سنوات استطاع خلالها تنظيم امورها السياسية والادارية والاقتصادية[3], ثم نقله الخليفة هشام بن عبد الملك الى خراسان؛ بسبب تصاعد نشاط الدعاة العباسيين في الاراضي العربية والولايات الشرقية وخاصة خراسان, حتى اذا ما خلفه تميم بن زيد العتبي على ولاية السند, اضاع بتردده وضعفه كل ما بذله سلفه من جهود[4].

أدرك الأمويون أن كسب معركة تثبيت الفتح الاسلامي لن تتحقق إلاّ بإنشاء القواعد العربية, لتكون مراكز لتجمع العنصر العربي وقلاعاً حصينة تحمي المكاسب التي أحرزوها, ومن أجل ذلك انشئت مدينتا المحفوظة[5] والمنصورة[6], الأولى بناها الحكم بن عوانة الكلبي, والثانية بناها عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي, وصارت المنصورة فيما بعد حاضرة المسلمين, هذا وقد نهج عمرو بن محمد (خاصة) نهج أبيه في الحزم والعدل, وإحياء سيرته في التسامح الديني وإطلاق حرية العبادة, ولعل هذه الحصون التي شيدت هي التي مكنت ولاة العصر الأموي الأخير من المحافظة على النفوذ العربي في السند حتى قيام الدولة العباسية سنة 132هـ / 750م[7].

أسند أبو العباس السفاح (132-136هـ/750-753م) أول خلفاء بني العباس, ولاية لسند إلى أبي مسلم الخراساني الذي بعث بدوره عبد الرحمن بن أبي مسلم العبدي لاستعادة النفوذ بالسند, لكنه هُزم, ثم أتبعه بموسى بن كعب التميمي الذي هزم الثائر منصور بن جمهور الكلبي وطارده في الصحراء إلى أن هلك عطشاً, وطفق موسى بعد

---

[1] بن عبد الملك بن مروان, وكنيته أبو خالد, ولي الخلافة وهو ابن تسع وعشرين سنة. للمزيد عن أخباره, انظر: الطبري, تاريخ 72/4 وما بدها.

[2] للإطلاع على تفاصيل الحرب التي دارت بين آل المهلب والجيش الأموي, راجع: الطبري, تاريخ, 101/4، ابن الأثير, الكامل, 123/4 - 128.

[3] البلاذري, فتوح, ص: 620-621, ابن الأثير, نفسه, 64/4.

[4] البلاذري, نفسه, ص: 622, ابن الأثير, المصدر نفسه والصفحة.

[5] لم تشر إليها كتب البلدانيون العرب التي تيسر لنا الاطلاع عليها.

[6] مدينة مشهورة بأرض السند, كثيرة الخير, لها خليج من نهر (مهران) يحيط بها وهي في وسطه الجزيرة. القزويني, آثار, ص: 124. علماً إنه أشار إلى أن الذي بناها هو جعفر المنصور, ثاني خلفاء بني العباس, وهذا غير صحيح وما أثبتناه في المتن القول الأرجح.

[7] البلاذري, فتوح, ابن الأثير, الكامل, 64/4, حسن محمود, الإسلام والحضارة, ص: 172.

ذلك يستميل قلوب الناس إلى مناصرة العباسيين, ويعمل على التفافهم حوله, فاستولى على المنصورة وجدّد بناءها, وأقام بها مسجداً جديداً, ونظم الأمور السياسية والإدارية في جميع بلاد السند, فأخذ البيعة والطاعة من حكام المدن والمناطق, عرباً وعجماً للخليفة العباسي[1].

ولما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة (136 – 158هـ / 754 – 775م), أسند ولاية السند إلى هشام بن عمرو التغلبي, الذي عاود الجهاد في البر والبحر, واستغل نشاط البحرية العباسية في بحر العرب والمحيط الهندي, فبعث عمرو بن جميل لقيادة الأسطول فتوجه إلى نارد واستعاد الملتان, وقاتل المتغلبين في قندابيل وأجلاهم عنها, وتوجه إلى قندهار ففتحها وهدم البُدْ وبنى في موضعه مسجداً وهاجم بعض مناطق كشمير[2]غير انه لم يوفق في السيطرة الكاملة على بلاد كشمير, وقد اتسم عهده بالاستقرار والطمانينة والرخاء, كما أكّد ذلك البلاذري[3] قائلاً:((...فأخصبت البلاد في ولايته, فتبركوا به, ودوّخ الثغر وأحكم أموره)), حتى أن الخليفة أبا جعفر المنصور فوّضه إدارة أمور منطقة كرمان الواقعة في اقليم فارس, وبوفاته سنة 157هـ / 774م, ولىّ الخليفة المنصور على تلك البلاد معبد بن الخليل التميمي, الذي حكم السند بحزم, وأقام بمدينة المنصورة, ثم وُلي الثغر عمر بن حفص بن عثمان, وتلاه داود بن يزيد بن حاتم[4].

ما زال أمر ذلك الثغر مستقيماً حتى وليه بشر بن داود المهلبي (250-212هـ/820-827م) في خلافة المامون (189-218هـ/814-833م) وكانت أسرته قد بلغت حداً من القوة والنفوذ والسيطرة في هذه البلاد مما جعله يشعر بالغرور ولم يهتم بدار الخلافة وامتنع عن دفع الخراج, فوجه إليه الخليفة المامون غسّان بن عباد, وهو رجل من أهل سواد الكوفة, وحاصره وفي النهاية استنزله بالأمان, وأرسله إلى بغداد, وخلف غسّان على ثغر السند موسى بن يحيى بن خالد بن برمك, وفي عهده تم إخماد اضطرابات فتن إنفصالية في بعض مدن اقليم السند, واستطاع توطيد العلاقات التجارية والفكرية بين العرب وأهل السند[5].

أما في عهد الخليفة المعتصم بالله (218-277هـ/833-842م), فقد حدثت فتنة هددّت دولته, هي فتنة السنديين المعروفين بـ: (الزط) الذين كانوا يسكنون في البطائح بين البصرة وواسط بالعراق, حيث قام هؤلاء بقطع الطرق ونهب الأموال الخاصة بالتجار والمسافرين, ثم استولوا على طريق البصرة وفرضوا المكوس الجائرة, حتى

---

[1] البلاذري,نفسه,ص:624,الطبري,تاريخ,639/4– 370.محمد مهنا,انتشار الإسلام,ص:184.
[2] ناحية بأرض الهند متاخمة لقوم من الترك. القزويني, آثار, ص: 104.
[3] فتوح, ص: 624.
[4] المصدر نفسه والصفحة, محمد مهنا, انتشار الإسلام, ص: 192.
[5] البلاذري، فتوح، ص: 624-625, محمد مهنا، إنتشار الإسلام، ص: 224-225.

تمكن الخليفة من هزيمتهم بواسطة حملة عسكرية قادها عجيف بن عنبة أحد القادة العرب, ثم تولى أمر السند عمران بن موسى البرمكي بناءً على منشور أرسله إليه الخليفة المعتصم بالله, فخرج إلى القيقان وانتصر عليهم, وبنى مدينة سماها:(البيضاء)[1], وأسكنها الجند, ثم أتى المنصورة وأخضعها وسار عنها إلى قندابيل وفيها متغلّب يقال له: محمد بن الخليل، فاشتبك معه في قتال وفتحها, كما قضى على ثورات (الميد) وقتل منهم ثلاثة الآف، وانتهز النزاريون فرصة انشغال عمران بإطفاء فتن الميد والجات فثاروا عليه واتهموه بالتحيّز لليمنيين وتفضيله لهم عليهم, وانتهت منازعتهم معه بقتله على أيدي زعيمهم عمران بن عبد العزيز الهباري[2].

وفي عهد المعتصم أيضاً أعلن هنود سندان استقلالهم ولكنهم أبقوا على المسجد حيث سمحوا للمسلمين أن يجتمعوا فيه ويدعون للخليفة العباسي, وقد نجح المسلمون في الإحتفاظ باستقلالهم السياسي؛ وذلك بأن أنذروهم أنهم إذا هجموا عليهم سيحطموا صنم الملتان الشهير الذي كان أهل الهند يحجّون اليه من أقاصي البلدان[3].

هكذا استولى زعيم القرشيين (النزاريين) على المنصورة سنة 240ه/854م وكتب منها إلى الخليفة العباسي المتوكل معلناً ولاءه وإخلاصه فثبته على إمارة السند[4].

وتجدر الإشارة إلى أن ولاء أغلب حكّام الولايات الإسلامية للخليفة – لا سيما ما كان منها على مبعدة من بغداد – أصبح قبيل منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي, مجرّد مسألة شكلية اسمية.

ولما ضعفت الدولة العباسية،عجزت الحكومة المركزية عن السيطرة على أطرافها ؛ لذلك استقل حكام الأقاليم من بغداد،وقامت في السند إمارتان مستقلتان، إحداهما في الجنوب وعاصمتها المنصورة, ويحكمها أمراء من سلالة عمر بن عبد العزيز الهباري، وإمارة في الشمال وعاصمتها الملتان, تحكمها أسرة قرشية أخرى من بني المنبّه، بقيت فيها حتى انتزعها الإسماعيلية الشيعة منها،[5] وكان طبيعيا أن يضعف مثل هذا التفكك من قوّة المسلمين السياسية التي أخذت في الإضمحلال[6].

[1] المصدر نفسه, ص: 625, المرجع نفسه, ص: 226.
[2] المصدر نفسه، ص: 625-626.
[3] ارنولد, الدعوة, ص 306, وقد تحدثنا عن هذا الصنم في سياق دراستنا مسبقاً.
[4] محمد مهنا, انتشار الإسلام, ص 228.
[5] الساداتي, تاريخ المسلمين, ص: 228.
[6] ارنولد, الدعوة إلى الإسلام، ص: 306.

بلغ إهمال الخلافة العباسية لشأن السند حداً لا يطاق, كان أبرز نتائجه أن الخليفة الضعيف المعتمد[1] العباسي أقطعها للصفاريين بالاضافة الى بلخ وطأخارستان وكرمان ؛ علّه بذلك الإجراء يخفف من شدّة ضغطهم على العراق[2].

قدم السند في بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي, دعـاة الفـاطميين, وعلى راسهم شخص يُدعى الهيثم رسول عبد الله المهدي[3] ثم توالى الدعاة الإسماعيليين على هذه البلاد, إذّ كانت بلاد السند أرضاً خصبة راجت فيها المبادئ الإسماعيلية, ووجد فيها الدعاة الإسماعيلون استجابة قوّية والتف حـولهم القرامطـة الـذين قـدموا مـن البحرين[4] وبلاد فارس, ومكنّوا القائد الإسماعيلي جلم بن شيبان مـن السـيطرة علـى مقاليد الأمور في الملتان, وتُعد حكومته هذه أول حكومة إسماعيلية فـي شـبه القـارة الهندية كلها, وتولى الحكومة الإسماعيلية بعد جُلم: الشيخ حميد, وهـو الـذي وجـده الأمير ناصر الدين سبكتكين في الملتان فهزمه, ليخلفه حفيده أبو الفتوح داود القرمطي, وما زال السلطان محمود يطارده حتى قضى على حكومتـه سـنة 401هـ/1010م[5] وسنفصل في ذلك لا حقاً.

أما حكومة المنصورة فلم نعد نقرأ في كتب التاريخ عن أخبار المسلمين فيها شيئاً, ويبدو أن حكومتهم قد انتهت, بسبب تعرضها لكثير من الإضـطرابات السياسـية التـي عصفت بها قبل قدوم السلطان محمود الغزنوي إلى بلاد الهند[6].

---

[1] أبو العباس أحمد بن المتوكل, بويع بالخلافة سنة 256هـ/870م, كانـت خلافتـه مضـطربة الأحوال,مختلفة التدبير,كثيرة العزل والتولية بسبب تدبير القادة الاتراك وغلبتهم عليه,فقيل في ذلك:

اليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه

توفي ببغداد سنة 279هـ/822م. انظر: ابن دحية, النبراس, ص: 85, وبه حشد المحقق مصادر ترجمته.

[2] الساداتي, تاريخ المسلمين, ص: 60.

[3] ابو محمد عبيد الله, الملقب بـ: (المهدي), أدّعى انتسابه إلى علي بن الحسن بـن ابـي طالـب (رض) وأهل العلم من المحققين ينكرون دعواه في النسب, هذا هو المهدي, وبالجملة فاخبـاره مشهورة فلا حاجة إلى الإطالة فيها, وهو أول من قام بهذا الأمر من بينهم وأدّعـى الخلافـة= =بالمغرب وبذلك خرجت بلاد المغرب من ولاية بني العباس، وأستمر في الحكم حتى توفي سنة 322هـ/933م بالمهدية في افريقية (تونس). للإطلاع على المزيد من أخبار المهدي انظر: ابن الأثير, الكامل 21/7, ابن خلكان, وفيات, 117/3-119.

[4] اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان,قيل هي عاصمة هجر, وقيل العكس. انظر: لحموي, البلدان, 347/1.

[5] الساداتي, تاريخ المسلمين, ص: 60-61, الفقي, بلاد الهند, ص: 12.

[6] بدر عبد الرحمن محمد, المجتمع الهندي في القرنين الرابع والخامس الهجريين, كمـا صـوره البيروني في كتابه: (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولـة) المعـروف بـ (تاريخ الهند) مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة, 1410هـ / 1990م, ص: 25.

انتهى أمر بلاد السند كلها باستيلاء السلطان محمود الغزنوي عليها حين اقبل على الهندستان فاتحاً أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي, فكانت فتوحاته بدايـــة حقبة جديدة في تاريخ شبه القارة الهندية أصحابها من المجاهدين المسلمين الأتراك.

2- احوال الهند السياسية والاجتماعية والدينية قبل الفتح الغزنوي:

انقسمت بلاد الهند في النصف الأخير من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إنقساماً لم تشهده في تاريخها، حيث كان شمالها الغربي منقسماً بين أمراء كثيرين من الراجبوت[1]، معترفين لراجا دلهي بالغلبة والتفوق، وكان راجا قنوج يملك إمارة "أودهه" وإمارة وادي " الكنج"، وكان آل "بال" يملكون البنغال و "بهار" وكانت سلالة من آل "كبتا" يملكون "مالوه"، أما جنوب الهند فسيطر عليه امارات هندوسية ثلاث: جبرا، رجولا، بيندرا[2]، ولم تجتمع هذه الإمارات في تكتل واحد، بل كانت تحارب بعضها بعضا؛ من أجل السلطة والنفوذ، ويعلق على ذلك الوضع المؤرخ الهندي محمد حبيب[3] قائلاً: ((ان التنظيمات الاقطاعية للهنود بولاءاتها المبعثرة، والروح العشائرية، وحُب الاستقلال المحلي، قد تركتهم عاجزين أمام اعدائهم.. كما أن النّزاعات الإقليمية بين الهنود، ونظام التوظيف العسكري المعقد، والحقوق المدنية، كل ذلك كان مانعاً من حشد قوة كبيرة الى ميدان المعركة، وكانت النتيجة هزيمة، ضياع الكرامة، كارثة)).

وصف المسعودي[4] احوال الهند في القرن الرابع الهجري، بقوله: ((ولمّا هلك هذا الملك [كورش] اختلفت الهند في آرائها، فتحزبت الأحزاب وتجيّلت الأجيال، وأنفرد كل رئيس بناحية، فملك أرض السند ملك، وملك أرض القنوج ملك، وتملك ارض كشمير ملك، وتملك على مدينة المانكير ملك ... وبين هذه الممالك تباين وحروب، ولغاتهم مختلفة واراؤهم غير متفقة ...))، وهذا دليل واضح على أن أحوال بلاد الهند قبيل الفتح الإسلامي الغزنوي، كانت تعيش في حالة من الإضطرابات والتشرذم وعدم الاستقرار، كما تظهر هذه النصوص بما لا يدع مجالاً للشك عدم أتحاد ملوك الهند وحكامها، ومدى غرقهم في حالة من الفوضى والتنافس الحاد بينهم، كل ذلك أسهم في تفتيت الوحدة السياسية العامة لبلاد الهند، وسهّل مهّمةالفتح الإسلامي الغزنوي لها.

---

[1] ينتمي الأمراء الراجبوتيون الى جحافل الآريين الذين هاجروا إلى الهند قبل قبائل الهون البيض، وقد لعبوا دورا كبيرا في تطور الحياة السياسية في بلاد الهند، وكانوا يسيطرون على شمال الهند حتى أضعفهم الغور، فلجاوا الى صحراء ثار وعاشوا فيها، وعرفت بعد ذلك باسمهم. الصفدي، الغزنويون، ص: 37-38.

[2] LaNe – PooL , Medieval Inia, p. 14

[3] Habib,Mohammed:Sultan Mohmud of GhazNiN,New Delhi and University Aligarh, 1951, p. 79

[4] مروج، 2 / 81 – 82.

كان ذلك حال هؤلاء الهندوس الذين تركوا أنفسهم للإنقسام والقتال الداخليين يفتّان في عضدهم، واتخذوا لأنفسهم الجينية [1]، والبوذية [2] ديناً، فاخمد مثل هذا الدين جذوة الحياة في قلوبهم، ولم يستطيعوا تنظيم قواهم لحماية حدودهم وعواصمهم [3].

أما أوضاع الهند الدينية والإجتماعية والأخلاقية عشية الفتح الإسلامي الغزنوي لها، فقد عاشت بلاد الهند منذ القرن السادس الميلادي في أحط أدوارها الدينية، والإجتماعية والأخلاقية، وامتازت الهند بكثرة المعبودات والآلهة، والتفاوت الطبقي والامتياز الإجتماعي الجائر، والشهوة الجنسية الجامحة [4].

بلغت الوثنية أوجها في مطلع القرن السادس الميلادي / الأول الهجري، فجاوز عدد الآلهة في (ديد) وحدها ثلاثة وثلاثين، وزاد عدد الأصنام والتماثيل والالهة في عموم الهند الحصر، وأربت على العد، فمنها: شخصيات تاريخية، وأبطال ومنها جبال تجلى عليها بعض آلهتهم، ومنها معادن وآلات الحرب والكتابة والات التناسل، وحيوانات أعظمها البقرة فضلا عن الأجرام السماوية، ومنها أنهار، كنهر (الكنج) واصبحت الديانة نسيجاً من خرافات وأساطير وأناشيد وعقائد وعبادات ما أنزل الله بها من سلطان [5].

أما نظام الطبقات فلم يُعرف في تاريخ أمة من الأمم نظام طبقي أشد قسوة، وأعظم فصلاً بين طبقة وأخرى، وأشد استهانة بشرف الإنسان، من النظام الذي اعترفت به الهند دينياً ومدنياً، وقد بدات طلائع التفاوت الطبقي في اخر العهد الويدي، بتاثير الحرف والصنائع وتوارثها، وبحكم المحافظة على خصائص السلالة الارية ونقاوة العرق وإحترام الأنساب وبقاء الأسر القديمة [6]، وقبل ميلاد السيد المسيح (عليه السلام) بثلاثة قرون، أزدهرت في الهند الحضارة البرهمية ووضع فيها مرسوم جديد للمجتمع الهندي، وألفّ فيه قانون، يقسّم سكان البلاد الى أربع طبقات متمايزة هي:البراهمة (طبقة الكهنة

---

[1] ديانة قامت على الزهد والتقشف والبُعد عن الملذات، عمادها الرياضة المتعبة والمراقبة الذهنية الشاقة، وقد ازدهرت هذه الديانة وعلا نجمها حتى اصبح لها اثرها في الفكر الهندي. انظر: النحوي، عدنان علي رضا، ملحمة الاسلام في الهند، دار النحوي، الرياض، 1412هـ/1992م، ص:19.

[2] منسوبة الى المفكر الهندي (جوتام بوذا) الذي ولد في قبيلة (ساكيا) شرقي الهند بين مدينة (بنارس) و(جبال الهملايا) شمال نهر كانج سنة (644 ق. م)، وكلمة (بوذا): تعني العراف، وقد بث بوذا مواعظه عن طريق الخطب دون أن يترك كتاباً، فجمع بعض تلامذته مواعظه في كتب ألفوها. انظر: المرجع نفسه، ص: 18.

[3] ديورانت، ول، قصّة الحضارة (الهند وجيرانها) ترجمة: زكي نجيب محمود، ط3، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، (لا.ت)، ص: 125.

[4] الندوي،أبو الحسن علي بن الحسين،ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين،ط8،دار نهر النيل، القاهرة،1409هـ/1989م،ص:41.

[5] المرجع نفسه، ص: 41 – 42.

[6] المرجع نفسه، ص: 43، النمر، تاريخ المسلمين، ص: 27 – 28، لوبون، غوستاف، حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1948م، ص: 293 – 195.

ورجال الدين)،والاكشترية (طبقة المحاربين)،والفيشية (طبقة الزّراع والتجار التي توفر وسائل العيش للكّهان والمحاربين) والشودراء (طبقة المنبوذين) وهي تقبع في اسفل الهرم الإجتماعي، وليس لها مهنة خاصة، ولم يعترف لها بعمل إلاّ خدمة الطوائف السابقة[1]، فكانوا في المجتمع الهندي – بنص قانون منو – أحط من البهائم وأذل من الكلاب، فيصرّح القانون بإن من سعادة شودراء، أن يقوموا بخدمة البراهمة، وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك، وليس لهم أن يقتنوا مالاً أو يدخروا كنزاً، لإن ذلك يؤذي البراهمة، وإذا ما مَد أحد المنبوذين إلى برهمي يداً أو عصاً ليبطش به قطعت يده، وإذا رفسه في غضب قُطعت رجله أما إذا مسّه بيده أو سبّه فيُقتلع لسانه[2].

اما الشهوة الجنسية الجامحة، والفساد الأخلاقي فقد امتازت بهما ديانة الهنود ومجتمعها منذ العهد القديم، فلعل المواد الجنسية والمهيجات الشهوية لم تدخل في صميم ديانة مثلما دخلت في صميم ديانة الهند، فقد تناقلت الكتب الهندية عن ظهور صفات الآلهة وعن وقوع الحوادث العظيمة، وروايات وأقاصيص عن اختلاف الجنسين، وزد على ذلك عبادتهم لآلة التناسل، ويُذكر أن بعض الفرق الدينية كانوا يعبدون النساء العاريات، فضلاً عن أن النساء يعبدن الرجال العراة، فإذا كان ذلك شان البيوت التي رفعت للعبادة والدين، فما ظنّك ببلاط الملوك وقصور الأغنياء فقد تنافس فيها رجالها لإثبات كل منكر وركوب كل فاحشة[3].

أن الاستبداد السياسي والإجتماعي الذي أتخذته الهند أسلوباً ومنهجاً لحكومتها، أضف إلى ذلك النظام الإقطاعي، ونظام الطبقات الإجتماعي الجائر اللذين كانا سائدين في ذلك الوقت، كل ذلك أسفر عن عزلة بلاد الهند عن العالم الخارجي, ولم تدرك بلاد الهند التغيير الهائل الذي حدث على الحدود، فالعزلة الجغرافية والحضارية لبلاد الهند اعطت الحكام رؤية غير واضحة، وعدم تقدير صحيح لديناميكية القوة الدولية من حولهم، وهذا ما أكّده المؤرخ الهندي بانيكار[4] بقوله: ((...فلا توجد بلاد أنعزلت عن العالم مثل الهند لمدة ثلاث مائة عام، وبدون معرفة ما يدور من حولهم زاد الشعب الهندي عزلة، وأصبحت الحضارة متدهورة وتوالد فيها نقص الأتصال بالثقافات الأخرى، وأصبح المجتمع ساكن راكن، وتنظيمات العصور الماضية التي كانت نظرية أكثر منها واقعية ... أصبحت مقبولة كقواعد مسلم بها ... وقد ظهر ذلك التدهور في كل مكان ...)).

ويزيد المؤرخ بانيكار[5] الصورة وضوحاً في تفسيره سر استسلام شمال الهند ابان الفتح الغزنوي لها، فيقول: ((أن الأمراء الهنود نسوا أمر التهديد الإسلامي منذ توقف

---

[1] إطلاع على تفاصيل نظام الطبقات الجائر في بلاد الهند، انظر: البيروني، تحقيق، ص: 71، الندوي، ماذا خسر، ص: 43 – 45، لوبون، حضارات، ص: 295 – 303، النمر، تاريخ المسلمين، ص: 28 – 31.

[2] الندوي، ماذا خسر، ص: 45.

[3] المرجع نفسه، ص: 43 – 44.

[4] PANIKKAR (K.M): ASURVEY of INDIAN HISTORY, BOMBAY, 1945, PP:110 – 111

[5] ASURVEY OF INDIAN: 112.

زحف المسلمين بعد وفاة المعتصم، وأنهم عاشوا دهراً طويلاً في مامن من الغزو. ولـــم يكن خطر ببالهم أن يجيئ التهديد من أية قوة إسلامية كانت. فعاشوا في طمانينة كاذبة أفقدتهم الشعور بالخطر الذي تجمع في شمال إيران. بل عاشوا في عزلة كاملة جعلتهم على غير علم بما كان يجري على مقربة من حدود بلادهم من تطورات، وكانت الغزوات الإسلامية آخر القرن الرابع [الهجري] الدافقة من الشمال مفاجأة كامنة لهم))[1].

كانت هناك قوة جيدة حوّلت الإسلام في الهند إلى حركة، تلك هي قوة المســـلمين في اقليم كابلستان, وأصبحت هذه القوة تهدد البنجاب أولا ثم تؤثر في باقي بلدان الهند بعد ذلك، ويحدد بانيكار[2] دور أفغانستان في مصائر الهند فيذكر أنه كلما كانت أفغانستان ضعيفة مفككة الأوصال لم يكن هنالك خطر على الهند، وإذا ما شهدت بعثاً قوياً يوّحـــد بين قبائلها ويعيد الحياة إلى تاريخها فإنها تهدد بلد الهند تهديداً خطيراً، وتهدد البنجاب أولاً ثم تؤثر في مستقبل الهند السياسي فيما بعد، وهذا ما حدث فعلاً، إذ استطاع الأمير سبكتكين ومن بعده ابنه السلطان محمود أن يوّحد القبائل الأفغانية ليسير بجحافلها نحو الهند.

لهذا كان لابد للبعث الإسلامي الجديد – ليترك الأثر القوي في حياة الهند، ويفيـــد من أنقساماتها السياسية والإجتماعية والمذهبية – أن ينطلق من أفغانستان فتكون نواته في غزنة، عند ذلك تتحول من ولاية إسلامية نائية إلى إمارة ذات شأن. ثم إلـــى دولـــة ذات قوة وسلطان.

---

[1]LBID , p, PP. 122 –123.
[2]LBID, 112 – 113.

3- اسباب(دوافع)فتوح السلطان محمود في شبه القارة الهندية:

قبل الخوض – بدراسة تفصيلية – لحملات السلطان محمود الغزنوي وفتوحاته في شبه القارة الهندية، يجدر بنا أن نناقش الأسباب أو البواعث التي دفعته إلى شن حملات عسكرية متتابعة، منظمة ومخططة على بلاد الهند، كانت أبرز نتائجها فتح شمال شبه القارة الهندية، ونشر الإسلام في ربوعها.

أنشأ سبكتكين وابنه السلطان محمود جيشاً قوياً، مدرباً ومنظماً ومسلحاً بأعتى الأسلحة المتوفرة وقتذاك، وضم عناصر مختلفة من الافغان والترك والعرب والخلج وغيرهم، فرأى الأمير سبكتكين وابنه محمود من بعده ضرورة الإنطلاق بتلك القوة الهائلة إلى ميدان فسيح، إذ لم يكن في استطاعتهما الأتجاه إلى بلاد العراق؛ لإن البويهيين وطّدوا نفوذهم فيها، كما أن بلاد ما وراء النهر قد دخلت تحت سيادة الدولة القراخانية، لذلك كان لابد لهذه القوة أن تجد لها متنفساً يتفق مع طابع الدولة وطبيعة تركيبها، ولم يكن هذا المتنفس إلاّ عبر وادي كابل ثم إلى بلاد البنجاب والهند[1].

على أن أحد المستشرقين[2] ذكر أن هذا الأتجاه كان بسبب رغبة سبكتكين في توطيد نفوذه على وادي كابل، وأن ذلك قاده إلى الإحتكاك بجيبال ومملكة البنجاب، فلما خضعت البنجاب فتحت شمال شبه القارة الهندية على مصاريعها.

ومما لاشك فيه أن الرغبة في الجهاد، ورفع راية الإسلام خارج حدود بلاد الإسلام يُعد أقوى الأسباب التي دفعت الغزنويين إلى القيام بفتوحاتهم، خصوصا بعد أن غلب الإسلام على اقليم المشرق، وأسلم الغور، فلم يبق إلا أن تنصرف هذه الرغبة إلى الممالك الوثنية في الهند، وقد القى ابن الأثير[3] الضوء على الحوافز الدينية العميقة التي كانت تختلج في صدر السلطان محمود قائلاً:((... أحب أن يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين، فثنى عنانه نحو تلك البلاد...)) لذلك فرض على نفسه كل عام غزو بلاد الهند.

غير أن بعض المؤرخين[4] ذكروا أن السبب المباشر الذي دفع السلطان محمود للقيام بفتوحاته في شبه القارة الهندية طمعه في ثروات الهند وكنوزها الدفينة، وأنه لا أساس البتّة للقول بان دوافعه كانت غيرته الدينية ورغبته في الجهاد ورفع راية الإسلام.

---

[1] حسن محمود، انتشار الإسلام، ص: 291، الفقي، بلاد الهند، ص: 16. شلبي، موسوعة التاريخ (الإسلام والدول)، ص: 273.

[2] LANE – POOL, MEDIEVAL INDIA, p: 14.

[3] الكامل، 7 / 524.

[4] بارتولد، تركستان، ص: 433، ديورانت، الهند وجيرانها، ص: 126، عباس برويز، تاريخ إيران، ص: 185.

ويبدو لنا أن هؤلاء المؤرخين قد جانبوا الصواب كثيراً إذ ليس من الإنصاف الحكم المطلق، بإن دوافع السلطان محمود للقيام بهذا الفتح العظيم تنحصر في طمعه بثـــروات الهند، وحُبّه الشديد لجمع المزيد من الاموال، على الرغم مـــن أن شـــريعة الحـــرب – بموجب الدين الاسلامي – تجيز اضعاف العدو مادياً ومعنوياً بكل الوســـائل الممكنـــة، فضلاً عن أنها تجيز الحصول على الغنائم من الأموال المنقولة وغيـــر المنقولـــة بعـــد تحقيق النصر الحربي على العدو.

ومهما تعددت الآراء ووجهات النظر حول أسباب ودوافع السلطان محمود للقيام بحملاته المظفرة على بلاد الهند، فان الذي يغلب على الظن أن الرغبة في الجهاد، ورفع راية الإسلام، كانت أهم الأسباب التي دفعته لتحقيق ذلك الهدف السامي، فضلاً عن أن موقع غزنة (العاصمة) الفريد والقريب من بلاد الهند الشمالية وتمركزها على قمة الهضبة التي تشرف على سهولها، واستيلاؤه على معظم مدن اقليم المشرق الإسلامي الواقعة غرب غزنة، وتامين حدود دولته وسيطرته على سجستان وبلاد الغور، قوّى مركزه الحربي في الداخل، وأطمئن على تماسك جبهته الداخلية مما جعله مطلق اليد في توجيه حملاته العسكرية المنظمة بأتجاه بلاد الهند، كما أن ضعف الكيانات السياسية الحاكمة في بلاد الهند وتشرذمها وانقسامها على نفسها؛ كان له دور مهم في تحريك دوافع الفتح في نفس السلطان، مع إننا لا ننكر الدافع الإقتصادي، إذ كانت بلاد الهند تشكل مصدراً مهماً من مصادر الأثراء المادي، لما تتمتع به من خيرات كثيرة، ولكننا لسنا مع القول بإن هذا الدافع هو الرئيسي والوحيد الذي دفع السلطان للقيام بفتح بلاد الهند الشمالية.

4- حملات السلطان محمود وفتوحاته في شبه القارة الهندية:

سار السلطان محمود الغزنوي على نفس سياسة ابيه، التي ترتكز على بسط سيطرة الدولة الغزنوية على بلاد الهند، وساعد على ذلك قرب غزنة من بلاد الهند الشمالية ووقوعها على الهضبة التي تشرف على سهولها، ورای في بلاد الهند ميدان الجهاد الأكبر، فغزاها سبع عشر غزوة، في مدى سبعة وعشرين سنة بين (390 – 417هـ/1000 – 1026م)، كانت نتيجتها خضوع شمال شبه القارة الهندية من:"بنارس" الى غزنة ومن "الهملايا" الى"الدكن" ونجح في نشر الإسلام وإحلاله محل البرهمية في كل مكان وطأته أقدامه[1].

اتخذت غزوات السلطان محمود الغزنوي صفة (الحوليات) وكانت كل سنة تقريباً تشهد غزوة منه إلى بلاد الهند، وسلكت جيوشه الطريق الذي سلكه الأسكندر الأكبر وغيره من الفاتحين الذين سبقوه إلى غزو الهند، وهو طريق الممرات الواقعة في جبال هندكوش وسليمان شمال شرقي الهند، المسمى: الباب الغربي للهند، وهناك مدخل آخر يخترق جبال الهملايا من جهة الشرق يسمى: الباب الشرقي، وهو الباب الذي دخل منه الآريين والأغريق والهون إلى بلاد الهند في الأزمنة القديمة[2].

بدأ السلطان محمود أولى غزواته على بلاد الهند سنة 390هـ/1000م عقيب عقده للصلح مع خلف بن أحمد حاكم سجستان، وقد استولى على عدد كبير من القلاع في الهند، إلاّ أن الكرديزي[3] الذي انفرد بذكر هذه الغزوة لم يحدد بالضبط موقع هذه القلاع ولا أسماءها.

واصل السلطان محمود سياسة ابيه ضد مملكة جيبال الهندية المجاورة؛ بهدف ضم بعض أجزائها، فخرج في المحرم سنة 392هـ/ نوفمبر 1001م على راس جيش يتكون من خمسة عشر الف مقاتل وعند مدينة بشاور التقى بجيش الملك جيبال الذي يقدر بنحو (عشرة آلاف) فارس، (وثلاثين ألف) من المشاة، فضلاً عن ثلاثمائة من الفيلة، فنشب القتال بين الفريقين ومن الجدير بالذكر أن الجيش الغزنوي قد أعجل العدو قبل أن ينضم إليه حلفاؤه من قبائل الهند، وانجلت المعركة بهزيمة الهنود وقتل من أصحابه نحو (خمسة آلاف)، وأسر جيبال نفسه مع عدد من أهله وعشيرته وغنم المسلمون مغانم كثيرة، واستولوا على عدد من المدن الهندية، ولما وضعت الحرب أوزارها وافق السلطان محمود على إطلاق سراح جيبال؛ ليراه الهنود في حالة من الذل، بعد أن أفتدى نفسه بمالٍ كثير وعدد كبير من فيلة الحرب، ولم يستطع الملك الهندوكي بعد أن أطلق سراحه أن يبقى على قيد الحياة بعد أن لحقه الذل والعار، وكان من عادة الهنود، أن من يقع منهم في الأسر لا تقبل له رياسة بعدها، فتخلى " جيبال " عن الملك لأبنه، وفضل

[1] الساداتي، تاريخ المسلمين، ص: 69، الفقي، بلاد الهند، ص: 18.
[2] حسن محمود، الإسلام والحضارة، ص: 155.
[3] زين الأخبار، ص: 281.

الانتحار على طريقة أهل الهند، فحلق شعر رأسه والقى بنفسه في النار في شوال سنة 392هـ/اغسطس 1001م[1].

سار السلطان من هناك أيضاً نحو (ويهند)[2] وفتح بعض ولاياتها، وبينما هو مشغولاً بذلك، بلغه أن جماعة من أهل الهند قد اجتمعوا بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد والعناد، فأرسل اليهم فرقة عسكرية من جيشه، فهزموهم وأكثروا فيهم القتل، وعندما حل فصل الربيع من السنة نفسها عاد السلطان إلى غزنة[3].

أراد السلطان محمود بذلك أن يؤكد السيادة الغزنوية في منطقة " البنجاب "، وكان من أثر ما أحرزه (محمود) في هذه الغزوة، أن أطلق عليه لقب " الغازي "[4].

انشغل السلطان بعد ذلك بأمر سجستان، فلما ضمها إلى أملاك دولته عاود فتوحاته في بلاد الهند، وقام بحملته الثانية سنة 395هـ/1005م، فاتجه أولاً إلى (بهيرة) وفتحها وضمها إلى أملاكه[5]، ثم اتجه الى " بهاطية "[6] وصاحبها يومئذ يعرف (بجهرا)[7]، وتمتاز هذه المدينة بحصانة موقعها، إذ تحيط بها الأسوار، والخنادق، فامتنع صاحبها بها، وزحف السلطان بجيشه عبر طريق والشستان وعبر بحر السند بالقرب من الملتان وطوق القلعة وأحكم محاصرتها، فخرج راجا بهاطية من القلعة، وكان رجلاً مغروراً بكثرة رجاله وأفياله، واشتبك مع الجيش الغزنوي في معركة استمرت ثلاثة أيام، ولما رأى السلطان أن العدو قوي وشجاع وأن جنوده كادوا يفقدون معنوياتهم وحماسهم، دخل بنفسه أرض المعركة وقام بتشجيع جنوده، وحثهم على الجهاد، فتغيرت موازين القوى لصالح الجيش الغزنوي، فلما أدرك (بجهرا) ضعفه ووهنه أمام القوات الغزنوية، أخذ جماعة من ثقاته واعتصم بالجبال المجاورة، فأرسل إليه السلطان فرقة من جيشه باغتته على غرة وأنزلت به الهزيمة، ولاذ بالفرار محتمياً ببعض القلاع، لكن السلطان لاحقه قبل أن يتمكن من التقاط أنفاسه فردم المدخل وسيطر على مداخل المدينة وتمكن من تحطيم أسوارها وطارد ملكها " بجهرا "الذي لاذ بالفرار، فلما أحيط به عمد إلى الإنتحار مثلما فعل الملك جيبال، فأغمد خنجره في صدره ومات، فقطع المسلمون رأسه، وأرسلوا به إلى السلطان محمود، وقتلوا من كان معه، وغنم المسلمون غنائم كثيرة من الأموال والفيلة، ودخلت بهاطية في حوزة المسلمين، وأقام بها السلطان ينظم شؤونها

---

[1] العتبي، تاريخ، 360/1 – 366. الكرديزي، زين الاخبار، ص: 282، ابن الأثير، الكامل، 524/7 – 525.

[2] تقع على الشاطئ الشمالي لنهر السند على بعد حوالي عشرة أميال غربي اتك. انظر: عفاف زيدان هوامش، زين الأخبار، الكرديزي، ص: 285.

[3] العتبي تاريخ، 367/1 – 368، الكرديزي، نفسه، ص: 285، ابن الأثير، الكامل، 525/7.

[4] الجوزجاني، طبقات، 228/1.

[5] الصفدي، الغزنويون، ص: 51.

[6] مدينة من أعمال الهند، تقع وراء الملتان، تمتد على طول الطريق الشمالي الغربي لوادي كنكا الغني بالثروات. انظر: ابن الأثير، الكامل، 539/7، خليلي، سلطنة، ص: 60.

[7] الهاء مثبتة في الخط، ساقطة في اللفظ (شرح اليمينين 67/2)؛ لذلك ذكره ابن الأثير باسم: (بجيرا) بدون هاء. انظر: الكامل، 539/7.

ويرتب قواعدها، ودعا أهلها إلى الإسلام، واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وأمر بإقامة المساجد في تلك البلاد، ثم عاد إلى غزنة، وفي طريق عودته إليها لحقت بجيشه بعض الخسائر الجسيمة؛ بسبب فيضان أنهار البنجاب وغزارة الأمطار[1].

واصل السلطان محمود غزواته المظفرة على بلاد الهند الوثنية، ومما ساعده على تحقيق انتصاراته: تفرق حكامها، فكان من السهل أن يقصدهم واحداً بعد الآخر، فخرج من غزنة سنة 396هـ/1006م قاصداً الملتان؛ بهدف إخضاع أميرها الإسماعيلي أبو الفتح داود بن نصر، وهو من بقايا الفاتحين المسلمين الأوائل، ينتحل مذهب الباطنية، ويدعو الناس إليه، فلما علم السلطان بخبث معتقده والحاده، وانتشار فساده، قرر تطهير الملتان من شره[2].

ولما كانت مملكة " أنندبال بن جيبال " تقف حائلاً بين السلطان وبين الوصول إلى الملتان، فقد طلب من حاكمها أن يسمح لجيوشه بالمرور عبر مملكته، فلما رفض (انندبال) قرر السلطان البدء بحربه، وتمكن بعد أن خاض معه العديد من المعارك من أن يهزمه ويستولي على بلاده، بينما لاذ هو بالفرار إلى جبال كشمير[3].

بعد ذلك واصل السلطان طريقه نحو الملتان، فلما علم داود بن نصر حاكمها بما حل بالملك " أنندبال " الذي يفوقه عتاداً وعدّة، فر هارباً إلى سرنديب[4] حاملاً أموالاً كثيرة تاركاً لأهلها وحدهم عبء مقاومة السلطان، الذي وصل اليها سنة 396هـ/1006م، وأحكم الحصار حولها لمدة سبعة أيام ثم تمكن من دخول بلدهم – الملتان – عنوة وقهراً والزمهم بدفع جزية كبيرة؛ عقوبة على عصيانهم تقدر بنحو عشرين مليون درهم[5].

اتجه السلطان محمود بعد ذلك الى ناحية قلعة " كواكير " وكان صاحبها يعرف باسم (بيدا)، وفيها حوالي ستمائة صنم، يعبدها أهلها، فاستولى عليها وأحرق أصنامها، وتتّبع ملكها الذي فر هارباً الى قلعة " كالنجار " فحاصره بها ثلاثة وأربعين يوماً؛ ونتيجة لشدة الحصار وطول أمده، أرسل بيدا طالباً الصلح فلم يجبه، ولما جاءت الأخبار من غزنة بأن أيلك خان ملك الترك قد عبر نهر جيحون، بهدف السيطرة على خراسان، اضطر السلطان إلى عقد الصلح مع ملك الهند (بيدا) على أن يُسلّم الأخير خمسمائة فيل

---

[1] العتبي، تاريخ، 66/2 – 69، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 286، ابن الأثير، الكامل، 539/7، النويري، نهاية الأرب، 39/26، ميرخواند، روضة الصفاء، ص: 136 – 137، الهروي، طبقات، 26/1، خليلي، سلطنة، ص: 60 – 61.

[2] العتبي، تاريخ،72/2، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 286.

[3] العتبي، نفسه، 74/2، الكرديزي، نفسه، ص: 287، ميرخواند، روضة الصفا، ص: 137.

[4] جزيرة عظيمة في بحر هركند في أقصى بلاد الهند، وفيها الجبل الذي هبط عليه أبونا آدم عليه السلام. انظر: الحموي، البلدان، 216/3، وتسمى اليوم (سيرلانكا).

[5] العتبي، تاريخ، 74/2 – 75، الكرديزي، زين الأخبار، ص: 287 غير أن الأخير أشار إلى أنها فتحت صلحاً اثر توسط الناس بينهم.

وثلاثة آلاف مَنّ[1] فضة، ولبس خلعة السلطان، وقطع ملك الهند أصبعه الخنصر وقـدمّها للسلطان محمود توثيقاً للعهد فيما يعتقدونه[2].

كان السلطان محمود قد عهد إلى نواسه شاه حفيد جيبال – الذي أعتنق الإسـلام, ودخل في طاعة السلطان – بأن ينوب عنه في حكم بلاد الهند الغزنوية، لكن نواسه شاه أرتد عن الإسلام عقيب ابتعاد السلطان محمود عن بلاد الهند، وعاد إلى كفره وطغيانه، فلما علم السلطان بذلك أسرع إلى بلاد الهند سنة 397هـ/1006م؛ لتأديب نواسه شاه، ففر الأخير من بين يديه لمجرد وصول السلطان أرض الهند، وبذلك عادت تلك النـواحي تحت السيطرة الغزنوية واستخلف السلطان محمود عليها رجلاً من ثقاته[3].

أدرك أمراء وملوك الهند خطورة انتصارات السلطان محمود المتتالية في بلادهـم، ومدى تهديده لاستقلالهم، فعقدوا العزم على الإتحاد والوقوف يداً واحدة أمـام الخطـر الغزنوي الزاحف على بلادهم؛ لذلك حشدوا الجيوش في اقليم البنجاب في حماس منقطع النظير تحت قيادة ((برهمن بال اندبال)) وقد وصف العتبي[4] ضخامة ذلك الجيش بقوله: ((... في جيش تجيش بسواد الرجال، وبيض الصفاح، وزرق الأسنّة، وسُمر الرمـاح، وزهر الدروع، ودكن الفيول))، والتقى الجمعان في ربيع الآخر سنة 398هـ/ ديسـمبر 1007م، ودارت بينهما معركة عنيفة بالقرب من شاطئ ويهند، وحمل علـيهم الجـيش الغزنوي بقيادة السلطان محمود نفسه، حملة لم يستطيعوا الصمود بعدها، ففر ملـوكهم وأمراؤهم، ولم يستطع جنودهم الثبات أمام ضربات الغزنويين القوية، فـلاذ مـن نجـا منهـم بالفـرار، واستولى السلطان محمود وجنده على عتاد وذخائر وكنوز الجيـوش الهندية، وكان (برهمن بال) قد لجأ الى قلعة " بهيم نغر "[5] الحصينة التي بنيـت علـى طرف جبل عالي، وقد كان ملوك الهند وأعيانها وجماعات النُسّاك من ذوي الأملاك بهـا يتخذونها مخزناً لصنمهم الأعظم قرناً بعد قرن، فينقلون إليها الذخائر ونفيس الجـواهر ما تخف أوزانه وتغلى أثمانه، تقرّباً إلى هذا الصنم[6].

اقتفى السلطان بنفسه أثر " برهمن بال " فلما وصل إلى هذه القلعة أحكـم عليهـا الحصار، وضيّق عليهم، وعندما رأى الهنود كثرة جمعه وحرصهم على القتال في سبيل الله، خافوا وجبنوا، وطلبوا الأمان، وفتحوا باب قلعـتهم فـدخلها المسـلمون، وصـعد

---

[1] ما يوزن به، يقال: مَنٌّ ومَنَّان وأمنان، والمنُّ كيل أو ميزان، والجمع: أمنان، والمـنّ: مائتـان وستون درهماً، وأواقية ست وعشرون أوقية، فتكون أوقيته عشرة دراهم. والمَنّ رطلان. انظر: الشرباصي، المعجم، ص: 443 – 444.

[2] ابن الأثير، الكامل، 542/7، ابن خلدون، تاريخ، 429/4.

[3] العتبي، تاريخ، 94/2.

[4] المصدر نفسه، 96/2.

[5] تسمى الآن: كانكره، وتقع في جنوب شرقي لاهور. عفاف زيـدان، هـوامش زيـن الأخبـار للكرديزي، ص: 289.

[6] العتبي، تاريخ، 97/2، الكرديزي، ص: 289، ابن الأثير، الكامل، 557/7، خليل، سلطنة، ص: 62، الفقي، تاريخ الإسلام، ص: 135 – 136.

السلطان محمود مع عدد من خاصته، وغنموا منها من نفيس الجواهر ما لا يُعد، ومن الدراهم سبعين مليون[1] درهم شاهية ومن الأواني الذهبية والفضية سبعمائة ألف وأربعمائة مَنٍّ، ويقال أن من جملة الغنائم أيضاً بيت مملوء بالفضة طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه خمسة عشر ذراع إلى غير ذلك من الأمتعة، وعاد بها إلى عاصمته غزنة حيث فرشها في ساحة قصره؛ ليراها سفراء الملوك، فأخذهم العجب؛ لأنهم لم يروا ولم يسمعوا بمثل هذه الثروة من قبل[2].

تابع السلطان محمود فتوحاته المظفرة في شبه القارة الهندية اثر انتصاراته السابقة، فتوغل هذه المرة في بلاد الهند حتى وصل مدينة تارين سنة 400هـ/1009م واستباحها، ونكس أصنامها، وعندما رأى ملكها عدم استطاعته الوقوف في وجه السلطان محمود، عرض عليه الدخول في طاعته على أن يقود إليه في بادئ الأمر خمسين فيلاً، ويحمل معها مالاً عظيماً، والفي رجل من عسكره يقومون بالتناوب بالخدمة في العاصمة غزنة، وأن يؤدي إليه جزية معلومة كل عام، وقد أوفى ملك الهند بهذه الشروط وعقد السلطان محمود معه الصلح، وعاد إلى غزنة[3].

ضاق السلطان محمود ذرعاً بمؤامرات داود بن نصر حاكم الملتان، فخرج اليه مرة ثانية سنة 401هـ/1010م بعد أن قضى على فتنة بلاد الغور، واستولى على ما بقي من الملتان، وقبض على أكثر القرامطة، وقتل بعضهم، وقطع أيدي البعض، ونكّل بهم أيّما تنكيل، وسجن الأخرين في القلاع، كما أوقع داود بن نصر نفسه في الأسر، وحمله معه إلى غزنة، ومنها أرسل الى قلعة غورك، وبقي فيها حتى وفاته، ولم يرجع عن بلاد الهند حتى قضى على الدولة الإسماعيلية قضاءاً تاماً، وخرّب المنصورة عاصمتها[4].

بلغت فتوحات السلطان محمود في شمال القارة الهندية حّداً لم تبلغه رايات الإسلام المنصورة قبلاً، ودخل دين الإسلام أفواج من أهل الهند، ومع ذلك لم يتوقف عن سياسته التوسعية، ومحاولة ضم المزيد من البلاد الهندية، فما أن انتهى من فتح بلاد الغور الجبلية ونشر الإسلام في ربوعها، وأعاد فتح مدينة قُصدار التي تمردت على السيادة الغزنوية، حتى عاد إلى جبهة الهند وقصد "تاردين" في أواخر فصل الخريف من سنة 404هـ/1013م، لكن تساقط الثلوج على غير العادة في ذلك الوقت، أخفى معالم الطريق؛ لذلك اضطر السلطان إلى العودة من حيث أتى[5].

وعندما أقبل فصل الربيع أعاد الكرّة من جديد، مصطحباً معه بعض الأدلاّء فلما وصل بالقرب من ناردين، قسم جيشه كعادته، فأسند أمر الميمنة إلى أخيه أبي المظفر نصر بن سبكتكين، وولى الميسرة أرسلان الجاذب، وجعل أبا عبدالله محمد بن إبراهيم

---

[1] كذا عند العتبي، تاريخ، 99/2، بينما ذكر إبن الأثير، أن السلطان غنم من الدراهم ما يعادل تسعين مليون. انظر: الكامل،/ 557/7.

[2] العتبي،تاريخ، 98/2 – 99،الكرديزي، زين الأخبار، ص: 289، ابن الاثير، الكامل، 557/7.

[3] العتبي، نفسه، 120/2 – 121، ابن الأثير، نفسه، 563/7، الذهبي، تاريخ الإسلام، (حواده سنة 400هـ) ص: 244، ميرخواند، روضة الصفا، ص: 141.

[4] الكرديزي،زين الأخبار، ص:290،الهروي،طبقات،27/1،الساداتي، تاريخ المسلمين، ص: 28.

[5] العتبي، تاريخ، 146/2 –147، خليلي، سلطنة، ص:64.

الطائي على مقدمة الجيش، ورتّب حاجبه الكبير التونتاش على القلب وسائر خواصه وغلمانه، وعندما اقتربت الجيوش الغزنوية من ناردين اسقط في يد صاحبها (بهيميال) فجمع عنده قادته واصحابه، وبرز الى جبل هناك صعب المرتقى، ضيّق المسالك، فاحتمى به[1]، وطاول المسلمين، وكتب الى الهنود يستدعيهم من كل ناحية، فاجتمع عليه كل من يحمل سلاحاً فلما تكاملت عدته نزل من الجبل، ودخل مع المسلمين في معركة عظيمة وصف العتبي[2] شدة القتال فيها بقوله: ((... فجد المصاع، واحتد القراع، وحُمي الوطيس، واستوى المرؤوس والرئيس...))، وعلى الرغم مما تجمع (لبهيميال) من الجيوش المزودة بالفيلة، إلاّ أن بسالة الجيش الغزنوي، ووابل السهام التي رشقوها قد حسمت المعركة وحطمت صفوف الفيلة، فاختبا بهيميال في إحدى القلاع، ففتحها السلطان بالقوة، فاستسلم الأمير الهندي بدون أي شروط، والجدير ذكره أن أبا عبدالله محمد بن إبراهيم الطائي قد أصيب في هذه المعركة إصابات خطيرة، ولكن السلطان حماه بواسطة غلمانه، ونجا من الموت بأعجوبة، وحصل الجيش الغزنوي من هذا الفتح على غنائم كثيرة، ووجدوا في أحد بيوت العبادة صنماً، قيل أنه بُني منذ أربعين ألف سنة، دمره السلطان محمود، ودعا أهل تلك البلاد الى نبذ عبادة الأصنام والدخول في دين الإسلام[3]، بعد ذلك عاد السلطان إلى مدينة غزنة مقر حكمه، وأرسل منها إلى الخليفة القادر بالله، يطلب منه منشوراً وعهداً بتولي خراسان وما بيده من الممالك الأخرى، فكتب له ذلك، ولقّبه: نظام الدين[4].

خرج السلطان محمود كعادته السنوية، في خريف سنة **405هـ/1014م** قاصداً بلاد الهند، فكانت وجهته هذه المرة مدينة " تانيسر"؛ بهدف إخضاع صاحبها "ترو جيبال" الذي تمادى في الكفر والطغيان والعناد للمسلمين، فلما سمع الأخير بقدوم السلطان إليه؛ أتخذ لنفسه موقعاً حصيناً بين نهري (تلنج وجومنا)، لكن السلطان محمود – بحنكته العسكرية وشدة مراسه – تمكن من إرسال بعض جنوده عبر النهر؛لإشغال الهنود بالقتال، وفي الوقت نفسه أعطى أوامره لباقي القوات بعبور النهر من من موقعين مختلفين؛ لتشتيت قوة المدافعين، واشتبك الفريقان في معركة عنيفة جدا، استشهد فيها العديد من المسلمين، إلاّ أن الجيش الغزنوي قد انتصر على جيش تروجيبال وشتت شمله، ثم اتجه المسلمون بعد ذلك صوب المدينة نفسها[5]، وعند وصولهم إليها وجدوها خالية من أهلها، فدخلها المسلمون دون قتال، وحطموا كثيراً من الأصنام، وحملوا معهم صنم (جكرسوم) الشهير الى غزنة، الذي يرونه أهل تانيسر معبودهم الأعظم ويؤكد الكرديزي[6] أن تانيسر مكان مقدس عند الهنادكة، يعد عندهم

[1] العتبي، نفسه، 148/2 – 149. ابن الأثير، الكامل، 592/72.
[2] العتبي، نفسه، 151/2.
[3] العتبي، تاريخ، 151/2 – 153، ابن الأثير، الكامل، 592/7.
[4] ابن الأثير، نفس المصدر والصفحة.
[5] العتبي، تاريخ،153/2 – 155،ابن الأثير،الكامل،595/7،النويري،نهاية الأرب،48/26 – 49.
[6] زين الأخبار، ص: 290. علماً انه ذكر وقوع هذه الغزوة سنة 402هـ/1011م.

بمثابة البيت الحرام عند المسلمين، ويقدس الهنود هذه البقعة تقديساً عظيماً، وقد ترتب على هذا الفتح العظيم أن دان للمسلمين اقليم البنجاب، وأصبح الطريق إلى سهول الهند ممهداً أمامهم[1].

وفي سنة 405هـ/1014م أيضاً، فتح السلطان قلعة "تندنه"، وحمل الجيش الغزنوي ما فيها من أموال وسلاح، وعيّن السلطان محمود (سارغ الشرابدار) كوتوال[2] لهذه القلعة، واتجه من هناك إلى وادي كشمير حيث يوجد تروجيبال الملك الهندوسي، وحينما علم الأخير بقدوم السلطان هرب، فاستولى الجيش الغزنوي على كل القلاع الواقعة في وادي كشمير، ووجد الجيش فيها غنائم كثيرة، ودخل كثير من الكفار في الإسلام، وأمر السلطان أن يشيدوا المساجد الجامعة في كل مكان فتحه، فضلاً عن إرسال الأساتذة إلى كل مكان ليعلموا الهنود شرائع الدين الإسلامي الحنيف[3].

حاول السلطان محمود أن يكمل فتح مدن كشمير التي استعصت عليه في حملته السابقة، فاتجه إليها سنة 406هـ/1015م، فلما وصل إلى واديها برد الجو ودخل الشتاء، وكان في وادي كشمير حصن محكم، كثير المياه، ومزدحماً بالناس، يسمونه " الوهكوت " أي: الحصن الحديدي، وأنزل الجيش الغزنوي أمامه ودارت رحى الحرب، وظل هناك فترة من الزمن، وحينما استعد للاستيلاء على الحصن، حلّت البرودة الشديدة وتساقطت الثلوج وتجمعت حتى أصبحت الأيدي لا تتحرك من شدة البرودة؛ فحال ذلك دون تحقيق السلطان لهدفه المنشود، وخرج الجيش الغزنوي إلى الصحراء، وفي الربيع عاد السلطان إلى غزنة[4].

كان من أثر الانتصارات الرائعة التي أحرزها السلطان محمود في بلاد الهند، والغنائم الكثيرة التي حصل عليها جيشه المظفر، إذ كان جنده كثيراً ما يتركون وراءهم أواني الفضة لثقلها، اكتفاءً بما كانوا يحملونه من ذهب وجواهر، والمعروف أن أواني المعابد الهندية، وأكثر الآنية التي تزخر بها دور الأغنياء لم تكن في الغالب إلاّ من الذهب الخالص؛ لذلك تدفق على السلطان محمود من المتطوعة عشرين الف مقاتل من بلاد ما وراء النهر وغيرها من بلاد المشرق الإسلامي، فقوي بهؤلاء الجيش الغزنوي وزاد تعداده[5].

أنشغل السلطان محمود – بعض الوقت – بفتح إمارة خوارزم، ولما فرغ منها ورتب شؤونها، صمم على غزو كشمير المجاورة لممتلكاته الهندية، وقد اتخذت حملاته

---

[1] MUUNSH,(K.M):THE STRUGGLE FOR EMIRE,BOMBAY, 1966, p 12.

[2] يبدو أنه ظل كوتوال لقلعة تندنه حتى زمان السلطان مسعود بن محمود، لأنه هو الذي أطلق سراح خواجة عبد الرزاق بن أحمد بن الحسن الميمندي سنة 424هـ/1033م. انظر: البيهقي، تاريخ، ص: 158. وكوتوال: قائد القلعة وكوت بالهندية القلعة، والكلمة تركية الأصل ومعناها في الجغطائية حارس القلعة أو قائدها. انظر: يحيى الخشاب، المصطلحات التاريخية الواردة في كتاب تاريخ البيهقي، ص: 803.

[3] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 292.

[4] المصدر نفسه، ص: 292 – 293.

[5] العتبي، تاريخ، 263/2، ابن الأثير، الكامل، 612/7، الفقي، بلاد الهند، ص: 22.

عليها شكلاً أكبر وأوسع، على الرغم من أن خطوط المواصلات بين غزنة وبلاد الهند أصبحت طويلة، حتى أنه كان يقطعها في ثلاثة شهور مع السير المتواصل، ولما بلغ بقواته بلاد الهند خشي أمراؤها باسه، فأرسلوا رسلاً إليه يبذلون له فروض الطاعة والولاء، ولما بلغ مشارف كشمير أتاه حاكمها وأسلم على يديه، وواصل السلطان الغزنوي زحفه وفي طريقه استولى على الولايات الفسيحة والحصون المنيعة حتى بلغ حصن "هودب" فاستسلم صاحبه للجيش الغزنوي، ودخل هو وعشرة الآف من جنده في الدين الإسلامي، تركوا عبادة الأصنام؛ حماية لأنفسهم من جيش السلطان محمود[1].

واصل السلطان محمود زحفه في البلاد الهندية حتى بلغ قلعة كلجند[2]، والطريق اليها غياض ملتفة لا يمكن اجتيازها إلاّ بشق الأنفس وكان صاحبها، كما وصفه العتبي[3] قائلاً: ((... من أعلام الشياطين وأعيان أولئك الملوك الملاعين ...))، فسيّر جيشه إلى أطراف تلك الغياض كي يمنع المسلمين من اجتيازها، ولكن الجيش الغزنوي أحبط محاولته والحق به خسائر فادحة؛ لذلك عمد صاحب كلجند إلى زوجته "اينا" فقتلها، ثم انتحر على عادة ملوك بلاد الهند، وغنم المسلمون أمواله، وملكوا حصونه، وسار السلطان إلى بيت الأصنام المشهورة بهذه البلاد وهو (مهرة الهند) وبه خمسة أصنام من الذهب الأحمر مرصعة بالجواهر وفيها من الذهب ستمائة وتسعون ألف وثلاثمائة مثقال[4]، فأخذ السلطان محمود كل ذلك وأحرق الباقي[5].

لم يكتف السلطان محمود بما حققه من انتصارات، بل واصل حملاته المظفرة، ففي سنة 409هـ/1018م أراد أن يضرب قلب الهند؛ بالاستيلاء على مدينة قنوج الشهيرة، التي يقال أنها تضم نحو عشرة آلاف معبد، ولم يستطيع أميرها "راجيبال" أن يوقف الزحف الغزنوي، بل فرّ هارباً، واستولى الغزنويون عليها وعلى قلاعها وأعمالها، ثم سار إلى قلعة "البراهمة" ونشب القتال بينه وبين أهلها، الذين استماتوا في الدفاع عنها، ولكن دون جدوى فقد دارت الدائرة عليهم، ووقعت بهم الهزيمة، وأخذ المسلمون يقتلون ويأسرون ولم ينج منهم إلاّ الشريد، واتجه السلطان محمود بعد ذلك نحو قلعة "آسي" ولما لم يستطع صاحبها "جندبال" مواجهة القوات الغزنوية، لاذ بالفرار؛ ونتيجة لذلك امتلك السلطان محمود حصنه، ثم سار عنها نحو قلعة "شروة" وصاحبها (جنداري) فلما

---

[1] العتبي، نفسه، 264/2 – 265، ابن الأثير، نفسه، 612/7، الفقي، نفسه، ص: 22.

[2] LENE – POOL, MEDIEVAL INDIA, P. 24

[3] تاريخ، 267/2.

[4] المثقال: ما يوزن به، وهو من الثقل، وهو في الأصل: مقدار من الوزن، أي شيء كان، من قليل أو كثير، والناس يطلقونه في العرف على الدينار خاصة، والمثقال: درهم وثلاثة أسباع الدرهم، والمثقال زنة اثنين وعشرين قيراطاً إلاّ حبة، وهو أيضاً زنة اثنين وسبعين حبة شعير، وقيل أن المثقال منذ وضع لم يختلف في جاهلية ولا إسلام. انظر: الشرباصي، المعجم، ص: 403 – 404.

[5] العتبي، تاريخ، 268/2 – 275، ابن ظافر، الإمام جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، تح: عصام هزايمة وآخرون، دار الكندي للنشر والتوزيع، أربد – الأردن،1999م،420/2،ابن دحية،النبراس،ص:121 – 122، الفقي، بلاد الهند، ص:23.

اقتربت الجيوش الغزنوية منها، نقل ماله وفيلته إلى جبال منيعة، ونازل السلطان حصنه واقتحمه وغنم ما فيه، ثم تتبّع جنداري ولحقه في آخر شعبان من السنة نفسها ودارت بينهما معركة قُتل فيها العديد من الهنود وأسر منهم الكثير، بينما نجا جنداري في عدد قليل من أتباعه، وحصل الجيش الغزنوي من هذه المعارك على غنائم هائلة، وسبايا وفيرة، حتى كان يباع العبد باقل من عشرة دراهم[1]، فكان مجموع ما غنمه السلطان محمود من هذه الحملة، (عشرين مليون) درهم، وثلاثمائة وخمسين ألف من السبايا، وأكثر من ثلاثمائة وخمسين فيلاً[2]، والجدير بالذكر أن السلطان محمود أمر أصحابه أن يشيدوا المساجد في كل مكان، حتى يعلموا أهل هذه البلاد شرائع الإسلام، ويغسلوا عنها دنس الشرك والوثنية، أما هو فرجع إلى غزنة ظافراً منصوراً، وانفق ما حصل عليه في هذه الغزوة من مال وفير في تشييد جامع كبير بغزنة، بُني بناءً لم يسمع بمثله في ذلك الوقت[3].

ذكر ابن الأثير إن السلطان محمود قام بهذه الغزوة الشهيرة سنة 407هـ/1016م، على أن العتبي أكد أنها وقعت سنة 409هـ/1018م، وتبعه في ذلك الكرديزي، ويُرجح – في الأعم الأغلب– ما ذكره العتبي والكرديزي؛ نظراً لمعاصرتهما للاحداث، فضلاً عما ذكره ابن الجوزي[4] نقلاً عن رسالة السلطان محمود الموجهة إلى الخليفة العباسي القادر بالله، من أن السلطان محمود خرج من غزنة يوم السبت 13 جمادى الاولى سنة 409هـ/28 سبتمبر 1018م، فاذا كان الطريق كما ذكر ابن الأثير[5] يستغرق ثلاثة أشهر، فإن تاريخ فتح قنوج كما حدده العتبي[6] هو 25 شعبان سنة 409هـ/7 يناير 1019م، موافقاً لما ذكره ابن الجوزي في الرسالة المشار اليها.

لم يستسلم ملوك الهند لما لحقهم من هزائم متتالية، وسقوط مدنهم وأقاليمهم، البلدة تلو الأخرى، في أيدي الغزنويين، بل سعوا إلى التخلص من نفوذ السلطان محمود وسيطرته، وقد تزعم هذه التمرد " نندا " ملك (كجوراهة)، وهو أعظم ملوك الهند مملكة، وأكثرهم جيشاً، وهو الذي أرسل الى راي قنوج راجيبال يوبخه على إنهزامه، وتسليم بلاده للمسلمين، وآل الأمر بينهما إلى الإختلاف، فدخل الأثنان في معركة انتهت بمقتل راي قنوج، وأتى القتل على أكثر جنوده؛ فضاعف ذلك النصر نفوذ " نندا " والتف حوله ملوك الهند المجاورين، كما عقد إتفاقية تعاون مع تروجيبال ووعده بأن يساعده

---

[1] العتبي، تاريخ، 279/2 – 186، ابن الأثير، الكامل، 613/7 – 614.
[2] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 296.
[3] العتبي، تاريخ، 290/2. ابن الأثير، الكامل، 614/7.
[4] المنتظم، 292/7 – 293.
[5] الكامل، 612/7.
[6] تاريخ، 286/2.

على استرداد بلاده من يد السلطان الغزنوي، فازدادت قوته ورأى فيه ملوك الهند خير من يقودهم في معركة تحرير بلادهم من سيطرة الغزنويين[1].

لم يقف السلطان محمود مكتوف الأيدي؛ إزاء هذا الخطر الداهم الذي يهدد أملاك دولته في بلاد الهند، بل خرج في خريف سنة 410هـ/1019م على راس جيش كبير إلى بلاد الهند وعبر نهر الكنج، والتقى بجيش تروجيبال ودارت بينهما معركة هزم فيها الأخير، وفرّ هارباً مع عدد قليل من أصحابه ودخل الجيش الغزنوي مدينة "باري"[2] فوجدها خالية من الناس؛ وأحرق المعابد وكسر الأصنام وغنم كل ما وجده[3].

ومن هناك قاد السلطان محمود جيوشه قاصداً مملكة "ننداً" وعبر عدة أنهار كبيرة، فلما علم الأخير بذلك تهيأ للحرب، وجمع جيشاً كبيراً يتألف من ثلاثين ألف فارس وخمسة آلاف ومائة وأربعين راجلاً، وستمائة وأربعين فيلاً، مزوّداً بجميع الأسلحة اللازمة، فلما اقترب الجيش الغزنوي من حدود بلاده، عبّأ السلطان جيشه، وهيّأ الميمنة والميسرة والقلب والجناحين فضلاً عن المقدمة والساقة (المؤخرة)، ونزل بالقرب من معسكر العدو، وأرسل إلى ننداً رسولاً ينصحه ويبصره، ويدعوه إلى الاسلام[4]، ثم أرسل إليه الرسائل مهدداً ومنذراً: أسلم تسلم من هذه الحرب وهذه المحنة وهذا الفساد، فأجاب ننداً: لن يكون لي معك أمر غير الحرب، ويشير الكرديزي[5] إلى أن السلطان محمود استطلع جيش العدو قبيل الدخول في المعركة المرتقبة، فراى ما هاله من الخيام والخرابشتات والسرادقات والفرسان والمترجلين والأفيال، فدبّ في قلبه ما يشبه الندم، وطلب العون من الله تعالى، وساله النصر والظفر على الأعداء، وفي مساء ذلك اليوم أصيب الملك "ننداً" بالرعب والوهن على الرغم مما تجمع تحت قيادته من جيوش، ولاذ بالفرار ليلاً بدون قتال. غير أن ابن الأثير[6] خالف ما أورده الكرديزي، وأكد أن معركة حربية عنيفة قد دارت بين الطرفين استمرت يوماً كاملاً، ولما ادركهم الليل وحجز بينهم توقف القتال، ففر ننداً هارباً تاركاًوراءه خزائن كبيرة من الأموال والأسلحة، فاستولى عليها الجيش الغزنوي، ثم اقتفوا أثر المنهزمين فلحقوهم في الغياض والأجام فقتلوا العديد منهم وأسروا البعض الآخر، ونجا ننداً فريداً وحيداً، وعنما رأى ملوك الهند عدم جدوى التصدي للسلطان محمود؛ أرسلوا رسلهم إليه يبذلون الطاعة والأتاوة، فقبل منهم الصلح.

عاد السلطان محمود إلى غزنة بالنصر والظفر، وفي الطريق أعترضتهم غابة كثيفة، فدخل الجيش فيها، ووجدوا بها خمسمائة وثمانين فيلاً للملك ننداً، فساقوها

---

[1] الكرديزي،زين الأخبار،ص:297،ابن الأثير،الكامل،652/7، خليلي،سلطنة،ص:74،الفقي، بلاد الهند، ص: 23.

[2] تقع على الشاطئ الشرقي لنهر الكنج. انظر:عفاف زيدان،هوامش كتاب زين الأخبار للكرديزي، ص:297.

[3] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 297، خليلي، سلطنة، ص: 75.

[4] المصدر نفسه، ص: 297.

[5] المصدر نفسه، ص: 297 – 298.

[6] الكامل، 653/7 – 654.

جميعا، ثم أخبروا السلطان أن هناك واديين يسمى: أحدهما قيرات والآخر نـور، وهـي اماكن محكمة واهلها كفار وعبدة أصنام، فقصدهم السلطان محمود بجيشـه، مصـطحباً معه عمالاً كثيرين من الحدادين والنجارين وقاطعي الاحجار، فعبّدوا الطـرق، وقطعـوا الأشجار والأحجار[1].

وصل الجيش الغزنوي الى وادي قيرات أولا، وهو مكان مقدس وأهلـه يعبـدون الأسود، وهواؤها بارد، وفاكهتها كثيرة، فلما علم ملك قيرات قدم طائعاً، وطلب الأمـان، فاستقبله السلطان استقبالاً حسناً يليق به، وأسلم ملك قيرات، كما أسلم كثير من أهلهـا مقتدين في ذلك بملكهم، واستقبلوا الأساتذة والفقهاء الذين بدأوا تعليمهم قواعد الـدين، والعمل بالشريعة[2].

أما أهل وادي نور فقد تمردوا، فأمر السلطان الحاجب علـي بـن أيـل أرسـلان القريب، بأن يذهب على رأس فرقة من الجيش الغزنوي ففتحها، وبنى بها قلعة، وأعطى رئاستها لعلي بن قدر، وإن كان يؤخذ عليه إكراه أهلها على الإسلام، فجعل الإسلام فـي أعناقهم بالعنف والإكراه، وحد السيف، فقبلوه طوعاً وكرهاً، وانتشر الإسلام فـي هـذه الديار، وكان فتح قيرات ونور سنة 411هـ/1020م[3].

كتب السلطان محمود – بعد عودته الى غزنة – الى الخليفة العباسي القادر بـالله في بغداد، يخبره بما فتح الله عليه من بلاد الهند، ومدى انتشار الاسلام بـين صـفوف الكفار، فابتهج الخليفة العباسي، وأعلن هذا النبأ السار على الناس، فشاركوه ابتهاجـه، وكان ذلك بمثابة عيد عظيم في بغداد، وأنعم على السلطان محمود بالالقاب والخلع[4].

استمرت محاولات السلطان محمود لفتح كشـمير، فسـار نحوهـا بحلـول سـنة 412هـ/1021م، وحاصر قلعة (لوهركوت)، وأقام هناك شهراً كـاملاً، ولـم يسـتطع فتحها؛ لشدة مناعاتها وقوة إحكامها؛ ونتيجة لذلك خرج السلطان من هذا الوادي، ماراً بجانب لوهور وتاكيشر[5] وتفرق الجيش، وكانوا يغزون الوديان، ولما حل الربيع عاد الى غزنة[6].

لم يكف ننداً – ملك الهند – عن معارضته للحكم الغزنوي في بـلاد الهنـد، بـل استمر في تاليب الأمراء والملوك الهنود، محاولاً تشكيل حلف عسكري، يـتم بموجبـه كسر شوكة السلطان محمود، وتخليص بلاد الهند من الحكم الاسلامي الغزنوي؛ ونتيجة لذلك قرر السلطان محمود سنة 413هـ/1022م أن يضع حدّاً لتصرف هذا الملك، فاتجه على راس جيش، في حماس منقطع النظير،

---

[1] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 298.

[2] المصدر نفسه، ص: 299.

[3] المصدر نفسه والصفحة.

[4] هندوشاه، تاريخ فرشته،94/1.

[5] تقع بالقرب من لاهور. انظر: عفاف زيدان، هوامش زين الأخبار للكرديزي، ص: 299.

[6] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 299.

فلما وصل الى قلعة (كواليار)[1]، ضرب عليها الحصار وطـوّق الجـيش الغزنـوي جميع جوانبها؛ لشدة حصانتها ولكثرة ما بها من الحجارة الصلدة الشديدة المنعة بحيث لم يستطع الحفارون ولا الرماة الاستيلاء عليها؛ وبسبب شدة الحصـار وطـول امـده، اضطر قائد هذه القلعة إلى إرسال رسول يطلب الصلح، فأجابه السلطان إلى مطلبه على أن يسلم خمسة وثلاثين فيلاً، ورجع الجيش الغزنوي من هناك. وذهب الى قلعة كالنجر مقر الملك ننداً، وامر السلطان محمود جيشه بتطويق القلعة من جميع جوانبهـا، وظـل يفكر في الطريقة التي من خلالها يستطيع أن يفتح هذه القلعة؛ لأنها تقع علـى مكـان منيع شاهق الأرتفاع، لا طريق للحيلة ولا للشجاعة إليه، كما كان بناء القلعة من الحجر الصلب فتعذر حفره او قطعه، فظل على هذا الحال عدة أيام، ولما رأى ننداً عدم قدرتـه على تحمل الحصار، وسّط رسلاً لعقد صلح مع السلطان محمود، فتم الاتفـاق علـى أن يدفع ننداً جزية محددة سنوياً، وأن يقدم في الحال هدية، وثلاثمائة فيل، وفي الحال بادر ننداً بتنفيذ بنود الصلح المبرم، وقد انشد الملك ننداً شعراً باللغة الهندية يمدح السـلطان محمود، وأرسله إليه، فأمر السلطان بعرض هذا الشعر على الشعراء الهنـود والعـرب والعجم، فأعجبهم وقالوا: ليس في الممكن نظم كلام أبلغ وأرفع منه، فافتخر السـلطان محمود بذلك، وأصدر منشوراً سلطانياً يقلد ننداً إمارة خمسة عشر قلعة، وأرسله إليـه وقال له السلطان: هذا عطاء ذلك الشعر الذي نظمته من أجلنا، وأرسل له هدايا كثيـرة من الطرائف والمجوهرات والخلع، ورد ننداً على الهدية بأحسن منها. ثم عاد السـلطان من هناك ظافراً منصوراً[2].

غير أن الذهبي[3] قرأ بخط ابن القفطي من رواية الوزير ابن الميمندي[4]، أن رسـول ننداً جاء الى معسكر السلطان على سرير كالنعش يحمله أربعة أفراد، وكـان السـلطان يعظم الرسل كما تُعظّم رسله، حتى إذا صار بين يديه قال الهندي: أي رجل أنت ؟ قـال: أدعو الى الله، وأجاهد من يخالف دين الإسلام. قال: فما تريد منـا ؟ قـال: أن تتركـوا عبادة الأصنام وتلتزموا شروط الدين، وتاكلوا لحم البقر، وتردد بينهما الكـلام، وقـال الوزير: أتدري من تخاطب وبين يدي أي سلطان أنت ؟ فقال الهندي: أن كان يـدعو الله كما يزعم، فليس هذا من شروط ذلك، وأن كان سلطاناً قاهراً لا ينصف، فهذا أمر آخـر، فقال: الوزير دعوه. فلما رأى ملك الهند أن بلاده تخرّب وتـدمّر، وأنـه لا قـدرة لـه بمقاومة الجيش الغزنوي، أنفذ رسولاً آخر وتلطف في طلب الصلح قـائلاً: أن مفارقـة ديننا لا سبيل إليه وليس هنا حال فصالحك عليه، ولكن نجعل بيننا هدنة ونكـون تحـت طاعتك قال السلطان: أريد ألف فيل، وألف مَنّاً ذهباً قال هذا لاقدرة لنا عليه، ثـم تقـرر بينهما تسليم خمسمائة فيل، وثلاثة آلاف مَنّاً من الفضة، وأن يلبس الملك ننداً خلعتـه، ويشد السيف والمنطقة على وسطه، ويضرب السكة باسمه، فوافق الملك ننداً على كـل

---

[1] تقع جنوب اكره ويفصلها عن دهولبور ثلاثة وعشرين ميلاً.انظر:عفاف زيـدان،هوامش زيـن الأخبار للكرديزي،ص:299.

[2] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 299 – 300.

[3] السير، 13/315 – 316.

[4] انظر ترجمته في الفصل الثاني من دراستنا.

ذلك، إلاّ أنه إعتذر عن ضرب السكة باسم السلطان محمود، وكانت الخلعة عبارة عن قباء نُسج بالذهب، وعمامة قصب، وسيفاً محلّى، وفرساً وخُفّاً، وخاتماً منقوش عليه اسم السلطان محمود، وأمر رسوله أن يذهب بخلعته قائلاً له: اذهب حتى يلبس ذلك، وينزل إلى الأرض، ويقطع خاتمه وأصبعه[1(1)] ويسلمه اليك، فذلك علامة التوثيق، فذهب الرسول ومعه الوزير الميمندي، واستقبله الملك الهندي، ونفّذ كل ما طلب منه وقال له: قل لصاحبك أكفف عن أذى الرعية، فرجع السلطان بعد ذلك إلى غزنة.

وبناء على ذلك فمن المُرجّح ان يكون ما اورده الذهبي من خط القفطي عن رواية الحسن الميمندي وزير السلطان محمود، هو الاقرب الى الواقع؛ لعدد من الإعتبارات أهمها: أن السلطان لا يمكن أن يكتفي بفرض الجزية وقبول بعض الهدايا البسيطة من الملك نندا، دون أن يستوثق منه ويعلن طاعته وولاءه خصوصا وان الملك (نندا) كان من أشد المناوئين للحكم الاسلامي الغزنوي لبلاد الهند، كما أن رواية الميمندي – وزير السلطان ومرافقه في معظم حملاته – يعتد بها، وهي الأقرب إلى الواقع بحكم معاصرته.

واصل السلطان محمود سياسته في شبه القارة الهندية ونشر الاسلام في ربوعها، ففي سنة 414هـ/1023م أوغل السلطان محمود في بلاد الهند، وغنم وقتل العديد من كفارها، حتى بلغ قلعة على راس جبل منيع تسمى (مَن) ليس لها مصعد إلاّ من موضع واحد، وهي كبيرة جدا فيها خمسمائة فيل، فحصرهم السلطان، وضيّق عليهم، واستمر ذلك عدة أيام، فلما راوا ما حل بهم، وأن لا طاقة لهم بمقاومة السلطان؛ أذعنوا له وطلبوا الأمان، فأمنّهم، وأقر ملكهم فيها، بشرط أن يدفعوا لخزانة غزنة خراج معلوم، وأهدى ملك هذه القلعة بعض الهدايا النفيسة للسلطان محمود منها طائر على هيئة القمري، يقال أن من خاصيته إذا حضر الطعام وفيه سُم دمعت عيناه[2].

* فتح سومنات الشهير:

تتابعت غزوات السلطان محمود وانتصاراته في شبه القارة الهندية واتسعت املاك الدولة الغزنوية، وعظمت هيبته في نفوس اهلها، وذاع صيته في اقليم المشرق الاسلامي كله؛ وبسبب الحملات العسكرية المتتابعة التي شنها على بلاد الهند، فقد انهارت المراكز السياسية لتلك البلاد وسقطت الاسر الهندوكية، وفتحت المدن، وتم عبور الأنهار الهندية العظيمة، التي كانت تمثل سداً منيعاً أمام الجيش الغزنوي ودخلت أعداد هائلة من أهل الهند في الإسلام، وانضم لمعسكرات السلطان محمود العديد من أبناء البلاد المفتوحة.

وعلى الرغم من كل ما سبق، بقيت بعض المراكز الدينية التي كان السلطان لا يامن جانبها، وكان يخشى خطرها على مناطق نفوذه في الهند، فكانت سومنات أشهر هذه المراكز الدينية وأعظمها عند الهنود، فهم يرون أن صنم سومنات معبودهم الأعظم

---

[1] من مراسيم عقد الصلح عند الهنود آنذاك، أن الحاكم أو الملك المهزوم كان يقطع عقلة أحد أصابعه – وفي الغالب أصبح الخنصر – ويعطيها للأمير أو الملك الفاتح الذي يحتفظ بها كذكرى لانتصاره، وتوثيقاً لبنود الصلح، وبهذه الطريقة كانت خزائن السلطان محمود تضم العديد من أصابع أمراء وملوك الهند المهزومين. انظر: خليلي،سلطنة، ص:81.

[2] ابن الأثير، الكامل، 676/7.

يحُيي ويُميت، ويوجد ويفيت، ويبدئ ويعيد، ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأنه إذا شاء أبرئ من العلل حتى البرص والعمى والصمم والشلل، وزعموا أن الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت لديه فأنشأها، وهذا على مذهبهم في التناسخ، وزعموا أن ظهور مد البحر المتصل بقلعته وجزره، عباده من البحر لصنمهم سومنات، وكانوا يحجّون إليه ليلة كل خسوف فيجتمع عنده ما يزيد على مائة ألف إنسان[1].

وكانوا يحملون إليه علق نفيس ويعطون سدنته مالا جزيلاً وله من الموقوف ما يزيد على عشرة إلاف قرية، واجتمع في البيت الذي هو فيه من نفيس الجواهر مالاً لا تحصى قيمته، ويقرّبون له القرابين ويصفونه بعظيم الأوصاف، وكان كل ملك من ملوكهم يقيم عنه نائباً في ملازمة عبادته والقيام بخدمته، ريثما يصل هو بنفسه ليقيم فرض حَجّته[2]، وكان الهنود يعارضون به البيت الحرام[3]، ولأهل الهند نهر كبير يسمى "كنج" يعظمونه غاية التعظيم، ويلقون فيه عظام من يموت من كبارهم، ويعتقدون إنها تساق إلى جنة النعيم، وبين هذا النهر وبين سومنات حوالي مائتي فرسخ، وكان يُحمل من مائه كل يوم إلى سومنات ما يغسل به ويكون عنده من البراهمة كل يوم الف رجل؛ لعبادته وتقديم الوفود اليه، وثلاثمائة رجل يحلقون رؤوس زواره ولحاهم، وثلاثمائة رجل، وخمسمائة أمة يغنون ويرقصون على باب الصنم، ولكل واحد من هؤلاء شيء معلوم[4].

اما البيت الذي فيه سومنات، فهو مبني على ست وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص، وسومنات من حجر طوله خمسة اذرع: ثلاثة مدورة ظاهرة، وذراعان في البناء، ويعتقد الهنود أن السلطان محمود في غزواته كلما حطم صنماً، يعتقدون ان سومنات غير راض عنه وإلاّ لاهلك من قصده بسوء[5].

لم يهاجم السلطان محمود سومنات لتدمير صنم او الاستيلاء على ما فيه من أموال كما يدعي بعض المؤرخين، لكن سومنات كان أخطر مراكز المقاومة والعدوان الهندوكي في وجه الزحف الإسلامي، ومهما يكن من امر فقد خرج السلطان من غزنة في **10** شعبان **416**هـ/ **7** اكتوبر **1025**م على راس جيش كبير يتالف من ثلاثين ألف فارس سوى المتطوعة، فاقتحم صحراء جرداء قاحلة مترامية الاطراف، لا سكن فيها ولا ميرة، هي صحراء الثار – اكبر صحراوات الهند – لذلك جهّز السلطان جيشه على قدرها، ثم زاد بعد الحاجة عشرين الف جمل تحمل الماء والميرة[6]، فلما اجتاز هذه الصحراء، رأى في طرفها حصوناً مشحونة بالرجال ففتحها ودمّر أصنامها، وحصل منها على الماء والميرة اللازمتين لرجاله، وسار نحو أنهلوارة فوصلها في مستهل ذي القعدة، وفر من أمامه صاحبها المدعو " بهيم " واحتمى بحصن له، فاستولى السلطان

---

[1] ابن دحية، النبراس، ص: 123 – 124. ابن ظافر، تاريخ الدول، 421/2.
[2] ابن الأثير، الكامل، 684/7.
[3] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 308.
[4] ابن الأثير، الكامل، 684/7 – 685، القرماني، أخبار الدول، 426/2.
[5] ابن الأثير، الكامل، 686/7.
[6] المصدر نفسه، 685/7.

محمود على المدينة، وسار الى سومنات ودمر في طريقه عددا من الحصون فيها كثيـــر من الأوثان، وقاتل من بها وفتحها وحطم أصنامها وخرّب حصونها، وواصل سيره فـــي مفازة قفرة فلقي فيها نحو عشرين الف مقاتل من سكانها لم يدينوا لملـــك مـــن قبـــل، فأرسل إليهم السرايا فقاتلوهم وهزموهم وغنموا أموالهم، ثم سار الجيش الغزنوي حتى بلغ (دبولواره) بالقرب من سومنات، واشتبك مع أهلها في معركة عنيفة، وثبت أهلهـــا ظناً منهم أن صنمهم الأعظم سومنات سيمنعهم ويدفع عنهم الأخطار، فاســـتولى علهـــا الجيش الغزنوي وقتل العديد من رجالها، وغنم أموالاً هائلة، وقضى الســـلطان محمـــود على كل مقاومة اعترضت طريقه للوصول إلى سومنات[1].

وصل السلطان محمود وجيشه الى مدينة سومنات يوم الخمـــيس 15 ذي القعـــدة سنة 416هـــ/8 يناير 1026م[2]، ورأى الرهبان والبراهمة مشغولين بعبـــادة الأصـــنام، وخرج قائد تلك المدينة وركب سفينة مع أسرته وخزائنه وسار في النهر حتى نزل إلـــى جزيرة، وأقام فيها على أن لا يبرحها إلاّ أذا رحلت جيوش المسلمين من فوق أرضـــه، وطوقت الجيوش الغزنوية المدينة وأحكموا الحصار حولها، ودارت رحى الحـــرب بـــين الطرفين[3].

راى الهنود ان المسلمين يقاتلون قتالاً لم يعهدوا مثله، ففارقوا الســـور، ونصـــب المسلمون عليه السلالم وصعدوا إليه وأعلنوا بكلمة الأخلاص، وأظهروا شعار الإسلام، فحينئذ اشتد القتـــال وعظـــم الخطب، وتقدم جماعة الهنود إلى ســـومنات فعفـــروا لـــه خدودهم وتضرعوا إليه؛ لعله ينصرهم، وأسرعوا إلى صنمهم يقاتلون عنه، وفعلاً قاتلوا على بابه بعنف وضرواة، وحمل الجيش الغزنوي حملة أخذت الكثير منهم، وكان الفريق منهم بعد الفريق يدخلون إلى صنمهم سومنات، فيعتنقونه ويبكون ويتضرعون إليه ثـــم يخرجون فيقاتلون إلى أن يقتلوا جميعاً، حتى كاد الفناء يقضي عليهم، وقد أحدثت سهام الغزنويين رُعباً وفزعاً في صفوف المدافعين عن القلعة، وأجبرتهم على الإنسحاب إلـــى الداخل، تاركين أسوارها بدون حراسة فتسلق المسلمون جدار السور وأطلقـــوا صـــيحة التكبير، إلاّ أن الهنود الذين سقطوا تحت أقدام سومنات، هجموا دفعة واحـــدة وأجبـــروا المسلمين على التقهقهر، لكن المسلمين عقدوا العزم على دخول المعبد وتحطيم الصـــنم مهما كلف الأمر، فشن الجيش الغزنوي هجمات متتالية أنهكت قوى الخصـــم، وعندئـــذ سارع (بهيم ديو) حاكم (نهرواله) لإمداد أهل القلعة ولكن دون جدوى، إذ أن الســـلطان محمود اشترك بنفسه في معركة تحطيم سومنات، وقام بحث جنوده وتشـــجيعهم حتـــى فتحت القلعة في أخر الأمر[4].

---

[1] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 308، ابن الأثير، الكامل، 685/7 – 686، الهروي، طبقـــات، ص: 33.

[2] ابن الأثير، الكامل، 686/7.

[3] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 308.

[4] الكرديزي،زين الأخبار،ص:308،ابن الأثير،الكامل،686/7،الهروي،طبقات، ص:33، خليلـــي، سلطنة، ص: 85– 86.

كان من نتائج هجوم الجيش الغزنوي على قلعة سومنات مقتل أعداد كبيـرة مـن أهلها، وهروب جماعة منهم عبر السفن في محاولة لإنقاذ أرواحهم، ودخـل السـلطان محمود معبد سومنات، واتجه صوب الصنم الكبير لتحطيمه، وعندئذ تقدم أعيان البلـدة وكهنتها، وعرضوا عليه مبلغاً طائلاً من المال على أن يترك صنمهم على حاله، فطمـع أصحاب السلطان بما عُرض عليهم من المال، ورجوه أن يقبل عرض الهنـود، ويـوزع المال على الذين جاهدوا معه، فاطرق السلطان في الأرض قليلا ثم صرخ رافضاً بقوله: أنه جاء إلى المدينة ليكسر صنمها لا ليبيعه إلى أهلها، قال هـذه الجملـة بالفارسـية: ((محمود بت شكن است نه بت فروش)) ثم اردف قائلاً:((لو انا فعلت ذلك فان المسلمين يسمونني محمود بائع الاصنام ولو حطمته فسوف يسمونني محمـود محطـم الاصـنام وأحسن لي في الدنيا والآخرة أن يسموني محمود محطم الأصنام لا محمـود بائعهـا)) وجرد سيفه وضرب به ذلك التمثال العظيم وأمر جنوده أن يحطموه، ففعلوا وبينما هـم يكسرونه عثروا في جوفه على جواهر ولآلئ وأموال كثيرة جدا تزيـد علـى المبـالغ والأموال التي عُرضت على السلطان زيادة هائلة، ففهم السلطان محمـود غايتهم مـن ابتياعه[1]،وصعد المؤذن على سطح المعبد، واذن للصلاة وحطموا الاصـنام واحرقوهـا وابادوها واقتلعوا سومنات من جذوره وفتتوه ووضعوا بعض حجارتـه علـى ظهـور الدواب ونقلوها الى غزنة، فجعلها عتبة لجامعها[2].

أمر السلطان عقيب تحطيم الصنم بتحويل كل ما كان بداخل المعبد من مجـوهرات وذهب إلى الخزانة، ودمّر المعبد وبنى مسجداً بدلاً منه، ودخل بقايا سكان القلعـة فـي الدين الإسلامي[3]، ويقدّر أحد المستشرقين[4] مجموعة ما غنمه المسلمون من كنوز معبد سومنات بنحو (250) مليون فرنك.

علم السلطان محمود أن "بهيم ديو" حاكم نهرواله قصد قلعة "كندهه" في البحر على بعد أربعين فرسخاً عن البر من جهة سومنات، فسار إليه، فلما أقترب من القلعـة قـرر خوض البحر بمن معه من الجنود وخرجوا سالمين، فوجدوا "بهيم" قـد اخلـى القلعـة فاستولوا عليها، وبعد ذلك اتجه السلطان إلى المنصورة التي أرتد صاحبها عن الإسلام، وعندما بلغه خبر مجيئ السلطان هرب منها واحتمى بغياض كثيفة فأحاط به وبمن معه وقتل أكثرهم وغرق البعض الآخر ولم ينج منهم إلاّ القليل ثم سار إلى "بهاطية" فأطاعـه أهلها ودانوا له[5].

أخذ السلطان محمود ينظم شؤون هذه الولايات، ويرتب أوضاعها، والجدير بالذكر أن السلطان أعجب بجمال الهند، وخاصة اقليم "جوجرات" حيث هوائه العليـل، ومناخـه

---

[1] خليلي، سلطنة، ص: 91، الصّدفي، رزق الله منقريوس، تاريخ دول الإسلام، مطبعـة الهـلال، القاهرة، 1325هـ/1907م، 9/2.
[2] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 308.
[3] خليلي، سلطنة، ص: 98 – 99.
[4] غوستاف لوبون، حضارات الهند، ص: 220.
[5] ابن الأثير، الكامل، 687/7.

LANE – POOL, MEDIEVAL INDIA, PP, 26 – 27

المعتدل، إلى درجة أنه فكر في الإقامة فيه، وأن ينقل إلى هذا الاقليم عاصمة ملكه، ويستخلف ابنه مسعود على غزنة، لكن حاشيته وكبار قادته ووزرائه، اعترضوا على ذلك، سيما من كان منهم من أهل غزنة، عندما علموا انهم سيكونون في الدرجة الثانية بين سكان الدولة الغزنوية، فيما لو انتقلت العاصمة الى بلاد الهند، وعندئذ عدل السلطان محمود عمّا نواه، وعيّن بدلاً عنه نائباً، واتخذ من مدينة (لاهور) عاصمة للدولة الغزنوية في بلاد الهند[1].

قرر السلطان محمود العودة إلى غزنة فاتجه صوب الملتان عن طريق المنصورة وساحل بحر السند، وأخذ معه دليلاً يرشده لهذا الطريق، الذي لحقت بالجيوش الغزنوية فيه كثير من المتاعب؛ سواء من ناحية جفاف الصحراء وخشونتها أو من ناحية قبائل الجات السندية، ففي وسط الصحراء أمر السلطان أن يستريح الجيش، فطلبوا الماء ولم يجدوا شيئاً، فامر السلطان بإحضار الدليل الهندي ليسأله عن مكان الماء، فقال ذلك الهندي اللعين: ((لقد ضحّيت بنفسي فداء لسومنات، وقد أحضرتك أنت

وجيشك إلى هذه الصحراء التي ليست فيها نقطة ماء واحدة، حتى تهلكوا جميعاً))، فأمر السلطان بقتله، وبعد عناء كبير استطاع الجيش الغزنوي,ان يقطع الصحراء، ويصل إلى الملتان، ومن الجدير بالذكر أن قبائل الجات السندية قد هاجمت طلائع الجيش الغزنوي وكبدته خسائر جسيمة، ومات أكثر الدواب[2]، ومن الملتان اتجه السلطان الى غزنة العاصمة، فوصلها في 10 صفر سنة 417هـ/4 ابريل 1026مو[3].

كتب السلطان محمود – بعد هذا الفتح العظيم – كتاباً إلى الخليفة العباسي القادر بالله، شرح فيه وقائع فتح سومنات، وكيف نشر الإسلام في صفوف الهنود الوثنيين[4]، فأعرب الخليفة العباسي عن سعادته البالغة, وأرسل إلى السلطان محمود في شوال سنة 417هـ/1026م منشوراً يقلده ولاية خراسان والهندوستان وجرجان وخوارزم وكل البلاد الواقعة تحت سيادته، ولقبه في كتابه بـ: " كهف الدولة والاسلام " ولقب ابنه مسعود بـ:" شهاب الدولة وجمال الملة " وابنه الثاني محمد بـ: "جلال الدولة وجمال الملة " واخيه يوسف بـ: " عضد الدولة ومؤيد الملة "، وكتب له رسالة أيضا قال فيها: ((اجعل من تريد ولياً لعهدك، واختيارك سوف يوافقنا)) وافاض القادر بالله في الشكر للسلطان والثناء على جهوده الجبارة في سبل نشر الإسلام والذود عن مكتسبات الخلافة الإسلامية, وقد وصل منشور دار الخلافة إلى السلطان وهو في بلخ[5].

كانت آخر غزوات السلطان محمود في بلاد الهند، حملة نهرية قام بها لتاديب قبائل الجات عند الحاجز الملحي في اقليم البنجاب، وكانت هذه القبائل قد أشتد نشاطها بعد إنفراط عقد إمارة لاهور الهندية، فأخذت تعيث في الأرض فساداً، وبلغت جرءتها أن

---

[1] ميرخواند، روضة الصفا،ص:154،الساداتي،تاريخ المسلمين،ص:77،الفقي،بلاد الهند،ص:26.
[2] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 309، الجوزجاني، طبقات، 229/1 – 230.
[3] ابن الأثير، الكامل، 687/7.
MUNSHI: THE STRUGGLE , P.
[4] ابن الجوزي، المنتظم،29/8 – 30، ابن خلكان، وفيات، 178/5، ابن كثير، البداية، 28/12.
[5] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 309 – 310.

هاجمت أطراف جيوش السلطان محمود مرات عديـدة، أبـان زحفهـا علـى الممالـك الهندية[1]، وكان آخر إعتداء لها على الجيوش الغزنوية أثنـاء مـرور السـلطان مـن المنصورة إلى الملتان، وهو في طريق عودته إلى غزنة عُقيب فتح سومنات كما أشرنا إلى ذلك.

خرجت طلائع الجيش الغزنوي المؤلفة من أثني عشر مرتبة مـن الجـيش، مـن العاصمة سنة 418هـ/1027م، تحت قيادة السلطان محمود، واتجهت صوب الملتـان، فلما وصلوها أمر السلطان أن بصنع ألف وأربعمائة سفينة قوية الصنع، كل واحدة منها مزودة بثلاثة أعمدة حديدية قوية، أحدهما في مقدمة السفينة وأثنان على جانبيها، فكان كل عمود في غاية المتانة إلى حد أنه لو ضربت بهذا العمود على أي مكان فانه يكسره، ثم أمر بإنزال السفن إلى نهر السند، وكان في كـل سـفينة عشـرون رجـلاً بالقسـي والسهام، وقوارير النفط والدروع[2].

لم تقف قبائل الجات مكتوفة الايدي تجاه هذه الحملة الغزنويـة،بل عزمـوا علـى مواجهة الخطر الغزنوي الداهم، فعمدوا أولا إلى نقل خزائنهم الدفينة إلى بعض الجـزر البعيدة، ثم استعدوا للمعركة الحربية المرتقبة، والقوا بأربعة آلاف سـفينة، وفـي كـل سفينة كثير من الرجال مع كامل أسلحتهم، ودارت رحى الحرب بين الفريقين؛ ولما كانت سفن السلطان محمود مزودة بالأعمدة الحديدية الصلبة، فإنها كانت تضرب سفن الجات حتى تحطم معظمها، وفر البعض الآخر من أمام الجيش الغزنوي، الذي أخذ يتتبع فلولهم وقتل منهم العديد، واستولى على خزائنهم وغنم أسلحتهم وذخائرهم ثم عاد السلطان إلى غزنة ظافراً[3].

ومن خلال عرضنا لجهود السلطان محمود الغزنوي الحربية وجهاده في سبيل نشر الإسلام يمكننا أن نعّده سلطاناً هندياً، فتح اقليم البنجاب، ونشر الإسلام في ربـوع الهند، وفتح طريقاً سلكه بعده كثيرون واقتنع خلفاؤه – بعدما فقدوا أملاكهم في فـارس وافغانستان – بالإستقرار في اقليم البنجاب، ولم تكن غاية محمود من فتوحاته في بـلاد الهند جمع الأموال – كما أدعى بعض المؤرخين – وعلى الرغم من أن السلطان محمود غنم الكثير من الأموال والكنوز التي كانت تزخر بها معابد الهنود، لكن هدفه كـان أولاً وقبل كل شيء نشر الإسلام، وتحطيم الأصنام؛ بدليل أنه رفض الأموال الطائلـة التـي عُرضت عليه من قبل الهنادكة الذين حاولوا افتداء صنمهم الأعظم سـومنات، مخاطبـاً أيّاهم أنه يحب ويفضل أن يصفه من ياتي بعده بانه محطم الأصنام، على أن يقولوا عنه بأنه بائع الأصنام.

وبناءً على ذلك يمكن القول – بكل ثقة – إن محمود الغزنوي كان سلطاناً غازيـاً مجاهداً، أخذ على عاتقه نشر الإسلام في شمال شبه القارة الهنديـة، والقضـاء علـى معاقل الوثنية فيها، والحق أن السلطان محمود كان من أعظم سلاطين المسلمين، وسّع رقعة دولته لتصبح أمبراطورية مترامية الأطراف امتدت من (بهار) في شرق الهند إلى

---

[1] المصدر نفسه، ص: 310، الهروي، طبقات، 33/1.

[2] الكرديزي, زين الأخبار، ص: 310، الهروي، طبقات، 34/1.

3 الكرديزي، نفسه، ص: 310 – 311، الهروي، نفسه، 34/1.

بلاد فارس غرباً، وبلغ في فتوحاته مبلغاً بعيداً كما أشار إلى ذلك ابن خلكان[1] بقوله:((... إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية، وتتل به قط سورة ولا آية، فرحض عنها أدناس الشرك وبناء بها مساجد وجوامع)).

ومن العوامل التي ساعدت السلطان محمود الغزنوي على إنطلاق عبقريته الحربية، إطمئنانه إلى تأمين مؤخرته حين أقبل على اقتحام شمال شبه القارة الهندية، غازياً مجاهداً، فضلاً عن شيوع الخلاف السياسي والمذهبي بين أمراء وملوك الممالك الهندية انفسهم، وقد تيسّر للسلطان محمود الى جانب ذلك كله، عون رجال أكفاء تمكنت عقيدة الجهاد من نفوسهم، فتفانوا في خدمة الإسلام، وأن خلوا – مع الأسف في بعض الأحيان – من الخبرة الكافية في الإدارة والحكومة.

وأخيراً يرجع الفضل إلى السلطان محمود الغزنوي بإنه وضع – بجهوده النادرة، وجهاده المخلص – أساس دولة اسلامية عظيمة في الهند، استمرت أكثر من مائتي سنة تقوى وتزدهر. أخذت على عاتقها نشر الإسلام في بلاد الهند حتى استطاع الغوريون القضاء عليها سنة 582هـ/1186م[2].

---

1 وفيات، 5 / 178.

2 هذا الموضوع لا يدخل ضمن اطار دراستنا هذه، ويمكن الرجوع للاطلاع والمزيد الى: الهروي، طبقات/ 52/1،51،47.

5- الاثار الحضارية لفتوح السلطان محمود على بلاد الهند:

لعل ما يمّيز دولة عن دولة وحضارة عن أخرى، تلك المؤثرات الحضارية التي تركتها، ومدى استمرار هذه الآثار وفعاليتها وقوتها، وتحديها للعوامل السياسية والإجتماعية والبيئية، والتي دائماً ما تحول بين مظاهر الحضارة وبين بقائها قوية وحية وتتمتع بعناصر التجديد والحيوية، وإذا كان ذلك كذلك، فان دراسة الآثار الحضارية لأي فتح عسكري والوسائل المتبعة للوصول إلى هذه الأهداف المنشودة تتميز بالقلة والندرة في ميدان الدراسات العربية والإسلامية، فقد كان تركيز الدراسات وما زال معظمها منصباً ومركزاً على الأهتمام بمنجزات الفتوح الاسلامية من النواحي: السياسية والاقتصادية والعسكرية، وربما يعود السبب الى عدم إحتواء – معظم – المصادر التاريخية على معلومات كافية تتعلق بالجوانب الحضارية لاي فتح، بل ركّزت جُلّ إهتمامها على سرد الأحداث السياسية والعسكرية الصرفة، دون الاشارة – في أغلب الأحيان – الى ما تركته هذه الأحداث من آثار حضارية على الشعوب المفتوحة.

وبناء على ذلك فان فتوح السلطان محمود الغزنوي في شمال القارة الهندية، لابد وأن تركت بعض الآثار الحضارية على المجتمع الهندي، سواءً في الجانبين الديني والإجتماعي أو الثقافي والعلمي، وهذا ما نبغي ايضاحه في الصفحات التالية:

أ- الاثار الدينية والإجتماعية.

لم تقف جهود السلطان محمود عند حدود الانتصارات العسكرية وجني ثمار النصر من غنائم ومكاسب مادية، بل سخّر كل ذلك في اتجاه نشر الدعوة والعمل على إقرار الإسلام كدين وعقيدة جديدة لشعوب شمال شبه القارة الهندية، فعمل على تثبيت المفاهيم الدينية من خلال توفير المراكز التي تقوم بدورها في نشر الوعي الديني، وحرص على بناء المساجد ودور العبادة في معظم الأقاليم التي فتحها أوضمها لسيادته، ثم رفد هذه المساجد بمجموعات من الفقهاء والدعاة والمحدثين؛ بهدف تفقيه الناس ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام، ويلاحظ بناء المساجد والمدارس الدينية وانتشارها انتشاراً واسعاً في كافة أرجاء بلاد الهند التي خضعت للدولة الغزنوية[1].

كان للتسامح الديني الذي جعله السلطان محمود احد شعاراته – في معظم الفتوحات – اثره العميق على شعوب الهند، ولم يكن يتخذ من انتصاراته المتلاحقة وسيلة للقمع والإبادة والتسلط، ولا غرضاً دعوياً لإظهار معتقداته، ونشرها بطرق تعسفية، بل على العكس من ذلك، أبدى تقديراً وإحتراماً متناهيين إزاء المعتقدات الدينية الهندية، وأبقى كثيراً من ملوك الهند على حكمهم بعد توقيعه معاهدات صلح معهم[2]، ولم يكرههم على التخلي عن دياناتهم بالقوة وحد السيف، وقد أشار إلى هذه الحقيقة توماس

---

[1] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 292، 299، الجوارنة، جهود السلطان، ص: 144.

[2] الكرديزي، زين الأخبار، ص: 295، البيهقي، تاريخ، ص: 84، 283، 294. الجوارنة، جهود السلطان، ص: 143.

أرنولد[1] بقوله: ((... وفي الحق أن الإسلام قد عُرض – في الغالب – على الكفار مـــن الهندوس قبل أن يفاجئهم المسلمون بالقتال ...))، كما سُـــمح لأكثـــر الهنادكـــة الـــذي حافظوا على عقائدهم بممارسة الطقوس والشعائر الدينية الخاصة بهم، على الرغم من وجود العديد من هؤلاء في صفوف القوات المسلحة الغزنوية يشاركون الجيش الغزنوي في العديد من المعارك الحربية[2]، وبناءً على ذلك، فمن الخطأ الجسيم أن يقال أن الإسلام انتشر في الهند عن طريق القوة أو بضغط من الفاتحين المسلمين[3].

ما لبثت عقيدة الإسلام وشرائعه السمحة – بمبادئها الإنسانية الرفيعـــة ونظمهـــا الإجتماعية القائمة على المساواة بين معتنقيها – أن أجتذبت إلـــى صـــفوفها عشـــرات الآلاف من الهنود في إزدياد متدرج[4]، ولما كان السلطان محمود سُـــنّي المـــذهب فقـــد اعتنقوا الإسلام على المذهب السُني وحذو حذوه[5]، واقبلوا علـــى تعلـــم اصـــول الـــدين ومبادئه السامية في حماس منقطع النظير؛ مما أدى إلى رسوخ الإسلام منذ ذلك الوقـــت في بلاد الهند المفتوحة، وأصبح ديانة قوية ثابتة الدعائم قوية الأساس[6].

أضحت مدينة لاهور مركزاً ثقافياً ودينياً مهماً بعد أن خضـــعت لســـيادة الســـلطان محمود، فتدفق عليها العلماء والمشايخ من مختلف اقاليم الدولة الغزنوية[7]، وكان الشيخ إسماعيل اللاهوري أحد أشهر العلماء والفقهاء المسلمين، المعـــروف بثقافتـــه الدينيـــة والدنيوية الواسعة في بخارى، ويُعد أول داعي مسلم دعا إلى عقيدة الإسلام في مدينـــة لاهور التي هاجر إليها سنة 396هـ/1005م وقد رحلت إليه جموع زاخـــرة للاســـتماع إلى مواعظه وسرعان ما تزايد عدد الداخلين في الإسلام على يديه يوماً بعد يوم وقيـــل إنه ما من كافر وفد عليه واتصل بشخصه إلاّ تحول إلى الإسلام وترك عبادة الأصـــنام[8]، ومن الجدير بالذكر أن هذا الداعية الإسلامي قد حضي بأهتمام السلطان محمود وعطفـــه إلى درجة أنه منحه صلاحيات واسعة وجعله حاكماً ادارياً على مدينة لاهـــور[9]، كـــذلك

---

[1] الدعوة إلى الإسلام، ص: 288.

[2] البيهقي، تاريخ، ص: 628 – 629. الجوارنة، جهود السلطان، ص: 144.

[3] السيد مقبول أحمد، العلاقات الثقافية بين الهند والعالم العربي، مجلة ثقافة الهند، ع 2، مـــج21، تصدر عن مجلس الهند للروابط الثقافية، دلهي الجديدة، 1391هـ/1971م، ص: 57.

[4] الساداتي، تاريخ المسلمين، ص: 6، وذكر أن عددهم اليوم في شبه القارة الهندية يزيـــد (120) مليون مسلم.

[5] القرشي، الجواهر المضيئة، 438/3، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 275/4. الفقي، عصام الدين الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغـــزو المغـــولي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1420هـ/1999م، ص: 134.

[6] العبادي، عبد الحميد، صور وبحوث من التاريخ الإسلامي، ط2، مكتبـــة الأنجلـــو المصـــرية، القاهرة، 1993م، ص: 296.

[7] الجوارنة، جهود السلطان، ص: 140.

[8] ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص: 135.

[9] الجوارنة، جهود السلطان، ص: 140.

انتشر الإسلام بين الهنود عن طريق الفقهاء والوعاظ ودروسهم، والعلماء والمتصوفة ورحلاتهم، فقد وجد المتصوفون من الفرس والترك في بلاد الهند موئلاً يلجأون إليه من بلادهم المضطربة ولقيت الصوفية ترحيباً ورواجاً من أهل الهند الذين كانوا يميلون إليها بطبيعتهم[1].

أثبتت فتوحات السلطان محمود في شبه القارة الهندية – بما لا يدع مجالاً للشك – بطلان المعتقدات الهندية في الأصنام، وأنها لا يمكن أن تحول بين الإسلام وانتشاره في أرض الهند الوثنية؛ الأمر الذي دفع بالكثير من الهنود إلى الشك في معتقداتهم، فتحولوا إلى الدين الإسلامي الذي حمله إليهم السلطان محمود وجنوده المخلصين المسلمين[2]، وما حدث أثناء وبعد فتح سومنات الشهير خير دليل على ذلك.

امتد تأثير عقيدة التوحيد إلى الذين لم يؤمنوا بالإسلام أيضاً، وأثّرت عقيدة الإسلام في الديانة الهندية ذاتها، وظهر من أثر ذلك ديانات جديدة مثل: (بهاجتي) ودعوة (كبيرداس)[3]، وبرز كثير من المصلحين الذين دعوا إلى المساواة بين الأديان ووحدة العقيدة، وأن قدرة المرء ليست بنسبه بل بعمله، وهاجموا الطقوس البرهمية الجافة، ومن أمثال هؤلاء: نامديو كبير ونانك اللذان أنكرا عبادة الأصنام والقول بتعدد الآلهة وتحريم زواج الأيامى وممارسة عادة الساتي والطبقية الجامدة وقالا بأن الله هو رب الناس جميعهم[4].

ومن جانب آخر تمخضت فتوح السلطان محمود عن حركة هجرة واسعة النطاق، هاجر فيها المسلمون على إختلاف قوميّاتهم من عرب وفرس وأتراك إلى بلاد الهند الواسعة الأرجاء، أقاموا في أغلب المدن واحتلوا أمنع الحصون، فكأنهم هذه المرة اقتحموا صميم الحياة الهندية، وعلى العكس لم يترك هذا النفوذ الإسلامي الواسع في الهند، نهباً للعزلة والضياع كما كان شان السند، وأصبح الإمتزاج الحضاري واضحاً بين المقومات الوافدة والمقومات القديمة في أرض الهند ذاتها، ولم يعد ثمّة دور للهند الإسلامية تؤديه خارج حدودها[5]، فبدأ هؤلاء المهاجرون بمختلف تخصصاتهم يباشرون أعمالهم؛ التاجر في تجارته، والداعي إلى الإسلام في دعوته، والعالم والمفكر في علمه وفكره، وكان من الطبيعي أن يصحب هذه الهجرة استقرار إجتماعي وبناء أسر وحدوث تزاوج وتوالد مع أهل البلاد المفتوحة[6] ونتج عن ذلك ظهور طبقة كبيرة في المجتمع الهندي تعرف بـ: (المولدين) تمثل حضارة إسلامية، مزيجة من الحضارات التركية

---

[1] الفقي، الدول المستقلة، ص: 134.

[2] ابن الأثير، الكامل، 685/4. الجوارنة، جهود السلطان، ص: 139.

[3] النحوي، ملحمة الإسلام، ص: 106.

[4] حسن محمود، الإسلام والحضارة، ص: 213.

[5] حسن محمود، الإسلام والحضارة، ص: 212.

[6] ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص: 296.

والفارسية والهندية، تنعم بالتسامح الديني وتنبذ التفرقة التي كانت من أبرز خصـــائص المجتمع الهندي قبل الفتح الإسلامي[1].

تأثر المجتمع الهندي بعمق بعادات الاتراك القادمين وتقاليـدهم فشـاعت الأزيـاء الإسلامية واحتفل الناس بأعياد المسلمين ومواسمهم، وانتشر الحجـاب بـين الطبقـات العليا من الهنود الذين بقوا على دينهم، وتخلص المنبوذون من نظام الطبقـات الجـائر وأصبح الناس سواسية كاسنان المشط، لذلك لاقى الدعاة المسلمين في البنغال ترحيبـاً عظيماً من السكان الأصليين والطوائف المنحطة من أهالي البنغال الـذين لـم تتغلغـل العقائد الهندوكية في نفوسهم، لما حمله هؤلاء الدعاة من مبادئ الحريـة والمسـاواة وتكريم الإنسان، وبفضل ذلك دخل افواج كثيرة من أهل الهند في الإسلام، مستفيدة مـن مبادئه السمحة وأعلنوا وحدانيتهم وتخليهم عن دياناتهم الوثنية البالية[2].

ومن آثار الفتح الإسلامي الغزنوي – أيضاً – أنه رفع من شأن المـرأة الهنديـة وأعلى قدرها، وأنزلها منزلتها الإيمانية، وأبان لها دورها في واقع حياة الإنسان، فـي الوقت الذي كانت فيه المراة الهندية تحرق نفسها بالنار عند وفاة زوجها، فهي لم تكـن ترى ولا المجتمع الهندي الوثني يرى أن لها حقاً في الحياة بعد زوجها[3]، فمنزلة المرأة في المجتمع الهندي كانت بمنزلة الأمَة (العبدة)، وكان الرجل الهندي قد يخسر زوجتـه في القمار، وربما يكون للمراة الهندية – في بعض الأحيان – عدة أزواج، فـإذا مـات زوجها تكون عرضة للإهانات والتجريح، هكذا كانت بلاد الهند مسرحاً للجهل الفاضـح والوثنية الوضيعة والقسوة والهمجية والجور الإجتماعي الذي لا مثيل له، فجاء الإسلام الذي حمله السلطان محمود وجنوده وعلماؤه وفقهاؤه وأبطل ذلك النظـام الإجتمـاعي الفاسد، وأرسى دعائم التوحيد ودعا الناس إليها، وكرم الإنسان ورفع منزلتـه[4]، وكـان لهذا أبعد الأثر في إزدياد إقبال الهنود على الدخول في هذا الدين الجديد بعد ما عرفـوا الفرق العظيم بين الحق والباطل والإصلاح والفساد[5].

تجلّت آثار الفتح الإسلامي لبلاد الهند، عندما الغى العديد من العـادات والتقاليـد الإجتماعية الباطلة، التي سادت المجتمع الهندي قبيل الفتح الاسلامي، منها على سـبيل المثال: أنهم كانوا لا يحلقون شيئاً من شعرهم، ويظفرون اللحى ظفـائر صـيانة لهـا، ويطيلون أظافرهم فخراً بالتعطل، ويشربون الخمر على الريق، ثم يطعمون، ويحتسـون بول البقر ولا يأكلون لحمها، ويبدأون بغسل الرجل قبل الوجه ويغتسلون ثم يجـامعون النساء، ويأخذون اليد في المصافحة من وجهة ظهر الكف، ولا يستأذنون للدخول إلـى البيوت، ثم لا يخرجون من غير استئذان، ويتيمنون بالظرطـة ويتشـاءمون بالعطـاس ويستقذرون الحائك ويستنظفون الحجّام، كل هذه العـادات والتقاليـد وغيرهـا أبطلهـا

---

[1] الفقي، الدول المستقلة، ص: 135.

[2] أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص: 314.

[3] البيروني، تحقيق، ص: 428 – 429. النحوي، ملحمة الإسلام، ص: 107.

[4] الندوي، ماذا خسر العالم، ص: 46.

[5] النحوي، ملحمة الإسلام، ص: 106.

الإسلام وفسخها واستبدلها المسلمون الهنود بعادات وتقاليد اسلامية رفيعة واخلاقية نابعة من روح الاسلام الحنيف[1].

والحقيقة أن الآثار الدينية والإجتماعية لفتوح السلطان محمود في شبه القارة الهندية أكبر من أن يُحاط بها، وبناءً على ذلك يمكن القول – بكل ثقة – إن آثار ذلك الفتح الدينية والإجتماعية مستمرة إلى يومنا هذا.

ب- الآثار الثقافية والعلمية:

لم يكن السلطان محمود الغزنوي فاتحاً غازياً عالي المكانة من الناحية العسكرية فقط، بل كان سلطاناً عاقلاً وأديباً كيّساً ناظماً بين حاشيتي المادة والمعنى، جامعاً بين دولة السيف والقلم[2]؛ وعُرف السلطان محمود إلى جانب شهرته الحربية؛ برعايته للعلوم والآداب، وعظيم بذله لأربابها والمشتغلين بها، حتى قصدوا بلاطه من مختلف الأقاليم الأسلامية، وكان من بين العلماء والمفكرين الذين إزدان بهم بلاطه، العلامة ابو الريحان البيروني الرياضي والفيلسوف والفلكي، العالم بلغات الهند وثقافتها وحضارتها، والذي تعد مؤلفاته أعظم ما عرف المسلمون عن حياة الهنادكة، الإجتماعية والسياسة والعقلية على السواء[3].

ونظرا لاهمية شخصية البيروني يجدر بنا التعريف بها، وبيان دورها العلمي، فهو: أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، أحد كبار العلماء المحققين المسلمين، ولد في ضواحي مدينة (كات) التابعة لمنطقة خوارزم، سنة 362هـ/973م، كان منذ مطلع حياته مولعاً بدراسة العلوم الطبيعية والرياضيات، الذي تتلمذ فيها على يد أبو نصر منصور بن عراق، وبرع في هذا العلم حتى صار معدوداً من أكابر علمائه.

تنقل البيروني بين أكثر من بلاط من بلاطات ملوك وأمراء اقليم المشرق الإسلامي قبل استقراره في البلاط الغزنوي، لعل أهمها بلاط الأمير الزياري شمس المعالي قابوس بن وشمكير في جرجان، واستطاع خلال هذه الفترة تأليف عدد من المصنفات أشهرها: كتاب (الآثار الباقية عن القرون الخالية) الذي أهداه إلى الأمير شمس المعالي قابوس[4].

أما عن إنتقاله إلى البلاط الغزنوي، فان السلطان محمود لمّا هاجم خوارزم سنة 407هـ/1016م، قبض عليه ضمن مجموعة من الأسرى الذين حملوا إلى غزنة، ونتيجة لمكانه البيروني الثقافية والعلمية، عينه السلطان المنجم الرسمي للبلاط

---

[1] للمزيد من التفاصيل، انظر: البيروني، تحقيق ما للهند، ص: 129 – 132.

[2] لوثروب، حاضر العالم الإسلامي، 289/3.

[3] الساداتي، تاريخ المسلمين، ص: 76.

[4] الحموي معجم الأدباء، 122/5 – 124، الدقاع، علي بن عبدالله، إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407هـ/1986م، ص: 325 وما بعدها، فرّوخ، عمر، وماهر عبد القادر، وحسان حلاق، تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، 1410هـ/1990م، ص: 491 – 497.

الغزنوي، وجعله مستشاراً له في أسفاره ومغازية في بلاد الهند، التي أقام فيها، وتعلم لغة أهلها واقتبس علومهم[1].

استمر البيروني في خدمة البلاط الغزنوي حتى بعد وفاة السلطان محمود، وحضي عند السلطان مسعود بن محمود بمكانة عالية، وأرتبطا بعلاقة صداقة حميمية، وقضى البيروني بقية حياته متنقلا في البلاد الغزنوية إلى أن توفي سنة 442هـ/1050م[2].

أما مصنفاته فهي أكثر من ان يحاط بها، ولعل أبرزها، كتاب سماه: (القانون المسعودي) نسبة الى السلطان مسعود الغزنوي، وهو كتاب في علم الفلك، وصفه الحموي[3] بقوله: ((وكتابه المترجم بالقانون المسعودي يَعفى [يغطي] على أثر كل كتاب صنف في تنجيم أو حساب..))، وكتاب (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مزدولة)، المشهور بـ:(تاريخ الهند) وسيأتي الحديث عنه في سياق هذا المبحث، وكتاب المسامرة في أخبار خوارزم، وهو كتاب مفقود، وأما سائر كتبه في علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فإنها تفوق الحصر، قال عنها الحموي[4]:((رأيت فهرستها في وقف الجامع بمرو في نحو الستين ورقة بخط مكتنز[أي مجتمع])).

حرص السلطان محمود أثناء قيامه بحملاته العسكرية المظفرة في شمال شبه القارة الهندية على اصطحاب بعض العلماءوالمفكرين المسلمين، فكان لذلك الفعل أبلغ الأثر في نقل التراث الإسلامي إلى الهند، والإفادة من علوم الهند وفلسفتها وثقافتها، وكان البيروني أحد أبرز العلماء المسلمين ومفكريهم الذين رافقوا السلطان محمود في حملاته العسكرية[5]، مستغلا تلك الفتوحات العسكرية أحسن استغلال علمي، وجعل ثروة الهند في الرياضيات والفلسفة والالهيات في يد المسلمين والفرنجة، وما تزال مؤلفاته التي صنفها العمدة الصادقة لكل من كتب عن الهند من شرقيين أو غربيين، إذ كان البيروني درة في تاج الدولة الغزنوية، كما كان ابن سيناء في الدولة السامانية[6].

لقد وقف البيروني موقفا عجيبا من الفتوح، فعكف على الهند يدرسها من جميع نواحيها، جغرافيتها وعلومها، ودينها، وحتى جواهرها، ولغاتها[7]، إذ كان لمعرفته للغة السنسكريتية أبعد الأثر في فتح مغاليق الثقافة الهندية الغنية من الوجهتين العلمية والدينية، فشرع سنة 408هـ/1017م في تأليف مصنفه الشهير الذي وسمه بـ: (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) المعروف بـ:(تاريخ الهند) الذي يعد صورة كاملة عن عالم ثقافي غريب، نسيج وحده في الأدب العربي[8]، فهذا

---

[1] الحموي، معجم الأدباء، 129/5.
[2] المصدر نفسه، 127/5، 129.
[3] المصدر نفسه، 128/5.
[4] المصدر نفسه والصفحة.
[5] المصدر نفسه، 129/5.
[6] أحمد أمين، ظهر، 287/1، سمير رزق، الدولة الغزنوية، ص: 76.
[7] أحمد أمين، نفسه، 287/1.
[8] بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص: 269.

الكتاب يعد مرجعا اساسيا كاملا للحضارة الهندية، قال عنه المستشرق بلير:((كتبه ... وهو ينظر بعقل الفيلسوف والرياضي والعارف بمناهج البحث عند أرسطو وأفلاطون وبطليموس وجالينوس..)) وقد أراد من سفره هذا أن يكون لكل مسلم راغب في مناقشة الهنود أو محاورتهم فيكون حوار الند للند[1].

كان البيروني أكثر علماء المسلمين عناية في الإطلاع على علوم الهنود وادابهم والاستفادة منها، فقد طاف الهند واطلع على الكثير من كتبهم ونقدها بقوله:((... فلا تكاد تجد لذلك لهم خاص كلام إلاّ في غاية الإضطراب وسوء النظام ومشوباً في آخره خرافات العوام من تكثير العدد وتمديد المدد، ومن موضوعات النحلة التي يستفظع أهلها فيها المخالفة، ولاجله يستولي التقليد عليهم وبسببه أقول ... أني لا أشبّه ما في كتبهم من الحساب ونوع التعاليم إلاّ بصدف مخلوط بخَزَف وبُدرّ ممزوج ببعْر أو بمهى مقطوب بحصى، والجنسان عندهم سيان اذ لا مثال لمعارج البرهان))[2].

أطال البيروني في وصف الفلسفة الدينية للهند، من الإعتقاد بالله والموجودات العقلية والحسية، وتعلق النفس بالمادة والأروح وتناسخها، وموضع الجزاء من الجنة والنار وكيفية الخلاص من الدنيا وقارن بين عقائد الهند والإسلام والصوفية والنصرانية وذكر أن التناسخ من أهم معتقدات الهنود وأن الروح تنتقل من بدن إلى بدن، وفي كل بدن تستفيد معلومات وخبرات وتنتقل من الأرذل إلى الأفضل، وقد ربطوا الثواب والعقاب والجنة والنار بنظرية التناسخ فقالوا أن الأرواح الشريرة تتردد في النبات ومرذول الطير والهوام إلى أن تستحق الثواب فتنجو من الشدة وتنتقل الى ما هو ارقى[3].

وجه البيروني نقداً لعلماء الهنود في الفلك، وذكر أنهم لا يبحثون في العلل، فقد كان على علم تام بعلم الفلك عند اليونان قبل أن يقتبس هذا العلم من الهنود، إذ قال في هذا الصدد: ((... كنت أقف من منجميهم مقام التلميذ من الأستاذ؛ لعجمتي فيما بينهم وقصوري عمّا هم فيه... فلما اهتديت قليلا لها، أخذت أوقفهم على العلل، وأشير إلى شيء من البراهين، والوح لهم بالطرق الحقيقية في الحسابات فانثالوا عليّ متعجبين وعلى الاستفادة متهافتين يسألون: عمّن شاهدته من الهند حتى أخذت عنه ؟ وانا اريهم مقدارهم وأترفع عن جنبتهم مستنكفاً.. ولم يصفوني عند أكابرهم إلاّ بالبحر والماء يحمض حتى يعوزا الخَلَّ، فهذه صورة الحال ولقد اعيتني المداخل فيه، مع حرصي الذي تفردت به في أيامي، وبذلي الممكن غير شحيح عليه في جمع كتبهم من المظانّ، واستحضار من يهتدي لها من المكامن ومن لغيري مثل ذلك إلاّ أن يرزق من توفيق الله ما حرمته...))[4].

---

[1] انظر: علي صفا، تمهيد كتاب تحقيق ما للهند للبيروني، ص: 5.

[2] البيروني، تحقيق ما للهند، ص: 21 – 22.

[3] البيروني، تحقيق ما للهند، ص: 24، 32.

[4] المصدر نفسه، ص: 20 – 2.

كان البيروني آخر وأعظم ممثل لعصر الترجمة، فقد تعلم اللغة السنسكريتية وأخذ ينقل منها إلى العربية ومن العربية إليها[1]، وقد أشار البيروني[2] إلى أنه نقل الى العربية كتابين أحدهما في المبادئ وصفة الموجودات واسمه (سانك) والآخر في تخليص النفس من رباط البدن ويعرف بـ: (باتنجل) وفيهما أكثر الأصول التي عليها مدار إعتقادهم دون فروع شرائعهم، ومن جهة أخرى نقل إلى السنسكريتية نظريات أقليدس والمجسطي في الفلك[3].

يعد الادب من العلوم التي تأثرت بالثقافة الهندية، فقد كان عند الهنود، نحو وصرف وشعر، وكان لهم ولع بالشعر والنظم حتى شكا البيروني من نظمهم لقواعد الرياضة والفلك؛ لأن ذلك يخرجهم أحيانا عن ضبط القواعد ووضعوا للشعر بحوراً وأوزاناً، عكف البيروني على دراستها وبيّنها ثم قال: ((ومن الممكن ان يكون الخليل بن أحمد سمع أن للهند موازين في الأشعار كما ظن به بعض الناس))[4].

شهدت الحياة الإسلامية في الهند نشاطا خصباً للغة الفارسية التي تطورت وإزدهرت في بلاط الأمير سبكتكين بغزنة، ثم في بلاط ابنه السلطان محمود، إذ نقل الاتراك إلى الهند الثقافة الفارسية ومظاهر الحياة التركية والفارسية؛ لذلك انتشرت في المجتمع الإسلامي بالهند اللغة الفارسية – لغة الثقافة في ذلك العصر – ولم تنتشر اللغة العربية وبالتالي لم تزدهر الثقافة العربية في الهند ازدهارها في الأقاليم والدول الإسلامية الأخرى ساعد على ذلك شيوخ العلم الذين وفدوا على الهند من علماء ما وراء النهر الشغوفين بعلوم اليونان والثقافة الفارسية، وبهذا اصطبغت الثقافة الإسلامية في الهند بهذه الصفات، كما شهد الأدب الفارسي إزدهاراً كبيراً زاد عندما رحل أدباء فارس إلى بلاد الهند، وأصبحت اللغة الفارسية لغة التأليف والكتابة للمسلمين وغير المسلمين، واستفاد المسلمون من اللغة السنسكريتية، وقاموا بترجمة التراث الهندي السنسكريتي إلى اللغة الفارسية، وبالعكس أيضا ترجموا التراث الإسلامي إلى السنسكريتية[5].

يُعد نشوء اللغة الأوردية من أهم الآثار الثقافية والعلمية لفتوح السلطان محمود في شبه القارة الهندية، فقد اعترف العديد من الأدباء والمؤرخين[6] أن اللغة الأردية بدأت في الظهور بدخول جيوش السلطان محمود مدينة لاهور، ونشأت أثر ذلك الإختلاط بين المؤثرات الفارسية والهندية والتركية والعربية؛ لذلك يمكن القول أن اللغة الأردية خليط

---

[1] السيد مقبول أحمد، العلاقات الثقافية، ص: 57.

[2] تحقيق ما للهند (مقدمة)، ص: 16.

[3] أحمد أمين، 287/1، سمير رزق، الدولة الغزنوية، ص: 76.

[4] البيروني، الآثار الباقية، ص: 18.

[5] الفقي، الدول المستقلة، ص: 135، الصفدي، الغزنويون، ص: 7.

[6] بيلي، جراهام الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية، قدم له وعلق عليه وأضاف إليه ونقله إلى العربية، حسين مجيب المصري، الدار الثقافية، (لا.ت)، ص:31،العبادي،في التاريخ، ص:156-157.

بول, (مادة: أورد)، دائرة المعارف الإسلامية، 594/1.

من اللغات الهندية والفارسية والتركية والعربية، والمهم أن كلاً من الغالــب والمغلــوب تأثر بالآخر، وتم ما يمكن أن نسميه: توطّن الحضارة الإسلامية في الهند، التي اكتسبت طابعا هندياً مع الإحتفاظ بروحها وجوهرها.

وبناءً على ذلك يمكن القول أن العصر الغزنوي ضاعف الإرتباط بين الهنود وبــين المسلمين، وفتح الباب أمام الهنود ليبدعوا في الفكر الاسلامي، وليكتبوا فــي مجالاتــه المتعددة، حتى وجدت منافسة بين مدرسة الهند والمدارس العلمية في القاهرة وبغداد[1].

[1] شلبي، الدول الإسلامية، ص: 278.

الخاتمة

الخاتــمة

نحسب أن هذه الدراسة قدمت صورة واضحة عــن سياســة الســلطان محمــود الغزنوي – الداخلية والخارجية – ودوره في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية، خلال الفترة الممتدة من (388-421هـ/998-1030م)، ذلك انه على الرغم مــن الســنوات القليلة التي عاشتها الدولة الغزنوية تحت حكم السلطان محمود، إلا أن الدراسة أثبتــت أنها فترة متميزة في تاريخ الدولة الغزنوية بشكل خاص، وإقليم المشرق وبــلاد الهنــد بشكل عام، لها سماتها الخاصة التي جعلتها تختلف عن بقية المراحل التي مــرّت بهــا الدولة الغزنوية منذ نشأتها وحتى سقوطها.

أوضحت الدراسة أن المعطيات التاريخية لسياسة السلطان محمود الغزنوي، حفلت بالعديد من المتغيرات والأحداث النشطة داخل مناطق نفوذ الدولة الغزنويــة وخارجهــا، وإذا عددنا نشر الإسلام وثقافته في الهند وأواسط آسيا، مــن جملــة تلــك المتغيــرات السياسية، فان ذلك قد أنجز في ظرف كان العالم الإسلامي عمومــاً والعــالم الإســلامي المشرقي خصوصاً، أحوج ما يكون إليه؛ وذلك بسبب ضعف الوازع الــديني وســيطرة هواجس الأفكار التي انحرفت كثيرا عن نهج الدول الإسلامية الأولى، التي قامت علــى أساس الدين ونصرته، والجهاد في سبيل تمكينه واستمرار مساره في حالته الصحيحة.

وفيما يلي استعراض مُوجز لأهم نتائج هذه الدراسة التاريخية، لفترة تُعد من أهــم واخطر الفترات الغزنوية والإسلامية عموماً في حكم المشرق :

أولا: أثبتت الدراسة أن المملوك البتكين – قائد الجيوش السامانية في خراســان – هو المؤسس الأول للدولة الغزنوية، وان سبكتكين (والد السلطان محمود) هو المؤسس الحقيقي لها، وليس كمــا زعــم بعــض المــؤرخين المحــدثين أن (سبكتكين) هو المؤسس الأول لهذه الدولة.

ثانيا: إن ظهور الدولة الغزنوية، مثّل أول انتصار للعنصر التركي في صراعه الطويل مع العنصر الفارسي (الإيراني)؛ على السيادة النهائية في حكم بلاد المشرق، إذ نجح في إسقاط الدولة السامانية (الســنية) ذات الأصــول الفارســية، وورث ممتلكاتها الواقعة جنوب نهر جيحون، وأزالوا سلطة البويهيين في بلاد فــارس (الري وبلاد الجبل) وهي الدولة الشيعية ذات الأصول الفارسية أيضا.

ثالثا: إن السياسة الداخلية للسلطان محمود الغزنوي – القائمــة علــى اســتراتيجية التوسع وضم المزيد من الأراضي – حققت للدولة الغزنوية مكاســب سياســية وعسكرية كبيرة، وقد تجلّى ذلك عندما اقدم الســلطان محمــود علــى بســط سيطرته على إقليم خراسان الاستراتيجي المهم، معلناً سقوط الدولة الســامانية ودخول ممتلكاتها الواقعة جنوب نهر جيحون تحت سيادة الدولة الغزنوية، وما تبع ذلك من أحداث سياسية لعل ابرز نتائجها : فرض سيطرة الدولة الغزنويــة على إمارات المشرق المحلية المجاورة لحدود دولته، وهي :إمارة غرجستان، وإمارة بلاد الغور، وإمارة خوارزم، وإمــارة جرجــان وطبرســتان، وإمــارة الجوزجان، فضلاً عن ضم ممتلكات الفرع البويهي في إقلــيم فــارس (الــري وهمذان وبلاد الجبل)، وبناءً على ذلك اصبح للدولة الغزنوية السيادة الكاملــة

على معظم إقليم المشرق الإسلامي، وصار سلطانها اكبر زعماء العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.

رابعا: بيّنت الدراسة أهداف السياسة الدينية للسلطان محمود الغزنوي القائمة على نشر المذهب السُنّي في إقليم المشرق الإسلامي، وأثبتت أن السلطان محمود، كان حنفي المذهب، سعى إلى نشره والدفاع عنه في جميع أقاليم ومدن الدولة الغزنوية، من خلال إعلانه الحرب على الطوائف والفرق الدينية المناوئة للمذهب السُنّي، مثل : الكّرامية والمعتزلة والشيعة والباطنية وغيرها، والتنكيل بعناصرها، قتلاً وتشريداً وسجناً، مستخدماً في ذلك كل الوسائل الممكنة.

خامسا: إن سياسة السلطان محمود الخارجية احتوت في ثناياها على كل عوامل القوة وعوامل الضعف للدولة الغزنوية، فقد لمسنا عن قرب مدى النتائج الإيجابية لتحالف السلطان محمود الغزنوي مع الخليفة العباسي القادر بالله، ولعل أهم تلك النتائج الإيجابية (عوامل القوة) اعتراف دار الخلافة بشرعية حكم السلطان محمود واستقلال دولته.

كما مثل ذلك التحالف انتصاراً للسُنّة في العالم الإسلامي، إذ استطاع هذا التحالف إيقاف المد الشيعي الفاطمي نحو المشرق، وأزال الدولة البويهية – الشيعية – من بلاد فارس، وقضى على الدولة الإسماعيلية في بلاد السند والملتان.

وعلى العكس من ذلك لمسنا مدى الآثار السيئة (عوامل ضعف) التي خلفتها الحروب المتتابعة مع الدولة القراخانية في ما وراء النهر، وما ترتب على ذلك من إنهاك لموارد الدولة الغزنوية البشرية والمادية، فضلاً عن عرقلة مسيرة الفتوح الإسلامية في شبه القارة الهندية، وأثبتت الدراسة أن قرار السلطان محمود بالسماح للأتراك السلاجقة بالنزوح من ما وراء النهر والاستقرار في إقليم خراسان، يُعَد من أهم الأخطاء السياسية التي تؤخذ على سياسة السلطان محمود؛ بسبب ما ترتب على ذلك الإجراء من فتن وثورات مستمرة وشديدة؛ أدت إلى ضياع مُلك الغزنويين في خراسان ومدن المشرق الإسلامي في نهاية الأمر.

سادسا: إن فتوح السلطان محمود الغزنوي وحملاته في شبه القارة الهندية، حققت للدولة الغزنوية مكاسب سياسية واقتصادية وعسكرية كبيرة جدا، لعل أبرزها : خضوع أقاليم الهند الشمالية والوسطى للنفوذ الغزنوي، عقب ما لا يقل عن سبعة عشر حملة عسكرية مظفرة، تم فيها اختراق العوائق السياسية التي كانت تحول بين المسلمين والوصول إليها، فضلاً عن المكاسب الدينية المتمثلة في تحويل عقائد الكثير من الهندوس واتجاهاتهم الفكرية لصالحهم ولصالح العقيدة الإسلامية، وبالتالي إدراج تلك المنطقة وشعبها ضمن البلاد والشعوب الإسلامية؛ ليبقى هذا التأثير متأصلا راسخاً – في عقول وأفئدة الشعب الهندي – إلى يومنا الحاضر.

سابعا: كشفت الدراسة الآثار الحضارية – الدينية والاجتماعية والثقافية والعلمية – لفتوح السلطان محمود وحملاته في شبه القارة الهندية، وأوضحت مدى توفيق السلطان محمود بين الفتح العسكري وبين نشر الدعاة؛ لتبليغ رسالة الإسلام إلى الشعوب الجديدة، من خلال إنشاء المراكز العلمية التي أولت اهتماماً

بتحقيق هذه الأغراض، مثل : المساجد، ودور العلم، لتغدو مدن الدولة الغزنوية خلية نشطة في ميدان تخريج الدعاة ونشر الدعوة الإسلامية، كما أن هذه الدراسة بيّنت مدى ما ترتب على الفتح الإسلامي من تلاقح ثقافي وعلمي بين الحضارتين الإسلامية والهندية، ودرجة التأثير والتأثر بينهما في هذه المجالات.

وأخيرا لست ازعم أنني قدمت الصورة الكاملة المتكاملة لسياسة السلطان محمود ودوره في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية، فدون ذلك أبحاث أخرى وأبحاث حتى يتحقق الهدف المنشود.

التوصيات :

بما أن هذه الدراسة تندرج ضمن ما يسمى بـ : حقل الدراسات الشرقية الإسلامية، فإنها توصي الجهات المختصة بما يلي :

1- أن تنشئ جامعة عدن مركزاً متخصصاً، يُعنى بـ : تاريخ المشرق الإسلامي وحضارته، يسمى : ((مركز الدراسات الشرقية الإسلامية))، والعمل على رفده بالكوادر المتخصصة.

2- تخصيص مكتبة تُعنى بـ : التاريخ والتراث الإسلامي والفارسي – كجزء من تاريخ الأمة الإسلامية – تتبع مركز الدراسات الشرقية الإسلامية بالجامعة، والعمل على تزويدها بنوادر المخطوطات والمصادر الفارسية الإسلامية المطبوعة؛ بهدف وضعها في خدمة الباحثين المتخصصين في هذا الحقل.

3- نظراً لأهمية اللغة الفارسية – بالنسبة للمتخصصين في حقل الدراسات الشرقية الإسلامية؛ فان هذه الدراسة توصي بإدراج مادة اللغة الفارسية ضمن متطلبات السنة التمهيدية للماجستير بالنسبة للدارسين المتخصصين في هذا المجال.

الملاحق

1- نمــاذج مــن بعــض مراســلات الســلطان محمود الغزنوي مع دار الخلافة العباسية
2- شجرات النسب
3- قــوائم بأســماء ملــوك وأمــراء دويــلات المشرق الإسلامي
4- نماذج ابعض العملات الذهبية الغزنوية
5- الخرائط

1- نماذج من بعض مراسلات السلطان محمود الغزنوي مع دار الخلافة العباسية

(1)

استولى السلطان محمود الغزنوي على خراسان وأعمالها سنة 389هـ/999م بعد أن واقع عبد الملك بن نوح بن منصور بكتوزون وفائق وابن سيمجور، بظاهر مرو وهزمهم وأقام الدعوة للخليفة العباسي القادر بالله،كتب إلى دار الخلافة كتاباً هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم:

" أما بعد فالحمد لله العلي مكانه الرفيع سلطانه الواحد الأحد الفرد الصمد العزيز القهار القوي الجبار الذي يكفل بإعلاء الحق ورفعه وإخزاء الباطل وقمعه الحائق يشيع البغى والعدوان مكره اللاحق بفرق الطغيان قهره وقسره الحاكم لأوليائه بالعلو والإقتدار الحاتم على أعدائه بالثبور والتبار المتفرد بجلاله أن يمانع المتعالى بكبريائه أن يدافع يمهل المغتر بأناته إستدراجا ولا يمهل ويُملى المخدوع بحمله احتجاجا ولا يغفل بيده الخلق والأمر ومن عنده الفتح والنصر فتبارك الله رب العالمين رب السموات والأرضين. والحمد لله الذي اصطفى محمداً عليه السلام واختيار دين الاسلام، وفضله على من تقدمه من الرسل وأنار به مناهج الآيات والسبل وأرسله إلى الخلق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً فهدى إلى القران والتوحيد ودل على الأمر الرشيد وأهاب بالبرية إلى مستقيم الدين وأناف بهم على العلم اليقين فصلوات الله عليهم أتم صلاة نماء وأكملها بهاء صلاة ترتقي إليه جل جلاله في أعلى الدرجات وتحيى روحه في السموات وعلى آله أجمعين".

" والحمد لله الذي انشأ سيدنا ومولانا أمير المؤمنين الإمام القادر بالله أطال الله بقاءه من ذلك السنخ الزكي والعرق النقي أحسن منشأ وبوّأه من خلافته في أرضه أكرم مبوأ وجعل دولته عاليه والأقدار لإرادته مؤاتية فلا يخالف رايته عدو إلا حان حينه وسخنت عينه ولا يجيب دعوته ولي إلا كان قدحه في القداح فائزاً وسعيه للنجاح حائزاً بذلك جرت عادة الله وسننه ولن تجد لسنة الله تحويلا. وقد علم مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه حال الماضين من السامانية فما كانوا فيه من نفاذ الأمر وجمال الذكر وانتظام الأحوال واتساق الأعمال بما كانوا يظهرونه من طاعة أمير المؤمنين ومبايعتهم وينتحلونه من موالاتهم ومشايعتهم ولما مضى صالح سلفهم وبقي خلف خلفهم خلعوا ربقة الطاعة وشقوا مخالفة لمولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه عصاة الجماعة وأخلوا منابر خراسان عن ذكره واسمه وخالفوا في إفاضة القول وحسم عادية الجور والخبل عالى أمره ورسمه وعم البلاد والعباد فسادهم وبلاؤهم ونهك الرعايا ظلمهم واعتداؤهم. ولم استجز مع ما جمع الله لي في طاعة مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه من عّدة وعُدة وشكّة وشُوكة وقوة أقران وإمكان وكثرة أنصار وأعوان إلا

أدعوهم إلى حسن الطاعة ولا ابذل في إقامة الدعوة لمولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه تمام الوسع والاستطاعة. فدعوت منصور ابن نوح إليها وبعثته بجدى وإجتهادي عليها ولم يصغ إلى أعذار وتذكير ولم يلتفت إلى إنذار وتبصير ونهض من بخارا بخيله ورجله وحشده وحفله يجمع عليَّ أهل الضلالة من أشياعه ويحشر من في البلاد من اتباعه. فكان من شؤم رأيه وسوء أنحائه أن اصطلمه جنده فكحلوه وبايعوا أخاه عبد الملك وملكّوه وجريت على عادتي مع هذا الأخير أوفد إليه مرة بعد أخرى وثانية عقب أولى من يدعوه إلى الرشاد ويبصره من التمسك بطاعة مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه سبل الرشاد فلم يزده ذلك إلا ما زاد أخاه استعصاء واستغوا وتهوراً في الضلال واستشراء فلما ايست من فيئه إلى واضح الجدد ورجوعه إلى الأحسن والأعود ورايته متتابعاً في عمايته ومتكسعاً في مهاوي غوايته نهضت إليه بمن معي من أولياء مولانا أمير المؤمنين أدام الله علّوه وأنصار الدين في جيوش يشرق بها الفضاء ويشفق من واقعها القضاء تزحف في الحديد زحفاً وتخد الأرض جرفاً ونسفاً إلى أن وردت مرو يوم الثلاثاء لثلاث يقين من جمادى الأولى وهو البلد الميمون الذي به ابتدأ إشاعة الدولة العباسية وزالت البدعة الأموية على احسن تعبيه واكمل عتاد واجمل هيئة ووليت أمر الميمنة عبد مولانا أمير المؤمنين أخي نصر بن ناصر الدولة والدين في عشرة آلاف رجل وثلاثين فيلاً وجعلت في الميسرة من الموالي الناصرية أثنى عشر ألف فارس وأربعين فيلاً ووقفت في القلب بقلب لا يتقلب وطاعة مولانا أمير المؤمنين شعاره عن اضداده وعزم لا ينتقض ودعوة أمير المؤمنين عتاده في إصداره وإيراده ومعي عشرون ألف فارس من سائف ورامح ودارع وتارس وسبعون فيلاً وبرز عبد الله بن نوح وعن يمينه ويساره بكتوزون أحد غواته وفائق راس طغاته وعتاته وابن سيمجور وغيرهم من مساعديه على ضلالته مستعدين للكفاح مستلئمين في شكك السلاح وتلاقت الصعوف بالصفوف واصطلت السيوف بالسيوف وتوقدت الحرب واحتدت واضطرمت نيرانها واشتدت واختلط الضرب بالطعن وكبا القرن بالقرن ولم يرى إلاّ تهاوي الصوارم على حجب الجماجم واوداق النبال في احداق الكماة والأبطال. وأهب الله ريح الظفر لأوليائه وكشفوا مقانب الأعداء وحملوا فيهم الحتوف وارووا من دمائهم السيوف وانجلت المعركة عن ألفي قتيل من شجعانهم وأبطالهم وألفي وخمسمائة أسير من مشهوري ذادة رجالهم وصناديدهم واقتفي الأولياء آثار الفل من عباديدهم يقتلون ويأسرون ويسلبون ويغنمون إلى أن ألقت الشمس يمينها وأبرزت ظلمة الليل جنينها وعاد الأولياء إلى معسكرهم في وفور السلامة وتمام من النعمة وقد ملأوا أيديهم من الغنيمة والنفائس الجمة ثم ما نضب منهم أحد ولم ينتقص لهم عدد. وكتابي هذا وقد فتح الله تعالى لمولانا أمير المؤمنين بلاد خراسان قاطبة وجعل منابرها تذكر اسمه متباهية وكلمة الحق به عالية والأهواء في موالاته متهادية. وبعد فلم اجدد رسما في حل وعقد وإبرام ونقض إلى أن يرد من عالى أمره ورسمه ما ابني الأمر بنائه واحتذي إلى حدائه بإرادة الله سبحانه وتعالى فالحمد لله العزيز المنان العظيم السلطان الذي لا يضيع لمحسن عملا ولا يغفل عن مسيء وان أرخي له أجلا ولا يعجزه متغلب بقوته وحوله ولا يمتنع ممتنع عن سطوته وصوله ولا يُرد باسمه عن القوم المجرمين راد ولا يصد نقمته عن الظالمين صاد حمداً يمترى المزيد من إحسانه ويقتضي الصنع الجديد من امتنانه وأياه اسأل أن يهنئ مولانا أمير المؤمنين الإمام القادر بالله خير هذا الفتح

الجليل خطره الواضح على وجه الزمان غرره وان يواصل له الفتوح قرباً وبعداً وغوراً ونجداً وبراً وبحراً وسهلاً ووعراً وأن يوفقني للقيام بشرائط خدمتـــه والمناضـــلة عـــن بيضته أنه على ما يشاء قدير وبه جدير. فإن رأي سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أطـــال الله بقاءه أن ينعم بالوقوف عليه وتصريف عبده بين أمره ونهيه فعل أن شاء الله تعالى" [1].

[1] الصابي، تاريخ، ص : 340 – 345.

(2)

ورد إلى الخليفة القادر بالله كتاب من السلطان محمود الغزنوي، يذكر فيه ما افتتحه من بلاد الهند سنة 410هـ/ 1020م، ووصل إليه من أموالهم وغنائمهم قائلاً فيه : ((أن كتاب العبد صدر مستقره بغزنة للنصف من المحرم سنة عشر [وأربعمائة] والدين في أيام سيدنا ومولانا الأمير القادر بالله أمير المؤمنين مخصوص بمزيد الإظهار والشرك مقهور بجميع الأطراف والأقطار وانتدب العبد لتنفيذ أوامره العالية وتمهيد مراسمه السامية وتابع الوقائع على كفار السند والهند فرتب بنواحي غزنة العبد محمدا مع خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل وانهض العبد مسعودا مع عشرة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل وشحن بلخ وطخرستان بارسلان حاجب [الحاجب] مع اثنتي عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل وضبط ولاية خوارزم بالتونتاش الحاجب مع عشرين ألف فارس وعشرين ألف راجل وانتخب ثلاثين ألف فارس وعشرة آلاف راجل لصحبة راية الإسلام وانضم إليه جماهير المطوعة وخرج العبد من غزنة يوم السبت الثالث عشر من جمادى الأولى سنة تسع [وأربعمائة] بقلب منشرح لطلب الشهادة ونفس مشتاقة إلى درك الشهادة ففتح قلاعا وحصونا واسلم زهاء عشرين ألفا من عُبّاد الوثن وسلّموا قدر ألف ألف درهم من المورق ووقع الاحتواء على ثلاثين فيلة وبلغ عدد الهالكين منهم خمسين ألفا ووافى العبد مدينة لهم عاين فيها زهاء ألف قصر مشيد وألف بيت للأصنام ومبلغ ما في الصنم ثمانية وتسعون ألف مثقال وثلاثمائة مثقال وقلع من الأصنام الفضية زيادة على ألف صنم ولهم صنم معظم يؤرخون مدته لعظم جهالتهم بثلاثمائة ألف عام وقد بنوا حول تلك الأصنام زهاء عشرة آلاف بيت للأصنام المنصوبة واعتنى العبد بتخريب هذه المدينة اعتناء تاما وعمّها المجاهدون بالإحراق فلم يبق منها إلا الرسوم وحين وجد الفراغ لاستيفاء الغنائم حصل منها على عشرون ألف ألف درهم وأفرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثة وخمسين ألفا واستعرض ثلاثمائة وستة وخمسين فيلاً))[1].

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، 292/7 – 293.

(3)

وهناك كتاب آخر أرسله السلطان محمود إلى دار الخلافة العباسية بمناسبة انتصاره في إحدى غزواته المظفرة في شبه القارة الهندية سنة 414هـ/1023م، يذكر بأنه غزا بلاد الهند وأوغل فيها حتى جاء إلى قلعة عد فيها ستمائة صنم : وقال أتيت قلعة ليس لها في الدنيا نظير، وما الظن بقلعة تسع خمسمائة ألف إنسان وخمسمائة فيل وعشرين ألف دابة، ويقدم لهذا العدد بما يكفيه من علوفه وطعام، وأعانني الله حتى طلبوا الأمان، فأمّنت ملكهم وأقررته على ولايته بخراج قُرر عليه، وانفذ هدايا كثيرة وفيلة ومن الطرف الغريبة طائر على هيئة القمري ومن خاصته إنه إذا حضر على الخوان وكان شيء مما قدم سُم دمعت عينه وجرى منها ماء تحجر وحك فطلى بما يُحك منه الجراحات ذوات الأفواه الواسعة فيلحمها فتقبلت هديته وانقلب العبد بنعمة الله وفضله[1].

[1] المنتظم ، 11/8 – 12/11 .

(4)

((وكتب الأمير [السلطان] يمين الدولة محمود إلى الخليفة [القادر بالله] كتابا يذكر فيه ما فتحته من بلاد الهند وكسره الصنم المعروف بسومنات وكان في كتابه أن أصناف الخلق افتتنوا بهذا الصنم وربما اتفق برؤ عليل يقصده وكانوا يأتونه من كل فج عميق ويتقربون إليه بالأموال الكثيرة حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة في تلك البقاع وامتلأت خزانته بالأموال ورتب له ألف رجل للمواظبة على خدمته وثلاثمائة يحلقون حجيجه وثلاثمائة وخمسون يرقصون ويغنون على باب الصنم وقد كان العبد يتمنى قلع هذا الوثن فكان يتعرف الأحوال فتوصف له المفاوز إليه وقلة الماء واستيلاء الرمل على الطرق فاستخار العبد الله تعالى في الانتداب لهذا الواجب ومثل في فهمه أضعاف المسموع من المتاعب طلبا للثواب الجزيل ونهض العبد في شعبان سنة ست عشرة [وأربعمائة] في ثلاثين ألف فارس اختارهم سوى المطوعة ففرق في المطوعة خمسين ألف دينار ليستعينوا على اخذ الآهبة ثم مضى في مفازة اصعب مما وصف وقضى الله الوصول إلى بلد الصنم وأعان حتى ملك البلد وقلع الوثن وأوقدت عليه النار حتى تقطع وقتل خمسون ألف من سكان البلد))[1].

[1] ابن الجوزي، المنتظم، 30/8

(5)

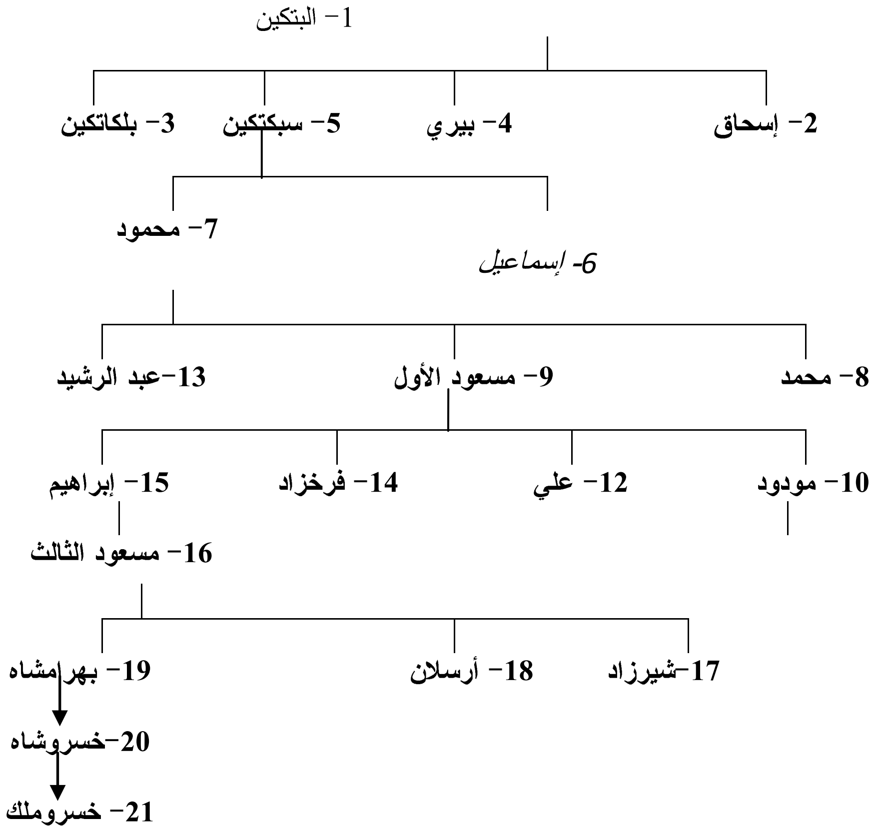
نص كتاب ورد إلى الخليفة العباسي القادر بالله من السلطان محمود الغزنوي سنة 420هـ/1030م يخبره بفتح بلاد الري وهزيمة الفرع البويهي بها وتطهيرها من الفرق والطوائف الدينية المناوءة للمذهب السني جاء فيه : ((سلام على سيدنا ومولانا الإمام القادر بالله أمير المؤمنين فان كتاب العبد صدر من معسكره بظاهر الري غرة جمادى الآخرة سنة عشرين [وأربعمائة] وقد أزال الله عن هذه البقعة أيدي الظلمة وطهرها من دعوة الباطنية الكفرة والمبتدعة الفجرة وقد تناهت إلى الحضرة المقدسة حقيقة الحال في ما قصر العبد عليه سعيه واجتهاده من غزو أهل الكفر والضلال وقمع من نبغ ببلاد خراسان من الفئة الباطنية الفجار وكانت مدينة الري مخصوصة بالتجائهم إليها وإعلانهم بالدعاء إلى كفرهم فيها يختلطون بالمعتزلة المبتدعة والغالية من الروافض المخالفة لكتاب الله والسنة يتجاهرون بشتم الصحابة ويرون اعتقاد الكفر ومذهب الإباحة وكان زعيمهم رستم بن علي الديلمي، فعطف العبد عنانه بالعساكر فطلع بجرجان وتوقف بها إلى انصراف الشتاء ثم دلف منها إلى دامغان ووجه عليا الحاجب في مقدمة العسكر إلى الري فبرز رستم بن علي من وجاره على حكم الاستسلام والاضطرار فقبض عليه وعلى أعيان الباطنية من قواده وطلعت الرايات اثر المقدمة بسواد الري غدوة الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى وخرج الديالمة معترفين بذنوبهم شاهدين بالكفر والرفض على نفوسهم فرجع إلى الفقهاء في تعرف أحوالهم فاتفقوا على انهم خارجون عن الطاعة وداخلون في أهل الفساد مستمرون على العناد فيجب عليهم القتل والقطع والنفي على مراتب جناياتهم وان لم يكونوا من أهل الإلحاد فكيف واعتقادهم في مذاهبهم لا يعدو ثلاثة اوجه تسود بها الوجوه في القيامة التشيع والرفض والباطن وذكر هؤلاء الفقهاء أن أكثر القوم لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يعرفون شرائط الإسلام ولا يميزون بين الحلال والحرام بل يجاهرون بالقذف وشتم الصحابة ويعتقدون ذلك ديانة والأمثل منهم يتقلد مذهب الاعتزال والباطنية منهم لا يؤمنون بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وانهم يعدون جميع الملل مخاريق الحكماء ويعتقدون مذاهب الإباحة في الأموال والفروج والد ماء وحكموا بأن رستم بن علي كان يظهر التستر ويتميز به عن سلفه إلا أن في حبالته زيادة على خمسين امرأة من الحرائر ولدّن ثلاثة وثلاثين نفسا من الذكور والإناث وحين رجع إليه في السؤال عن هذه الحال وعرف أن من يستجيز مثل هذا الصنيع مجاوز كل حد في الاستحلال ذكر أن هذه العدة من النساء أزواجه وان أولادهن أولاده وان الرسم الجاري لسلفه في ارتباط الحرائر كان مستمرا على هذه الجملة وانه لم يخالف عادتهم في ارتكاب هذه الخطة وان ناحية من سواد الري قد خصّت بقوم من المزدكية يدّعون الإسلام بإعلان الشهادة ثم يجاهرون بترك الصلاة والزكاة والصوم والغسل وأكل الميتة فقضى الانتصار لدين الله تعالى بتميز الباطنية عنهم فصلبوا على شارع مدينة طال ما امتلكوها غصباً واقتسموا أموالها نهباً وقد كانوا بذلوا أموالا جمة يفتدون بها نفوسهم فعرفوا أن الغرض نهب نفوسهم دون العرض، وحُوّل رستم ابن علي وابنه وجماعة من الديالمة إلى خراسان وضُم إليهم أعيان المعتزلة والغلاة من الروافض ليتخلص الناس

من فتنتهم ثم نظر فيما اختزنه رستم بن علي فعثر من الجواهر ما يقارب خمسمائة ألف دينار ومن النقد على مائتين وستين ألف دينار ومن الذهبيات والفضيات على مـــا بلـــغ قيمة ثلاثين ألف دينار ومن أصناف الثياب على خمسة آلاف وثلاثمائة ثوب وبلغت قيمة الدسوت من النسيج والخزوانيات عشرين ألف دينار ووقف أعيان على مائتي ألف دينار وحُوّل من الكتب خمسون حملا ماخلا كتب المعتزلة والفلاسفة والروافض فإنها أسرفت تحت جذوع المصلين إذ كانت أصول البدع فخلت هذه البقعة من دعاة الباطنية وأعيـــان المعتزلة والروافض وانتصرت السنة فطالع العبد بحقيقة ما يسره الله تعـــالى لأنصـــار الدولة القاهرة))[1].

[1] ابن الجوزي، المنتظم، 38/8 – 40.

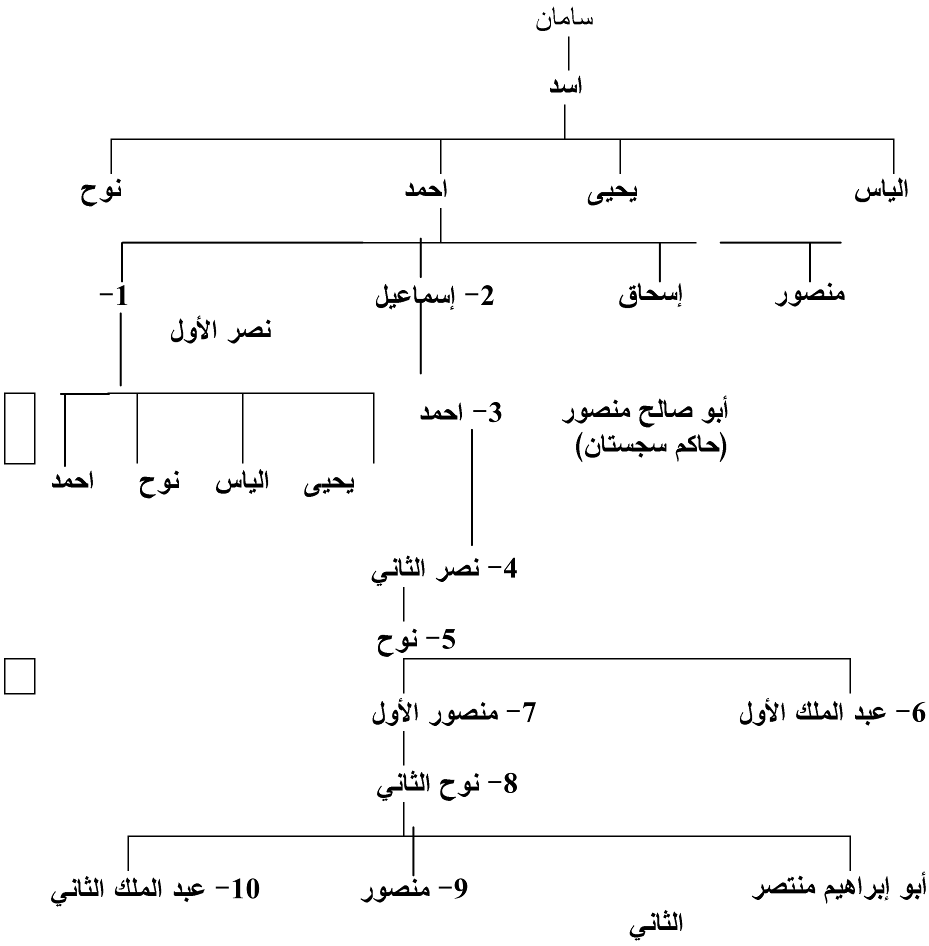
2- شجرات النسب

أ- شجرة نسب الغزنويين* :



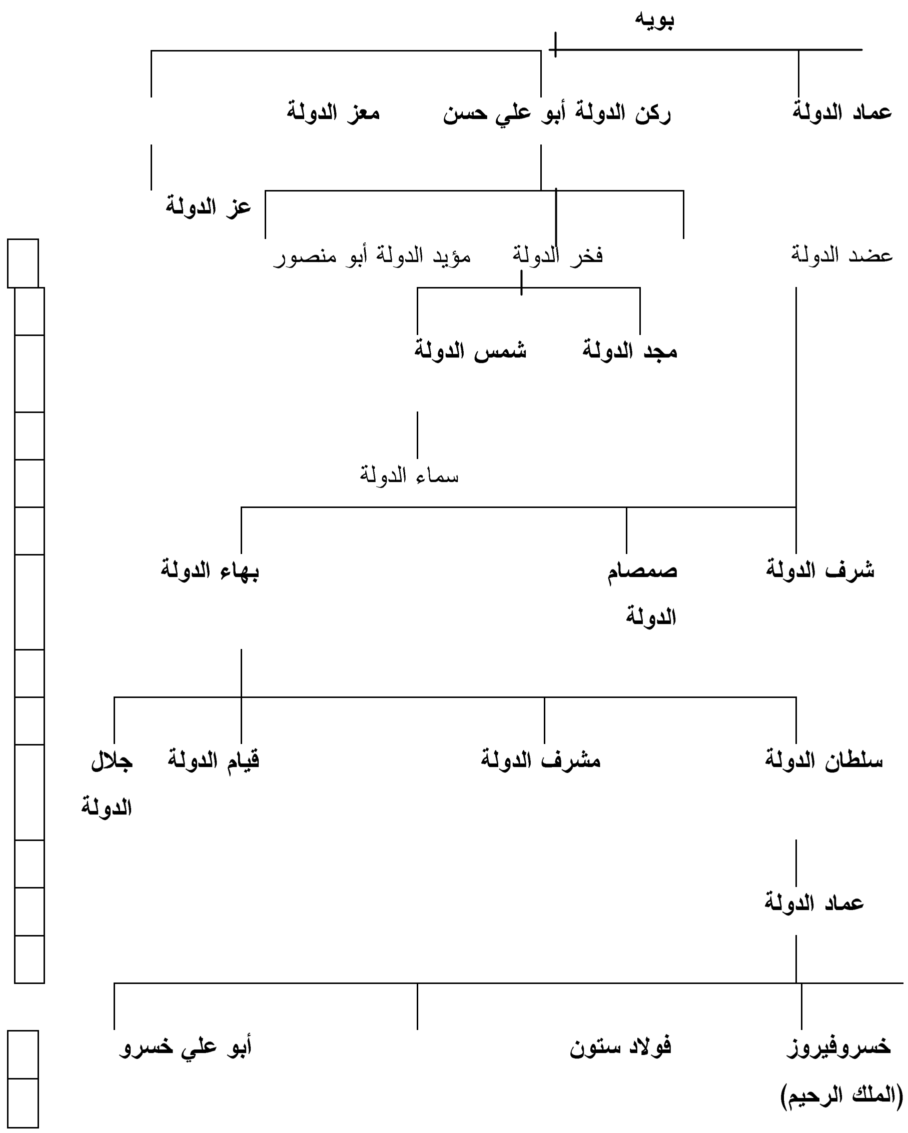
* لين بول، طبقات سلاطين الإسلام، ص : 270

ب- شجرة نسب الأمراء السامانيين* :



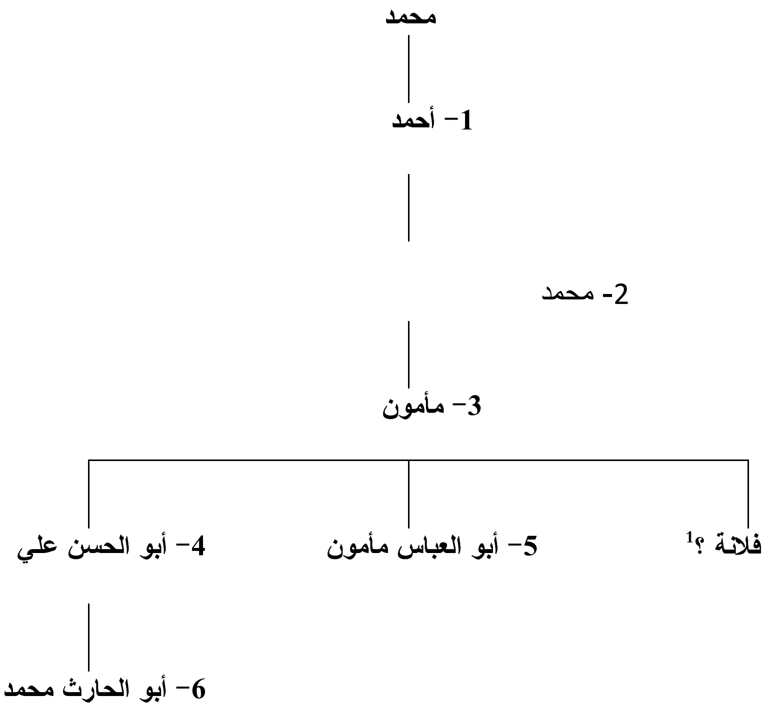
جـ- شجرة نسب بني بويه* :

* لين بول : طبقات سلاطين الإسلام، ص : 128.



* لين بول، الدول الإسلامية، ق1، ص : 289.

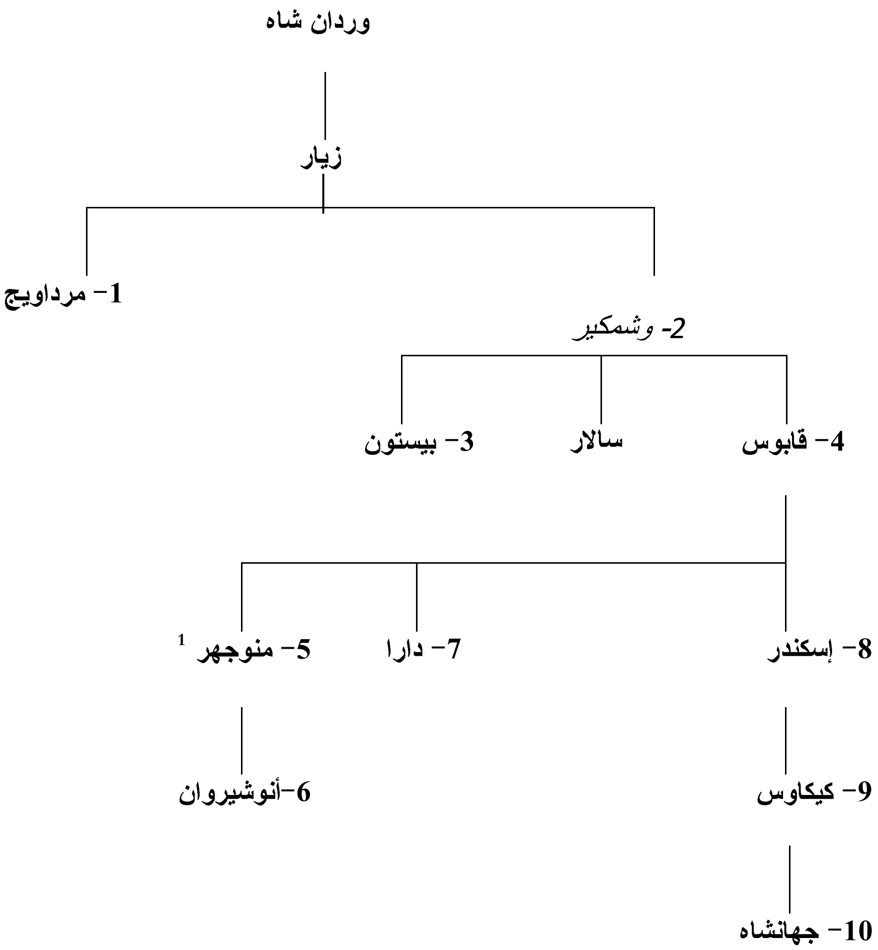
د- شجرة نسب الأسرة المأمونية * :



* زامباور، معجم الأنساب، ص : 316.

[1] تزوجت السلطان محمود الغزنوي.

هـ- شجرة نسب آل زيار [*] :



[*] زامباور، معجم الأنساب، ص : 320.
[1] تزوج ابنة السلطان محمود الغزنوي.

3-قوائم بأسماء ملوك وأمراء وسلاطين

بعض دول المشرق الإسلامي

أ- قائمة بأسماء سلاطين الدولة الغزنوية وأمرائها وسنوات حكمهم*:

أولا : بنو البتكين :

1- البتكين .... (351 – 352هـ/961 – 963م)
2- أبو إسحاق إبراهيم بن البتكين .... (352 – 355هـ/963 – 966م)
3- بلكاتكين .... (355 – 362هـ/966 – 972م)
4- بيري .... (362 – 366هـ/972 – 976م)

ثانيا : بنو سبكتكين :

1- ناصر الدين سبكتكين .... (366 – 387هـ/976 – 977م)
2- إسماعيل بن سبكتكين .... (387 – 388هـ/997 – 998م)
3- يمين الدولة محمود .... (388– 421هـ/998 –1030م)
4- جلال الدولة محمد بن محمود .... (421هـ/ 1030م)
5- مسعود بن محمود .... (421 –432هـ/1030–1041م)
6- مودود بن مسعود .... (432 –440هـ/1041–1049م)
7- مسعود بن مودود .... (440هـ/ 1049م)
8- علي بن مسعود الأول .... (440 –441هـ/1049–1050م)
9- عبد الرشيد بن محمود .... (441 – 444هـ/1050–1053م)
10-طغرل عاصب [مملوك محمود] .... (444هـ/1053م)
11-فرخزاد بن مسعود .... (444 – 451هـ/1053–1060م)
12-إبراهيم بن مسعود .... (451 – 492هـ/1060–1098م)
13-مسعود الثالث بن إبراهيم .... (492 – 508هـ/1098–1115م)
14-شيرزاد بن مسعود .... (508 – 509هـ/1115–1116م)
15-أرسلان شاه بن مسعود .... (509 – 512هـ/1116–1119م)
16-بهرام شاه بن مسعود .... (512 – 547هـ/1119–1153م)
17-خسر وشاه بن بهرام .... (547 – 555هـ/1153–1161م)
18-خسرو ملك بن خسرو شاه .... (555 – 582هـ/1161–1186م)

* لين بول، طبقات سلاطين الإسلام، ص : 268–269،زامباور، معجم الأنساب، ص : 416–417.

ب- قائمة بأسماء الأمراء السامانيين وسنوات حكمهم *(*) :

1- أحمد بن أسد .... (204 – 250هـ/819-864م)

2- نصر [الأول] بن أحمد .... (250 – 279هـ/864-892م)

3- أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد .... (279 – 295هـ/892-907م)

4- أبو نصر أحمد بن إسماعيل .... (295 – 301هـ/907-913م)

5- نصر [الثاني] بن أحمد .... (301 – 331هـ/913-942م)

6- نوح [الأول] بن نصر .... (331 – 343هـ/942-954م)

7- أبو الفوارس عبد الملك [الأول] بن نوح .... (343 – 350هـ/954-961م)

8- أبو صالح منصور [الأول] بن نوح .... (350 – 366هـ/961-976م)

9- نوح [الثاني] بن منصور .... (366 – 387هـ/976-997م)

10- أبو الحارث منصور[الثاني]بن نوح[الثاني] ......(387 – 389هـ/997-999م)

11- أبو الفوارس عبد الملك [الثاني] بن نوح ......(389 – 390هـ/999-1000م)

12- أبو إبراهيم إسماعيل المنتصر بن نوح[1]......(390 – 395هـ/1000-1005م)

---

* زامباور، معجم الأنساب، ص : 306.

[1] حاول إحياء الدولة السامانية واشتبك مع القراخانيين والغزنويين في حروب طويلة انتهت بمقتله سنة 395هـ.

جـ- قائمة بأسماء أمراء الدولة القراخانية* :

1- عبد الكريم ستوف بغراجان [الأول] ....(315 – 344هـ/927-955م)

2- شمس الدولة موسى بن ستوق .... (344 - ؟ هـ/955- ؟ م)

3- شمس الدولة أبو موسى هارون بغراجان بن سليمان (استولى على بخارى، وفتح بلاد ما وراء النهر سنة 383هـ)

4- أبو الحسين نصر [الأول] بن علي ....(383 – 400هـ/993-1009م)

5- أبو نصر احمد [الأول] بن علي ....(400 – 403هـ/1009-1012م)

6- سناء الدولة محمد بن علي ....(403 – 404هـ/1012-1013م)

7- شرف الدين طغان خان بن علي .... (404 هـ/1013م)

8- أبو المظفر أرسلان خان [الأول] .... (404هـ/1013م)

9- ناصر الدولة يوسف قدرخان .... (404 – 412هـ/1013-1021م)

10-الملك المنصور محمد بن علي ....(412 – 423هـ/1021-1032م)

11-أرسلان خان [الثاني] بن يوسف قدرخان ......(423–425هـ/1032-1034م)

12-محمود بغراخان [الثالث] بن يوسف قدرخان ..... (425 - ؟ هـ/1034- ؟ م)

---

* زامباور، معجم الأنساب، ص : 312.

د- قائمة بأسماء الأمراء البويهيين الذين حكموا في الري وهمذان وأصبهان* :

1- ركن الدولة أبو علي حسن .... (320 – 335هـ/932-946م)
2- مؤيد الدولة أبو منصور[1] .... (335 – 366هـ/946-976م)
3- فخر الدولة أبو الحسن علي .... (366 – 387هـ/976-997م)
4- مجد الدولة أبو طالب رستم[2] ....(387 – 420هـ/997-1029م)
5- شمس الدولة أبو طاهر[3] ....(387 – 412هـ/997-1021م)

* انظر : لين بول، الدول الإسلامية، ص : 288، زامباور، معجم الأنساب، ص : 323.
[1] في أصبهان فقط.
[2] خلع من قبل السلطان محمود ودخلت بلاده ضمن ممتلكات الدولة الغزنوية سنة 420هـ.
[3] في همذان فقط وخلع من قبل كاكوية.

هـ - قائمة بأسماء أمراء إمارة خوارزم من الأسرة المأمونية* :

1- أبو سعيد أحمد بن محمد .... (340 - ؟ هـ/951- ؟ م)

2- أبو عبدالله محمد بن أحمد .... (؟ - 385هـ/ ؟ - 995م)

3- مأمون بن محمد .... (385 – 387هـ/995-997م)

4-أبو الحسن علي بن مأمون[1] .... (387 – 390هـ/997-1000م)

5- أبو العباس مأمون بن مأمون[2] ....(390 – 407هـ/1000-1007م)

6- أبو الحارث محمد بن علي بن مأمون[3] .... (407هـ/1007م)

---

* زامباور، معجم الأنساب، ص : 316.

1 تزوج الحرة بن سبكتكين.

2 تزوج أرملة أخيه.

3 عزله السلطان محمود الغزنوي وولى مكانه حاجبه الكبير التونتاس.

و- قائمة بأسماء أمراء سجستان من بني الليث الصّفار المعاصرين للدولتين السامانية والغزنوية* :

1- الليث بن علي بن الليث .... (296 – 299هـ/908-911م)

2- المعدّل بن علي بن الليث .... (299 – 300هـ/911-912م)

3- عمرو بن يعقوب بن محمد .... (300 – 320هـ/912-932م)

4- أبو جعفر أحمد بن محمد بن خلف.................(320 – 344هـ/932-955م)

5- أبو أحمد خلف بن أحمد[1] .... (344 – 393هـ/955-1003م)

* زامباور، معجم الأنساب، ص : 302.

[1] عامل السامانيين، اشتبك معهم في حروب طويلة الأمد، وعند قيام الدولة الغزنوية دخل مع السلطان محمود في حروب طاحنة انتهت بسقوط إمارته وانضوائها تحت السيادة الغزنوية سنة 393هـ/ 1003م.

ز- قائمة بأسماء أمراء بني زيار المعاصرين للدولتين السامانية والغزنوية* :

1- مرداويج بن زيار .... (315 – 323هـ/927-935م)

2- وشمكير بن زيار .... (323 – 356هـ/935-967م)

3- أبو منصور بيستون بن وشمكير .... (356 – 366هـ/967-976م)

4- شمس المعالي قابوس بن وشمكير................ (366 – 403هـ/976-1012م)

5- فلك المعالي منوجهر بن قابوس .... (403 – 420هـ/1012-1029م)

6- أبو كاليجار انو شيروان بن منوجهر ....(420 – 424هـ/1029-1033م)

---

*امباور، معجم الأنساب، ص : 319 – 320.

ح- قائمة بأسماء أمراء غرجستان* :

1- شار رشيد (اعترف بالسيادة لمحمود الغزنوي سنة 389هـ/999م).

2- شار أبو نصر محمد بن أسد (أسره السلطان محمود سنة 405هـ/1014م).

3- شار شاه أبو محمد بن محمد (ولي في حياة أبيه، حارب أبـا علـي السـيمجوري والسلطان محمود الغزنوي).

* انظر زامباور، معجم الأنساب، ص : 311.

ط - قائمة بأسماء أمراء الجوزجان من بني فريغون* :

1- أحمد بن فريغون .... (279 – 337هـ/892-948م)

2- أبو نصر محمد بن فريغون .... (337 – 368هـ/948-978م)

3- أبو الحارث أحمد محمد[1] .... (368 – 401هـ/978-1010م)

* زامباور، معجم الأنساب، ص : 311.

[1] في عهده ضمت الجوزجان إلى ملك السلطان محمود سنة 401هـ / 1010م.

4- نماذج لبعض العملات الذهبية الغزنوية *

الوجه | معلومات | الظهر



العملة 1 دينار غزنوي ضرب نيسابور سنة389هـ

العهد أبو القاسم محمود بن سبكتين

الوجه المركز: عدل/ لا إله إلا/ الله وحده/ لا شريك له/القادر بالله
الهامش: بسم الله ضرب هذا الدينار بنيسابور سنة تسع وثمانين وثلث مائة.
الهامش الخارجي: لله الأمر من قبل ...

الظهر المركز: لله / محمد رسول الله/ الأمير السيد أمير/الدولة وأمين/الملة أبو القاسم ولي/ أمير المؤمنين.
الهامش: محمد رسول الله ...

القطر 2.5 سم

السعر 8000 ر.س

معلومات أخرى





العملة 2 دينار غزنوي ضرب غزنة سنة 393هـ

العهد أبو القاسم محمود بن سبكتكين

الوجه المركز: عدل/لا إله إلا الله/ وحده لا شريك له / أمير الدولة/ وأمين الملة.
الهامش:بسم الله ضرب هذا الدينار(بغزنة)سنة ثلث وتسعين وثلث مائة.

الظهر المركز:لله/محمد رسول الله/الأمير السيد/يمين الدولة وأمين الملة أبو القاسم.
الهامش: محمد رسول الله ...

القطر 2.4 سم

العر 3000 ر.س

معلومات أخرى



* WWW. ISLAMICGOLDEN COINS

الوجه		معلومات	الظهر





العملة 3 دينار غزنوي ضرب هراة سنة395هـ

العهد أبو القاسم محمود بن سبكتين

الوجه المركز: عدل/ لا إله إلا/ الله وحده/ لا شريك له/القادر بالله
الهامش: بسم الله ضرب هذا الدينار بهراة سنة خمسة وتسعين وثلث مائة.
الهامش الخارجي: لله الأمر من قبل ...

الظهر المركز: لله / محمد رسول الله/ الأمير الدولة أمين الملة /أبو القاسم.
الهامش: محمد رسول الله ...

القطر 2.5 سم

السعر 2000 ر.س

معلومات أخرى





العملة 4 دينار غزنوي ضرب غزنة سنة 398هـ

العهد أبو القاسم محمود بن سبكتكين

الوجه المركز: عدل/لا إله إلا الله/ وحده لا شريك له القادر بالله.
الهامش:بسم الله ضرب هذا الدينار بهراة سنة ثمان وتسعين وثلث مائة.
الهامش الخارجي: لله الأمر من قبل ...

الظهر المركز:لله/محمد رسول الله/أمير الدولة/ أمين الملة/ أبو القاسم.
الهامش: محمد رسول الله ...

القطر 2.3 سم

السعر 3000 ر.س

معلومات أخرى

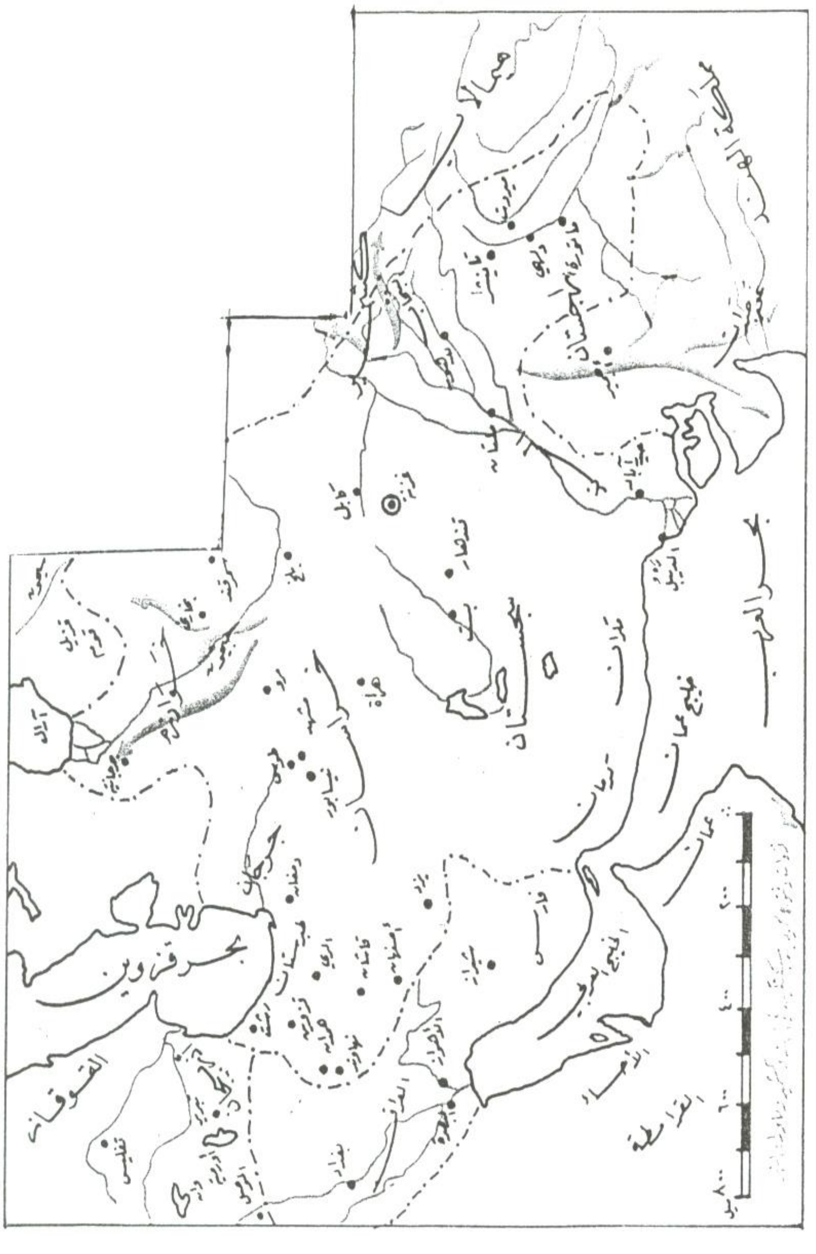
الوجه		معلومات	الظهر
	العملة	5 دينار غزنوي ضرب غزنة سنة 398هـ	
	العهد	أبو القاسم محمود بن سبكتكين	
	الوجه	المركز: عدل/لا إله إلا الله/ وحده لا شريك له القادر بالله. الهامش:بسم الله ضرب هذا الدينار بهراة سنة ثلث وأربعمائة. الهامش الخارجي: لله الأمر من قبل ...	
	الظهر	المركز:لله/محمد رسول الله/أمير الدولة/ أمين الملة/ أبو القاسم. الهامش: محمد رسول الله ...	
	القطر	2.3 سم	
	السعر	2000 ر.س	
	معلومات أخرى		
	العملة	6دينار غزنوي ضرب نيسابور سنة 403هـ	
	العهد	أبو القاسم محمود بن سبكتكين	
	الوجه	المركز: عدل/لا إله إلا /الله وحده/ لا شريك له/أمير الدولة/ أمين الملة. الهامش:بسم الله ضرب هذا الدينار بنيسابور سنة ثلث وأربع مائة. الهامش الخارجي: لله الأمر من قبل ...	
	الظهر	المركز:لله/محمد رسول الله/القادر بالله/ ولي عهد/ الغالب بالله/ أبو القاسم. الهامش: محمد رسول الله ...	
	القطر	2.4 سم	
	السعر	2000 ر.س	
	معلومات أخرى		

الوجه		معلومات	الظهر
	**العملة**	7 دينار غزنوي ضرب نيسابور سنة 406هـ	
	العهد	أبو القاسم محمود بن سبكتكين	
	الوجه	المركز: عدل/لا إله إلا/ الله وحده/ لا شريك له /أبو القاسم. الهامش:بسم الله ضرب هذا الدينار بنيسابور سنة ست وأربعمائة. الهامش الخارجي: لله الأمر من قبل ...	
	الظهر	المركز: محمد/ رسول الله/القادر بالله/ ولي عهد/ الغالب بالله/ أبو القاسم. الجهة اليمنى من المرك : (وأمين(الجهة اليسرى من المركز : (الملة(الهامش: محمد رسول الله ...	
	القطر	2.4 سم	
	السعر	8000 ر.س	
	معلومات أخرى		
	**العملة**	8 دينار غزنوي ضرب هراة سنة 406هـ	
	العهد	أبو القاسم محمود بن سبكتكين	
	الوجه	المركز: عدل/لا إله إلا /الله وحده/ لا شريك له/القادر بالله. الهامش:بسم الله ضرب هذا الدينار بهراة سنة ست وأربع مائة. الهامش الخارجي: لله الأمر من قبل ...	
	الظهر	المركز:لله/محمد رسول الله/أمير الدولة/ أمين الملة/ أبو القاسم. الهامش: محمد رسول الله ...	
	القطر	2.4 سم	
	السعر	2000 ر.س	
	معلومات أخرى		

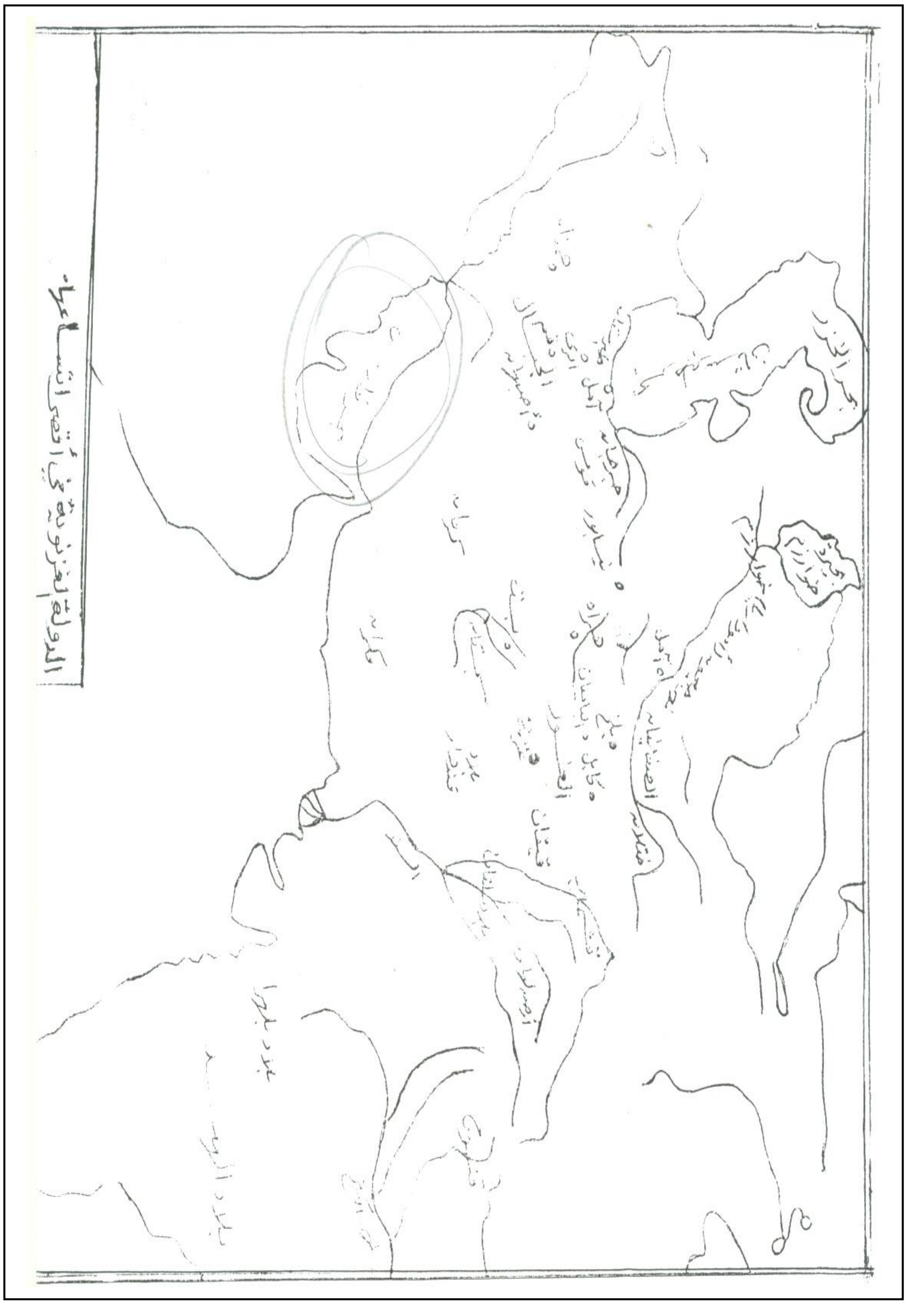
5- الخرائط



* أبو خليل, شوقي, أطلس التاريخ العربي الإسلامي,ط4, دار الفكر ,دمشق,1415هـ/1994م,ص:46.



* الميداني, محمود عصام, الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي, راجعه: عبدالله حميدة, دار دمشق, 1995م,ص:310.


الدولة الغزنوية في أقصى اتساعها

ثبت المصادر والمراجع

أولا: المصــادر العربيــة:

أ- المصادر المخطوطة:

- الكتبي، أبو عبد الله بن محمد بن شاكر، (ت: 764هـ/1362م)

1- عيون التواريخ،ج13/تاريخ، مخطوط ميكروفيلم رقم (345)، دار الكتب المصرية القاهرة.

- المولوي، أحمد بن لطف الله.

2- جامع الدول، مخطوط ميكروفيلم، ج1/تاريخ، رقم (159)، معهد المخطوطات، جامعة الدول العربية، القاهرة.

ب- المصادر المطبوعة:

- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت: 630هـ/1233م).

3- الكامل في التاريخ، تح: عمــر عبــد الســلام تــدمري، دار الكتــب العلميــة، بيــروت، 1417هـ/1997م.

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف: (874هـ/1469م).

4- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م.

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: (ت: 597هـ/1201م).

5- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، (لا.ت).

- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت: 367هـ/977م).

6- صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (لا.ت).

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي: (ت: 808هـ/1405م).

7- تاريخ ابن خلدون المسمى بـ: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات محمــد علــي بيضــون، دار الكتــب العلمية؛ بيروت، 1413هـ/1992.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد: (ت: 681هـ/1282م)

8- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تح: إحسان عباس، دار الكتب العلمية ،بيروت، (لا.ت).

- ابن دحية، عمر بن الحسن بن علي الكلبي: (ت: 633هـ/1236م).

9- النبراس في تاريخ بني العباس، تح: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافــة الدينيــة، القــاهرة، 1421هـ/2001م.

- ابن طباطبا، محمد بن علي المعروف بـ: (ابن الطقطقا)، (ت: 709هـ/1309م).

10-الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، (لا.ت).

- ابن ظافر،الإمام جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور حسين الأزدي،(ت:613هـ/1213م).

11-أخبار الدول المنقطعة، تح: عصام هزايمة وآخرون، دار الكندي، أربد، الأردن، 1999م.

- ابن العبري، غريغوريوس أبي الفرج ابن اهرون، (ت: 685هـ/1286م).

12-تاريخ مختصر الدول، وقف على تصحيحه وفهرسة: الأب انطوان اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت، 1403هـ/1983م.

- ابن العماد، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد محمد العكري، (ت: 1089هـ/1678م).

13-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، إشراف: عبد القادر الإرناؤوط، إعداد وتقديم: محمــود الإرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، 1416هـ/1989م.
- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت: 580هـ/1184م).
14-الأنباء في تاريخ الخلفــاء، تــح: قاســم الســامرائي، دار الآفــاق العربيــة، القــاهرة، 1419هـ/1999م.
- ابن كثير، الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل، (ت: 774هـ/1372م).
15-البداية والنهاية، تح: مكتب تحقيق التراث بدار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1413هـ/1993م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري،(ت: 711هـ/1311م).
16-لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ/1994م.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق، (ت: 380هـ/990م).
17-الفهرست، أعتنى به وعلّق عليه: الشــيخ إبــراهيم رمضـــان، دار المعرفــة، بيــروت، 1415هـ/1994م.
- ابن الوردي، زين الدين عمر، (ت: 749هـ/1348م):
18-تاريخ ابن الوردي أو تتمة المختصر في أخبار البشر، ط2، منشورات المطبعة الحيدريــة، النجف، العراق، 1389هـ/1969م.
- ابن يعلى، أبو الحسن محمد بن محمد الحسن الحنبلي، (ت: 526هـ/1132م):
19-طبقات الحنابلة، خرّج أحاديثه ووضع حواشيه: أبي حازم أسامة بن حسن وأبــو الزهــراء حازم بن علي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م.
- أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل، (ت: 732هـ/1332م):
20-المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبي، القاهرة، (لا.ت).
- الأصطخري،أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروفبـ:(الكرخي)،(ت:346هـ/957م).
21-المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال الحسيني، مراجعة: محمد شــفيق غربــال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، 1381هـ/1961م.
- الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الشافعي، (ت: 430هـ/1038م):
22-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تح: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمــد علــي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م.
- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت: 429هـ/1037م):
23-الفرق بين الفرق، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، (لا.ت).
- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، (ت: 279هـ/892م).
24-فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنــيس الطبــاع، دار المعــارف للطباعــة والنشر، بيروت، 1407هـ/1987م.
- البنداري، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني، (ت: 643هـ/1245م):
25-دولة آل سلجوق، تح: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ط3، منشــورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1400هـ/1980م.
- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، (ت: 440هـ/1048م).
26-تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة المعروف بـــ: (تاريخ الهنــد)، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ/1983م.
27-الآثار الباقية عن القرون الخالية، تح: أدوارد سخاو، مطبعة ليبزج، 1923م.

- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك النيسابوري، (ت: 429هـ/1037م):
28-يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد محمد قميمة، دار الكتب العلمية، بيروت، (لا.ت).
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله الرومي الحنفي، (ت: 1067هـ/1657م):
29-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، 1402هـ/1982م.
- الحسيني، صدر الدين بن علي، (ت: 575هـ/1180م).
30-أخبار الدولة السلجوقية، اعتنى بتصحيحه: محمد إقبال، مراجعة: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1404هـ/1984م.
- الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي: (626هـ/1228م):
31-معجم الأدباء أو إرشاد الأريب في معرفة الأديب، دار الكتب العلمية،بيروت، 1411هـ/1991م.
32-معجم البلدان، دار بيروت، بيروت، 1408هـ/1988م.
- الخطيب البغدادي، أبوبكر بن أحمد بن علي (ت: 463هـ/1070م):
33-تاريخ بغداد، تح: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، 1417هـ/1997م.
- الدواداري، ابوبكر بن عبد الله، (ت.د: 736هـ/ 1335م):
34-كنز الدرر وجامع الغرر، تح: صلاح الدين المنجد، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار، القاهرة، 1380هـ/1961م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت: 748هـ/1347م):
35-سير أعلام النبلاء، تح:محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة،دار الفكر، بيروت، 1417هـ/1997م.
36-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1409هـ/1988م.
- الروذراوري، أبو شجاع محمد بن الحسن الملقب بـ:(ظهير الدين)، (ت: 488هـ/1095م):
37-ذيل تجارب الأمم، أعتنى بالنسخ والتصحيح: هـ.ف. آمدروز، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، (لا.ت).
- السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، (ت: 771هـ/1369م):
38-طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار هجر، بيروت، 1413هـ/1992م.
- الشافعي أبي عبد الله محمد بن إدريس، (ت 204هـ/819م):
39-كتاب الأم، مع مختصر المزني، دار الفكر، بيروت، 1410هـ/ 1990م.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، (ت: 548هـ/ 1153م):
40-الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن قاعود، ط6، دار المعرفة، بيروت، 1417هـ/1997م.
- الصابي، أبو الحسن هلال بن المحسن بن إبراهيم الكاتب، (ت: 448هـ/1056م).
41-تاريخ هلال الصابي، الجزء الثامن، (نشر ملحق بـ كتاب ذيل تجارب الأمم للوزير أبي شجاع الروذراوري في مجلد واحد متسلسل الصفحات)، أعتنى بتصحيحه: (هـ.ف) آمدروز و (س) مرجليوت، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، (لا.ت).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت: 310هـ/922م):

42-تـــــاريخ الأمـــــم والملوك،منشــــورات محمــــد علــــي بيضــــون،دار الكتــــب العلمية،بيروت،1417هـ/1997م.
- العباسي، الحسن بن عبد الله بن محمد:
43-الأول في ترتيب الدول، طبعة بولاق، 1295هـ/1878م.
- العتبي، أبو نصر محمد بن عبد الجبار، (ت: 431هـ/1039م):
44-تاريخ اليميني، وبه شرح: الشيخ أحمد بن علي الحنفي المنيني وسماه: الفتح الوهبي علـى تاريخ أبي نصر العتبي، القاهرة، 1286هـ/ 1869م.
- القرشي، محيي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد الحنفي،(ت: 775هـ/1373م):
45-الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، دار هجر، بيروت، 1413هـ/1993م.
- القرماني، أحمد بن يوسف، (ت: 1019هـ/1610م).
46-أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تح: أحمد خطيط وفهمي سعيد، عالم الكتب، بيروت، 1412هـ/1992م.
- القزويني، زكريا بن محمد أبن محمود، (ت: 683هـ/1283م).
47-آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1404هـ/1984م.
- القلقشندي، أحمد بن علي، (ت: 821هـ/1419م):
48-صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية مذيلة بتصـويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية مع دراسة وافية، المؤسسة المصـرية العامـة، القـاهرة، (لا.ت).
49-مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فـراج، التـراث العربـي: سلسـلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1964م.
- المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين، (ت: 346هـ/957م):
50-مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محيى الدين عبد الحميد، ط5، دار الفكـر، بيـروت، 1393هـ/ 1973م.
- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، (ت: 421هـ/1030م).
51- تجارب الأمم، أعتنى بنسخه وتصديده: (هـ. ف). آمدروز، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (لا.ت).
- المقدسي، شمس الدين أبي عبدالله محمد المعروف بـ(البشاري، ت:390هـ/1000م):
52-أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2، ليدن، 1906م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت: 845هـ/1441م):
53-السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة، القاهرة، 1956م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت: 733هـ/1332م):
54-نهاية الإرب في فنون الأدب، تح: محمد فوزي العنتيل، مراجعة: محمد طـه الحـاجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1405هـ/1995م.

ثانيا: المصادر الفارسية:

أ- مصادر باللغة الفارسية:

- الجوزجاني، أبو عمرو منهاج الدين عثمان بن سراج الدين محمد بن منهاج الدين عثمان المعروف بـ: (قاضي منهاج سراج):

55-طبقات ناصري، وبه تصحيح ومقابلة وتحشية وتعليق: عبد الحي حبيبي، جلد أول، قندهاري، كابل، 1342هـ.س (1963م).

- عوفي، محمد:

56-لُباب الألباب، باهتمام وتصحيح: أدوارد بروز أنكسيس، طبعة ليدن، (لا.ت).

- قزويني، حمدالله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر مستوفي، (ت: 830هـ/1329م).

57-تاريخ كزيدة، جلد أول، بسعي واهتمام: أدوارد برون، لندن، 1328هـ/1910م.

- هندوشاه، الملا محمد قاسم:

58-تاريخ فرشتة، طبعة لكنو، 1323هـ.س.

ب- مصادر فارسية معربة:

- البيهقي، أبو الفضل محمد بن الحسين، (ت: 470هـ/1077م):

59-تاريخ البيهقي، ترجمة عن الفارسية: يحيى الخشاب وصادق نشأت: دار النهضة العربية، بيروت، 1982م.

- الراوندي، محمد بن علي بن سليمان: (ت: 599هـ/1200م):

60-راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة عن الفارسية: إبراهيم أمين الشواربي وآخرون، القاهرة، 1379هـ/1960م.

- السمرقندي، أحمد بن عمر بن علب النظامي العروضي (ت: 555هـ/1160م):

61-جهار مقالة، وعليه خلاصة حواشي العلامة: محمد بن عبد الوهاب القزويني، ترجمة عن الفارسية: عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1368هـ/1949م.

- الطوسي، نظام الملك أبو علي حسن بن علي، (ت: 475هـ/ 1082م).

62-سياست نامه أو سير الملوك، ترجمة عن الفارسية: يوسف حسين بكار، ط2، دار الثقافة، الدوحة، 1407هـ/1987م.

- الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضّحاك أبن محمود، (ت: 443هـ/ 1051م):

63-زين الأخبار، ترجمة عن الفارسية: عفاف السيد زيدان، دار الطباعة المحمودية، القاهرة، 1402هـ/1982م.

- ميرخواند، محمد بن خاوندشاه، (ت: 903هـ/1497م):

64-روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، (تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بوية والإسماعيلية الملاحدة، ترجمة عن الفارسية: أحمد عبد القادر الشاذلي، راجعه وقدم له: السباعي محمد السباعي، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 1408هـ/1988م.

- النرشخي، أبوبكر محمد بن جعفر، (ت: 348هـ/959م):

65-تاريخ بخارى، ترجمة عن الفارسية وقدم له وحققه وعلق عليه: أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، ط3، دار المعارف، القاهرة،(لا.ت).

- الهروي، أحمد بخشي:
66-طبقات أكبري، ترجمة عن الفارسية: أحمد عبد القادر الشاذلي، الهيئة المصرية للكتاب، 1995م.

ثالثا: المراجع العربية الحديثة:

- أبو خليل، شوقي:
67-أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ط4، دار الفكر، دمشق، 1415هـ/1994م.
- أبو زهرة، الإمام محمد:
68-تاريخ المذاهب الإسلامية – في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م.
- أمين، أحمد:
69-ظهر الإسلام، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، (لا.ت).
- بدر عبد الرحمن محمد (دكتور):
70-الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي من أوائل القرن الرابع الهجري حتى ظهور السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1409هـ/1989م.
71-المجتمع الهندي في القرنين الربع والخامس الهجريين كما صوره البيروني في كتابه: (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) المعروف بـ: (تاريخ الهند)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1410هـ/1990م.
72-رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1987م.
- البغدادي، إسماعيل باشا:
73-هديَّة العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مكتبة أبن تيمية، (لا.ت).
- الجزيري، عبد الرحمن:
74-كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، دار الريّان للتراث، القاهرة، 1408هـ/1987م.
- حسن إبراهيم حسن (دكتور):
75-تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965م.
- حمادة محمد ماهر، (دكتور):
76-الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة (247-656هـ/861-1258م)، ط3، دار الرسالة، بيروت، 1406هـ/1985م.
- حسنين، عبد النعيم محمد (دكتور):
77-دولة السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1975م.
- خطاب، أدهام فاضل:
78-علاقات الدولة الغزنوية بالبويهيين والخلافة العباسية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1984م.
- الخطيب، مصطفى عبد الكريم:
79-معجم المصطلحات التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ/1996م.
- الخضري، الشيخ محمد:
80-محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)،ط3، دار المعرفة، بيروت، 1418هـ/1997م.
- الخولي، محمد مرسي (دكتور):

81-أبو الفتح البستي – حياته وشعره -، دار الأندلس، 1980م.
82-دائرة المعارف الإسلامية (أصدرت بالألمانية والإنجليزية والفرنسية)، ترجمها: أحمد الشنتاوي وآخرون، القاهرة، 1933م.
- الدّفاع، علي بن عبد الله (دكتور):
83-إسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407هـ/1986م.
- رزق، سمير عبد الفتاح (دكتور):
84-الدولة الغزنوية في جنوب غرب آسيا – قيامها وسياستها الداخلية وأهم مظاهرها الحضارية -، القاهرة، 1423هـ/2002م.
- الرفاعي، محمد عبد الحميد إبراهيم:
85-الدولة الغزنوي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1395هـ/1975م.
- الزركلي، خير الدين:
86-الأعلام (قاموس تراجم)، ط14، دار العلم للملايين، 1999م.
- الساداتي، أحمد محمود (دكتور):
87-تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم، دار نهضة الشرق، القاهرة، 2001.
- سرور، محمد جمال الدين (دكتور):
88-تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1378هـ/1967م.
- الشابي، علي (دكتور):
89-الأدب الفارسي في العصر الغزنوي، دار النشر، تونس، 1965م.
- شاكر، محمود:
90-التاريخ الإسلامي- الدولة العباسية-، ط5، المكتب الإسلامي، بيروت، 1411هـ/1991م.
- الشرباصي، أحمد (دكتور):
91-المعجم الإقتصادي الإسلامي، دار الجيل، بيروت، 1401هـ/1981م.
- شلبي، أحمد (دكتور):
92-موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، رقم (8) – الإسلام والدول الإسلامية غير العربية بآسيا – مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1983م.
- الصدفي، رزق الله منقريوس:
93-تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال، القاهرة، 1325هـ/1907م.
- الصفدي، سالم دياب سالم:
94-الغزنويون في بلاد الهند، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أسيوط، مصر، 1413هـ/1992م.
- الطرازي، عبدالله مبشر الطرازي (دكتور):
95-موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب، عالم المعرفة، جدة، 1403هـ/1983م.
- العبادي، أحمد مختار (دكتور):
96-في التاريخ العباسي والفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، (لا.ت).
- العبادي، أحمد مختار (دكتور) وسالم، السيد عبد العزيز، (دكتور):

97-تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، (لا.ت).
- العبادي، عبد الحميد:
98-صور وبحوث من التاريخ الإسلامي، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993م.
- عبد القادر، حامد:
99-قصة الأدب الفارسي، الجزء الأول ويشمل: تاريخ الأدب الفارسي من مبدئه إلى نهاية الدولة الغزنوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1370هـ/1951م.
- العمادي، محمد حسن (دكتور):
100- خراسان في العصر الغزنوي، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ودار الكندي، اربد، الأردن، 1997م.
- عمر، فاروق (دكتور) والنقيب، مرتضى حسن (دكتور):
101- تاريخ إيران – دراسة في التاريخ السياسي لبلاد فارس خلال العصور الإسلامية الوسيطة –، دار الحكمة، بغداد، 1989م.
- الفقي، عصام الدين (دكتور):
102- بلاد الهند في العصر الإسلامي، عالم الكتب، القاهرة، 1980م.
103- تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1974م.
104- الدول المستقلة في المشرق العربي، القاهرة، 1420هـ/1999م.
- فرّوخ، عمر (دكتور)، وماهر عبد القادر (دكتور) وحسان حلاق، (دكتور):
105- تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، 1410هـ/1990م.
- كحالة، عمر رضا:
106- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (لا.ت).
- محمود، حسن أحمد (دكتور):
107- الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار الفكر، القاهرة، 1998م.
- محمود، حسن أحمد (دكتور) والشريف، أحمد إبراهيم (دكتور):
108- العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط5، دار الفكر العربي، القاهرة، (لا.ت).
- مرسي، نعمة علي (دكتور):
109- دولة آل زيار في طبرستان وجرجان وما جاورهما، دار الهداية، القاهرة، (لا.ت).
- المصري، جميل عبد الله محمد (دكتور):
110- حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ط3، مكتبة العبيكان، الرياض، 1417هـ/1996م.
- مهنا، محمد نصر (دكتور):
111- انتشار الإسلام في آسيا، ج1، الفتوحات الإسلامية – دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2001م.
- الميداني، محمود عصام:
112- الاطلس التاريخي للعالم الاسلامي،راجعه:عبدالله حميده، دار دمشق،1995م، ص: 31.
113- موجز دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى المترجمة، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1419هـ/1998م.

- النجرامي، محمد يوسف:
114- العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، رسالة ماجستير غير منشـــورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1395هـ/1975م.
- النحوي، عدنان علي رضا:
115- ملحمة الإسلام في الهند، دار النحوي، الرياض، 1412هـ/1992م.
- الندوي، أبو الحسن علي بن الحسين:
116- ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين، ط8، دار نهر النيل، القاهرة، 1409هـ/1989م.
- النمر، عبد المنعم (دكتور):
117- تاريخ الإسلام في الهند، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- الوالي، طه:
118- القرامطة أول حركة اشتراكية في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م.

رابعا: المراجع الفارسية الحديثة:

- إقبال، عباس:
119- تاريخ إيران بعد الإسلام منذ بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه: محمد علاء الدين منصور، راجعه: السباعي محمد السباعي، دار الثقافة، القاهرة، 1989م.
- خليلي، خليل الله:
120- سلطنة غزنويان (فارسي) مطبعة عمومي كابل، 1333 هـ.ش.

خامسا: المراجع الأجنبية:

أ- مراجع أجنبية باللغة الإنجليزية:

- BOSWORTH, (C . E):
121- The Ghaznavids Their empire in Afghansitan and Eastern Iran, press, 1963.
- LANE – POOL:
122- Medieval India under mahammdan, London, 1951.
- MUNISHI, (K . M):
123- The struggle for Emire, Bombay, 1966.
- NAZIM, MOHAMMAD:
124- The life and the times of sultan muhmood of Quazha, cambridge, 1931.
- PANIKKAR, (K . M):
125- Asurvey of Indian history, Bombay, 1954.

ب- مراجع أجنبية معّربة:

- أرنولد، سير توماس.و.:
126- الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حســن وآخــرون، ط3، مكتبــة النهضــة المصرية، القاهرة، 1970م.
- بارتولد، فاسيلي فلاديمير وفتش:

127- تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، مراجعة: إبراهيم صبري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985م.
128- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، أشرف على طبعه: قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، الكويت، 1410هـ/1981م.
- براون، أدوارد جرانفيل:
129- تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، مطبعة السعادة، القاهرة، 1373هـ/1954م.
- بروكلمان، كارل:
130- تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، ط2، دار المعارف، القاهرة، (لا.ت).
131- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط11، دار العلم للملايين، 1988م.
- بيلي، جراهام:
132- الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية، قدم له وعلق عليه وأضاف إليه وترجمه: حسين مجيب المصري، الدار الثقافية للنشر، بيروت، (لا.ت)
- ديورانت، ول:
133- قصة الحضارة – الهند وجيرانها – ترجمة: زكي نجيب محمود، ط3، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1968م.
- زامباور ، أدواردفون:
134- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه: زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، واشترك في ترجمته: سيده إسماعيل كاشف وحافظ علي أحمد وأحمد ممدوح، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1951م.
- غوستاف لوبون:
135- حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، (لا.ت).
- فامبري، أرمينوس:
136- تاريخ بخارى، ترجمة: أحمد محمود الساداتي، مراجعة وتقديم: يحيى الخشاب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، (لا.ت).
- لوثروب، شودارد:
137- حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويهض، وبه فصول وتعليقات وحواشي مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية وتطورها الحديث بقلم: الأمير شكيب أرسلان، دار الفكر، بيروت.
- لين بول، أستانلي:
138- الدول الإسلامية، مع إضافات وتصحيحات: بارتولد وخليل أدهم، ترجمة: محمد صبحي فرزات، أشرف على ترجمته وعلق عليه: محمد أحمد دهمان، مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق، 1974م.
139- طبقات سلاطين الإسلام، ترجمه للفارسية: عباس إقبال، وترجمه عن الفارسية: مكي طاهر الكعبي، حققه وقابله: علي البصري، دار منشورات البصري، 1968م.
- ويستنفلد، (ف):

140- جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها، بما يوافقها مـــن الســـنين الميلاديـــة بأيامهـــا وشهورها، ترجمة: عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان، مكتبة الأنجلـــو المصـــرية، القاهرة، 1980م.
- لسترنج، (كي):
141- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عوّاد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ/1985م.

سادسا: المجلات والدوريات:

- فهمي، أسامة محمد (دكتور):
142- مناهج الكتابة التاريخية الفارسية في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر المـــيلادي، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، ع6، ديسمبر 2000م.
- الجوارنة، أحمد (دكتور):
143- التنظيم الإداري لديوان العرض (الجند) في عهد الدولـــة الغزنويـــة، مجلـــة دراســـات تاريخية، جامعة دمشق، سوريا، السنة الرابعة عشر، ع: 5-6، آذار - حزيران 1996م.
144- جهود السلطان محمود في نشر الإسلام السُني في أواسط آســـيا، إيـــران، أفغانســـتان، والهند، مجلة مؤته للبحوث والدراسات، جامعة مؤته، الأردن، مج 11، ع2، 1996م.
- المحيمد، علي بن صالح (دكتور):
145- العلاقات السياسية بين الدولة القراخانية والدولتين الغزنوية والسلجوقية، مجلـــة جامعـــة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع20، رمضان 1418هـ.
- احمد، السيد مقبول:
146- العلاقات الثقافية بين الهند والعالم العربي، مجلة ثقافة الهند، مج21، ع2، تصدر عـــن مجلس الهند للروابط الثقافية، دلهي الجديدة، 1391هـ/1971م.
147- WWW.ISIAMIC GOLDEN COINS. (العملات الذهبية الإسلامية)